الإرشادات الإسلامية

في

الخطب المنبرية

الجزء الرابع

جمع وترتيب

الشيخ: أحمد محمد سعد

﴿أحمد أبو عيد﴾

إمام وخطيب بالأوقاف المصرية

حقوق الطبع والنشر محفوظة لكل مسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي وفق العاملين لطاعته فوجدوا سعيهم مشكورا، وحقق آمال الآملين برحمته فمنحهم عطاء موفورا، وبسط بساط كرمه للتائبين فأصبح وزرهم مغفورا، وأسبل من نعمه على الطالبين وابلا غزيرا، سبحانه فتح الباب للطالبين، وأظهر غناه للراغبين، وأطلق للسؤال ألسنة القاصدين، وقال في كتابه المبين (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠)) سورة غافر

واشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير

يا من يجيب دعاء المضطر في الظلم ** يا كاشفا الضر والبلوى مع السقم
قد نام الوفد حول البيت وانتبهوا ** وأنت عيناك يا قيوم لم تنم
هب لنا بجودك فضل العفو عن جرمي ** يا من إليه أشار الخلق في الحرم
إن كان عفوك لا يدركه ذو سرف ** فمن يجود على العاصين بالكرم

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه

يا سيدي يا رسول الله

أنت الذي تستوجب التفضيلا ** فصلوا عليه بكرة وأصيلا
ملئت بنبوته الوجود فأظهرا ** بحسامه الدين الصحيح فأسفرا
ومن لم يصلي عليه كان بخيلا ** فصلوا عليه وسلموا تسليما

وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين.

وبعد

فهذا كتاب الإرشادات الإسلامية في الخطب المنبرية (الجزء الرابع) وهو كتاب يحتوي على ثماني عشرة خطبة ، وقد أعانني الله تعالى فقسمت كل خطبة منه إلى عناصر ، وكل عنصر إلى عدة نقاط محدودة حتى يسهل فهم الموضوع ويسهل استيعابه ، وقد راعيت في كل موضوع أن يشتمل على

أدلة من كتاب الله تعالى ومن صحيح سنة رسول الله ﷺ، فلم أدرج فيه إلا الأحاديث الصحيحة أو الحسنة الثابتة عن النبي ﷺ فحسب ، واشتملت الخطب كذلك على بعضٍ من النماذج والعبر وبعضٍ من الشعر الحسن ، وأعانني الله فعملت جاهدًا على أن يكون الموضوع وافيًا بما يكفي للترغيب في الأمر والترهيب من ضده ، وحاولت جاهدًا بفضل الله تعالى أن يكون الأسلوب سهلاً وميسرًا ومشتملاً على الفوائد المطلوبة منه ليسهل فهمه وتبليغه والعمل به .

والله تعالى أسأل أن يجعله علمًا ينتفع به كما قال النبي ﷺ فيما روى عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» (١).

والله تعالى اسأل أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتنا جميعًا وأن يغفر لي ولوالدىَّ ولمن يقرأون الكتاب وينشرونه ويبلغون ما فيه لغيرهم عملاً بقول النبي ﷺ فيما روى عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلاَلَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا» (٢).

هذا وما كان من توفيق فمن الله وحده فهو القائل {وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} هود.

وما كان من خطأ أو سهو أو نسيان فمن نفسي والشيطان والله ورسوله منه براء،

وأعوذ بالله أن أكون جسراً تعبرون به إلى الجنة ويلقى به في النار،

وأعوذ بالله أن أذكركم به وأنساه.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم،

والحمد لله رب العالمين.

كتبه الفقير إلى عفو ربه

أحمد محمد سعد محمود

إمام وخطيب بوزارة الأوقاف المصرية

ت-٠١٠٩٨٠٩٥٨٥٤

(١) متفق عليه (٢) صحيح مسلم

الأعمال الصالحات سبيل للفوز بالجنات

الحمد لله الحي العليم فلا يخفى عليه خافية، السميع البصير سواء عنده السر والعلانية، المريد القدير وشواهد قدرته واضحة كافية، المتكلم بكلام قديم أزلي وصلت بركاته إلى القلوب الصافية، سبحانه مولى إن أطعته أدناك، وان اكتفيت به أغناك، وان دعوته لباك، وان أدبرت عنه ناداك .

واشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير

يا من له سترا على جميل ** هل لي إليك إذ اعتذرت قبول

أبديتني ورحمتني وسترتني ** كرما فأنت لمن رجاك كفيل

وعصيت ثم رأيت عفوك واسعا ** وعلى سترك دائما مسدول

فلك المحامد والمحاسن والثنايا ** من هو المقصود والمسؤول

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه

صلوا على من أتت حقا بشائره ** الهاشمي الذي طابت عناصره

هو الرسول الذي شاعت رسالته ** في الخلق طرا وقد عمت مآثره

هو النبي الذي تأتي الملوك له ** على الرؤوس فتأتيهم مفاخره

هو الطبيب لداء الناس كلهم ** يشفي السقيم وللمكسور جابره

صلى عليه أله العرش ما طلعت ** شمس وما ناح فوق الغصن طائره

وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

العناصر

أولًا: الترغيب في عمل الصالحات ثانيًا: مجالات العمل الصالح وصفات الصالحين

ثالثًا: أهمية استغلال الوقت رابعًا: الترهيب من عمل السيئات وضياع الأوقات

الموضوع

إن حاجة الإنسان إلى الإيمان والعمل الصالح أشد من حاجته إلى الهواء والماء والطعام، فهذا قوام جسده في الدنيا، وذاك سعادة قلبه في الدنيا ونجاة جسده وروحه في الآخرة، والإيمان بلا عمل صالح هو ادعاء بلا برهان ومفتاح بلا أسنان، فلا ينفع صاحبه ولا ينجيه من عذاب الله تعالى.

والعمل المقبول لا بد أن يتصف بالصلاح، وإلا فإن كل أهل الملل والنحل يعملون ومنهم من ينقطع للعبادة حياته كلها ولا ينفعه ذلك عند الله تعالى شيئا لأنه عمل عملا غير صالح وفيهم قال الله تعالى ((ويحسبون أنهم مهتدون))، فهم يعملون ويجتهدون ولكن عملهم ليس بشيء لأنه لم يتصف بالصلاح، ومن هنا كانت أهمية أن يكون العمل صالحا، وأهمية العلم الموصل إلى معرفة كون العمل صالحا، ولا سيما إذا كان من يوفق للعمل الصالح من البشر ومن كل الأمم هم الأقل، وأن من يعملون أعمالا تفتقد شرط الصلاح هم الأكثر في كل الأمم.

أولًا: الترغيب في عمل الصالحات

أمر الله بعمل الصالحات: قال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ }[المؤمنون: ٥١].

من صفات الأنبياء: قال تعالى: { وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠)" البقرة.

وقال تعالى: { فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (٣٩)" ، وقال تعالى: { وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦)" آل عمران. ، قال تعالى: {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٥)" الأنعام.

من صفات المؤمنين: قال تعالى: { إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (١٤٦)" النساء.

وقال عبد الله بن مسعود-ﷺ-: {إنّ عمر بن الخطّاب كان حصنا حصينا للإسلام يدخل فيه، ولا يخرج منه، فلمّا مات عمر انثلم من الحصن ثلمة فهو يخرج منه، ولا يدخل فيه، وكان إذا سلك بنا طريقا

وجدناه سهلا، فإذا ذكر الصّالحون، فحيّ هلا بعمر بن الخطّاب، كان فصل ما بين الزّيادة والنّقصان، والله لوددت أنّي أخدم مثله حتّى أموت» (١) ومعنى " انثلم ": انكسر.

به يتقبل الله الأعمال: قال تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ" (فاطر) ، عَنْ اِبْنِ عَبَّاس فِي تَفْسِيرهَا { الْكَلِم الطَّيِّب " هو {ذِكْر اللَّه "، وَالْعَمَل الصَّالِح أَدَاء فَرَائِض اللَّه، فَمَنْ ذَكَرَ اللَّه وَلَمْ يُؤَدِّ فَرَائِضه رَدَّ كَلَامه، وَقَالَ الْفَرَّاء مَعْنَاهُ: أَنَّ الْعَمَل الصَّالِح يَرْفَع الْكَلَام الطَّيِّب أَيْ يُتَقَبَّل الْكَلَام الطَّيِّب إِذَا كَانَ مَعَهُ عَمَل صَالِح، العمل الصالح يرفع صاحبه إذا ما عثر، وإذا ما صرع وجد متكأ.

كل عمل صالح له أجر عند الله تعالى: قال تعالى: { مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [التوبة].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ خَلَتِ الْبِقَاعُ حَوْلَ الْمَسْجِدِ فَأَرَادَ بَنُو سَلِمَةَ أَنْ يَنْتَقِلُوا إِلَى قُرْبِ الْمَسْجِدِ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-فَقَالَ لَهُمْ {إِنَّهُ بَلَغَنِى أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ الْمَسْجِدِ». قَالُوا نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَرَدْنَا ذَلِكَ. فَقَالَ «يَا بَنِى سَلِمَةَ دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ» (٢).

الحياة الطيبة والأجر الحسن: قال تعالى:{ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[النحل:٩٧].

تفريج الكروب: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: " بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَتَمَشَّوْنَ أَخَذَهُمْ الْمَطَرُ فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنْ الْجَبَلِ فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ فَادْعُوا اللَّهَ تَعَالَى بِهَا لَعَلَّ اللَّهَ يَفْرُجُهَا عَنْكُمْ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ : اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَامْرَأَتِي وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ أَرْعَى عَلَيْهِمْ فَإِذَا أَرَحْتُ عَلَيْهِمْ حَلَبْتُ فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ فَسَقَيْتُهُمَا قَبْلَ بَنِيَّ وَأَنَّهُ نَأَى بِي ذَاتَ يَوْمٍ الشَّجَرُ فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ فَجِئْتُ بِالْحِلَابِ فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصِّبْيَةَ قَبْلَهُمَا وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ

(١) شرح السنة للبغوي (٢) صحيح مسلم

دَأْبِي وَدَأْبَهُمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ فَفَرَجَ اللَّهُ مِنْهَا فُرْجَةً فَرَأَوْا مِنْهَا السَّمَاءَ ، وَقَالَ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِيَ ابْنَةُ عَمٍّ أَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا فَأَبَتْ حَتَّى آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ فَتَعِبْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ فَجِئْتُهَا بِهَا فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ يَا عَبْدَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفْتَحْ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ فَقُمْتُ عَنْهَا فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً فَفَرَجَ لَهُمْ ، وَقَالَ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ أَرُزٍّ فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ: أَعْطِنِي حَقِّي فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ فَرَقَهُ فَرَغِبَ عَنْهُ فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرِعَاءَهَا فَجَاءَنِي فَقَالَ : اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَظْلِمْنِي حَقِّي قُلْتُ اذْهَبْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ وَرِعَائِهَا فَخُذْهَا فَقَالَ : اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَسْتَهْزِئْ بِي ، فَقُلْتُ : إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ خُذْ ذَلِكَ الْبَقَرَ وَرِعَاءَهَا فَأَخَذَهُ فَذَهَبَ بِهِ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مَا بَقِيَ فَفَرَجَ اللَّهُ مَا بَقِيَ " (١)

فإذا وقعت في ضيق ففتش عن هذه الأعمال الصالحات وادعوا الله بها، فتش عن صدقةِ سرّ قمت بها بحيث لم تدر شمالك ما أنفقت يمينُك، فتش عن أخ ساعدته لله وآخر أطعمته لله وثالث كسوته لله، فتش عن ركعتين قمت بهما في جوف الليل لم يرك فيهما أحد، فتش عن سير إلى صلاة الفجر والناس نيام، فتش عن صيام يوم لا تريد به إلا وجه الله سبحانه وتذكر قول الله تعالى: "وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى{١٩} إِلَّا ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى{٢٠} وَلَسَوْفَ يَرْضَى{٢١}" الليل.

واعلم أنك لو فعلت هذه الأمور وغيرها ثم دعوت الله بها فإن الله سوف يرضيك ولا يسوؤك.

لا خوف عليهم ولا هم يحزنون: قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ "

وقال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٧)" البقرة.

توبة الله عليهم: قال تعالى: " وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٠٢)" التوبة.

(١) متفق عليه

وعن ابن مسعود-ﷺ-أنّ رجلا أصاب من امرأة قبلة فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فأنزلت عليه: وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ذلِكَ ذِكْرى لِلذَّاكِرِينَ (هود/ ١١٤). قال الرّجل: ألي هذه؟ قال: «لمن عمل بها من أمّتي» (١)

توفيتهم أجورهم وزيادة: قال تعالى: "فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ" آل عمران.

لهم مغفرة وأجر عظيم: قال تعالى: " وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٩)" المائدة. ، عن البَراءِ -ﷺ-، قَالَ: أتَى النبيَّ -ﷺ- رَجُلٌ مُقَنَّعٌ بالحَدِيدِ، فَقَالَ: يَا رسولَ اللهِ، أُقَاتِلُ أَوْ أُسْلِمُ؟ قَالَ: ((أَسْلِمْ، ثُمَّ قَاتِلْ)). فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَاتَلَ فَقُتِلَ. فَقَالَ رسولُ اللهِ -ﷺ-: ((عَمِلَ قَلِيلاً وَأُجِرَ كَثِيراً)) (٢)

هداية الله وتوفيقه لهم: قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٩)" يونس.

وعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال {إذا أراد الله بعبد خيرا استعمله قيل كيف يستعمله قال يوفقه لعمل صالح قبل الموت} (٣)

الأجر الحسن الكبير الغير مقطوع: قال تعالى: { وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢)" الكهف ، وقال تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآَنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (٩)" الإسراء.

وقال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٨)" فصلت.

لا يضيع الله لهم أجرًا: قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣٠) أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا (٣١)" الكهف ، عن أبي موسى الأشعريِّ -ﷺ-، قَالَ: قَالَ رسولُ الله -ﷺ-:{إِذَا مَرِضَ العَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيماً صَحِيحاً" (٤)

لهم الدرجات العُلى: قال تعالى: { وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا (٧٥) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى (٧٦)" طه.

---

(١) صحيح البخاري (٢) متفق عليه (٣) صحيح الترغيب والترهيب (٤) صحيح البخاري

الاســـتخلاف والتمكين في الأرض: قال تعالى: { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّـــالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ " النور

هم خير الخلق: قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ " البينة.

صلاح الجسد من صلاح القلب: عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ وَأَهْوَى النُّعْمَانُ بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ { إِنَّ الْحَلاَلَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِى الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِى الْحَرَامِ كَالرَّاعِى يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلاَ وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ أَلاَ وَإِنَّ فِى الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلاَ وَهِىَ الْقَلْبُ » (١).

سلام الخلق على الصالحين في كل صلاة: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كُنَّا نَقُولُ فِى الصَّلاَةِ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-السَّلاَمُ عَلَى اللَّهِ السَّلاَمُ عَلَى فُلاَنٍ. فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- ذَاتَ يَوْمٍ { إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلاَمُ فَإِذَا قَعَدَ أَحَدُكُمْ فِى الصَّلاَةِ فَلْيَقُلِ التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِىُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ فَإِذَا قَالَهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِى السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الْمَسْأَلَةِ مَا شَاءَ » (٢).

تزكية نفس فاعلها، وإصلاح الفرد ثمّ إصلاح المجتمع: وهذا واضح في النّصوص الشّرعية

ففي الصّـلاة يقول الله تعالى: {اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّـلاةَ إِنَّ الصَّـلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ} العنكبوت:٤٥.

وفي الزّكاة: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} التوبة

وفي الصّيام: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}

وكذا في الحجّ: {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ} البقرة:١٩٧.

هو ما ينتفع به الموت بعد موته: عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-قَالَ {إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» (٣)، وشرط

(١) صحيح مسلم (٢) متفق عليه (٣) صحيح مسلم

انتفاع الميت المستمر بالصدقة ان تكون جارية، وبالعلم ان يكون نافعا فإن كان غير نافع فيكون عليه وزره، وبالولد أن يكون صالحا فإن لم يكن صالحا فلا نفع يرجى منه بل كان عليه منه وزر.

يرى مقعده من الجنة وهو في القبر: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال إن الميت يصير إلى القبر فيجلس الرجل الصالح في قبره غير فزع ولا مشعوف ثم يقال له فيم كنت فيقول كنت في الإسلام فيقال له ما هذا الرجل فيقول محمد رسول الله ﷺ جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه فيقال له هل رأيت الله فيقول ما ينبغي لأحد أن يرى الله فيفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضا فيقال له انظر إلى ما وقاك الله ثم يفرج له قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال له هذا مقعدك ويقال له على اليقين كنت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله.....} (١)

ومعنى مشعوف: الشعف شدة الفزع والخوف حتى يذهب بالقلب، وفيم كنت: أي في أي دين.

هو النافع المنَجّي يوم القيامة: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (من كانت له مظلمة لأحد من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه) (٢)

[ش (له مظلمة) أي قد ظلم أحدا بقول أو فعل. (عرضه) جانبه الذي يصونه ويحامي عنه من نفسه وحسبه. (فليتحلله) يطلب منه العفو والمسامحة أو يؤدي إليه مظلمته. (فحمل عليه) ألقي على الظالم عقوبات سيئات المظلوم]

البشرى بالجنة: قال تعالى: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥)} البقرة.

دخول الجنة والرزق فيها بغير حساب: قال تعالى: "مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ) غافر

هم أصحاب الجنة: قال تعالى:(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)[البقرة:٨٢]، وقال تعالى: "وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (١٢٤)" النساء.

---

(١) صحيح سنن ابن ماجة (٢) صحيح البخاري

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: قَالَ اللهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ (فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ)" (١).

حفظ الأبناء بصلاح الآباء: قال تعالى: { وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٨٢)" الكهف.

أمر الله بتزويجهم: قال تعالى: " وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٣٢)" النور.

ثانياً: مجالات العمل الصالح وصفات الصالحين

يرجون لقاء الله تعالى: قال تعالى:(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)[الكهف: ١١٠] أَيْ: فَمَنْ كَانَ رَاجِيًا مِنْ رَبِّهِ يَوْمَ يَلْقَاهُ الثَّوَابَ الْجَزِيلَ وَالسَّلَامَةَ مِنَ الشَّرِّ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا.

قال أبو علي الفضيل بن عياض: أخلصه وأصوبه. إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبله الله، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبله الله حتى يكون خالصا صوابا، والخالص الذي يريد به وجه الله، والصالح أن يكون على السنة.

القنوت وحفظ الغيب: قال تعالى: " فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ" النساء.

أحب الأعمال الصالحة إلى الله الفرائض: عن أبي هريرة - ﷺ- ، قَالَ : قَالَ رَسُول الله - ﷺ - : { إِنَّ الله تَعَالَى قَالَ : مَنْ عادى لي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدي بشَـيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بالنَّوافِلِ حَتَّى أحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحبَبتُهُ كُنْتُ سَمعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشي بِهَا ، وَإِنْ سَألَني أعْطَيْتُهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ} (٢) . ومعنى: {آذَنتُهُ}: أعلمته بأني محارِب لَهُ.

ذكر الله كثيرا: قال تعالى: { إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (٢٢٧)" الشعراء.

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: { جَاءَ الْفُقَرَاءِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الأَمْوالِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلاَ وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، يُصَلُّونَ كمَا نُصَلِّي وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُم فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ

(١) متفق عليه (٢) صحيح البخاري

يَحُجُّونَ بِهَا وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ وَيَتَصَدَّقُونَ قَالَ: أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ بِمَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ، وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ، إِلاَّ مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتكبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، فَاخْتَلَفْنَا بَيْنَنَا، فَقَالَ بَعْضُنَا نُسَبِّحُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ وَنَحْمَدُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ وَنكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: تَقُولُ: سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ وَاللهُ أَكْبَرُ، حَتَّى يَكُونَ مِنْهُنَّ كُلِّهِنَّ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ" (١)

وزاد مسلمٌ في روايته: فَرَجَعَ فُقَراءُ المُهَاجِرِينَ إِلَى رسولِ الله -ﷺ-، فقالوا: سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا فَفَعَلُوا مِثْلَهُ؟ فَقَالَ رسُولُ الله -ﷺ-:"ذَلِكَ فَضْلُ الله يُؤتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ".

الدعاء بأن يرزقهم الله عمل الصالحات ويحشرهم مع الصالحين: قال تعالى: " فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩)" النمل ، وقال تعالى: " وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥)" الأحقاف.

قال تعالى: { رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١٠١)" يوسف.

التواصي بالحق والصبر: قال تعالى: { وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)" العصر.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمسارعة إلى الخيرات: قال تعالى: { وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦)" آل عمران.

طاعة الله ورسوله ﷺ: قال تعالى: { وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٦٩)" النساء.

قال تعالى: " مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ

(١) متفق عليه

فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩)" الفتح.

حماية النبي ﷺ: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ أَرِقَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ لَيْتَ رَجُلاً صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِى يَحْرُسُنِى اللَّيْلَةَ. قَالَتْ وَسَمِعْنَا صَوْتَ السِّلاَحِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- «مَنْ هَذَا». قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِى وَقَّاصٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ جِئْتُ أَحْرُسُكَ. قَالَتْ عَائِشَةُ فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-حَتَّى سَمِعْتُ غَطِيطَهُ" (١).

والغطيط: الصوت الذي يخرج من نفس النائم.

الإقدام على الخير: عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-يَقُولُ «أَسْرِعُوا بِالْجَنَازَةِ فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَرَّبْتُمُوهَا إِلَى الْخَيْرِ وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ ذَلِكَ كَانَ شَرًّا تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ» (٢).

اغتنام الفرص : عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: " ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشرة " قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: " ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء " (٣)

المرأة الصالحة خير متاع: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ «الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ» (٤).

بر الوالدين: عن أُسَيْر بن عمرو، ويقال: ابن جابر وَهُوَ -بضم الهمزة وفتح السين المهملة -قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ -رضي الله عنه- إِذَا أتَى عَلَيهِ أمْدَادُ أهْلِ اليَمَنِ سَألَهُمْ: أفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ حَتَّى أتَى عَلَى أُوَيْسٍ -رضي الله عنه-، فَقَالَ لَهُ: أنْتَ أُوَيْسُ ابْنُ عَامِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ، فَبَرَأْتَ مِنْهُ إلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: لَكَ وَالِدةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله -ﷺ-، يقول: ((يَأتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أمْدَادِ أهْلِ اليَمَنِ مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ، فَبَرَأَ مِنْهُ إلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أقْسَمَ عَلَى الله لأَبَرَّهُ، فإنِ اسْتَطَعْتَ أنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَل)) فَاسْتَغْفِرْ لي فَاسْتَغْفَرَ لَهُ....." (٥)

انظار المعسر: عَنْ ربعي بْنِ حِرَاشٍ أَنَّ حُذَيْفَةَ حَدَّثَهُمْ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- «تَلَقَّتِ الْمَلاَئِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَقَالُوا أَعَمِلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا قَالَ لاَ. قَالُوا تَذَكَّرْ. قَالَ كُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ فَآمُرُ فِتْيَانِى أَنْ يُنْظِرُوا الْمُعْسِرَ وَيَتَجَوَّزُوا عَنِ الْمُوسِرِ -قَالَ -قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ تَجَوَّزُوا عَنْهُ» (٦).

---

(١) صحيح مسلم
(٢) صحيح مسلم
(٣) صحيح البخاري
(٤) صحيح مسلم
(٥) صحيح مسلم
(٦) متفق عليه

المسارعة إلى الخيرات: قال تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} آل عمران:١٣٣، وقال تعالى: {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ} الحديد:٢١.

قيام الليل: قال تعالى: {وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا} الفرقان:٦٤

الصيام: عن أَبي هريرة -ﷺ-، عن رسول الله -ﷺ-، قَالَ: ((تُعْرَضُ الأَعْمَالُ يَومَ الإِثْنَيْنِ وَالخَمِيسِ، فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ)) (١)

سقي الغير بالماء: عن ابن عباس ﷺ: أن رسول الله ﷺ جاء إلى السقاية فاستسقى فقال العباس: يا فضل اذهب إلى أمك فأت رسول الله ﷺ بشراب من عندها فقال: اسقني فشرب منه ثم أتى زمزم وهم يستقون ويعملون فيها فقال: اعملوا فإنكم على عمل صالح ثم قال: لولا أن تغلبوا لنزلت حتى أضع الحبل على هذه يعني عاتقه وأشار إلى عاتقه" (٢).

[ش (السقاية) الموضع الذي يسقى فيه الماء. (ويعملون فيها) ينزحون منها الماء. (لولا أن تغلبوا) بأن يجتمع عليكم الناس إذا رأوني أعمل اقتداء بي فيغلبوكم عليها لكثرتهم]

أعمال صالحة تظل صاحبها في ظل عرش الرحمن: عن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ" (٣)

مجالسة الصالحين ومحبتهم: قال الشّافعيّ-رحمه الله-:

أحبّ الصّالحين ولست منهم لعلّي أن أنال بهم شفاعة
وأكره من تجارته المعاصي ولو كنّا سواء في البضاعة (٤)

وقال أبو العتاهية:

وإذا تناسبت الرّجال، فما أرى ** نسبا يقاس بصالح الأعمال
وإذا بحثت عن التّقيّ وجدته ** رجلا يصدّق قوله بفعال
وإذا اتّقى الله امرؤ وأطاعه ** فتراه بين مكارم ومعالي (٥)

(١) صحيح سنن الترمذي
(٢) صحيح البخاري
(٣) متفق عليه
(٤) ديوان الشافعي
(٥) ديوان أبو العتاهية

العمل بما علم: قال عمر بن الخطّاب-ﷺ-: «لا يغركم من قرأ القرآن إنّما هو كلام نتكلّم به ولكن انظروا من يعمل به» [١]

وقال عليّ بن أبي طالب-ﷺ-«ارتحلت الدّنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكلّ واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدّنيا، فإنّ اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل» [٢] ، وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى في الأذكار: (اعلم أنه لمن بلغه شيء من فضائل الأعمال أن يعمل به ولو مرة واحدة ليكون من أهله ولا ينبغي أن يتركه مطلقا بل يأتي بما تيسر منه لقول النبي ﷺ: "إذا أمرتكم بشيء فأتوا مما استطعتم " [٣]

وقال محمّد بن أبي عليّ الأصبهانيّ لبعضهم:

اعمل بعلمك تغنم أيّها الرّجل ** لا ينفع العلم إن لم يحسن العمل
والعلم زين وتقوى الله زينته ** والمتّقون لهم في علمهم شغل
وحجّة الله ياذا العلم بالغة ** لا المكر ينفع فيها لا ولا الحيل
تعلّم العلم واعمل ما استطعت به ** لا يلهينّك عنه اللهو والجدل [٤]

كل معروف هو عمل صالح: عن أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ قَالَ: فَيَعْمَلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَوْ لَمْ يَفْعَلْ قَالَ: فَيُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ قَالَ: فَيَأْمُرُ بِالْخَيْرِ أَوْ قَالَ: بِالْمَعْرُوفِ قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ قَالَ: فَيُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهُ لَهُ صَدَقَةٌ" [٥] وغيرها من الأعمال الكثير والكثير .....

فكن من الذين يعملون الصالحات في كل وقت ما استطاعوا واجعل عملك خالصًا لوجه الله تعالى والأجر عند الله عظيم، وإياك من الكسل عن عمل الصالحات فغدًا سياتي يوم يندم فيه كل من ضيع عملا واحدا صالحا بل ويتمنى ان يعود إلى الدنيا ليعمل صالحا، فيا أيها المسلم ها هو الوقت امامك فلا تضيعه ثم تندم عليه.

ثالثًا: أهمية استغلال الوقت

---

(١) اقتضاء العلم العمل، للخطيب البغدادي
(٢) اقتضاء العلم العمل، للخطيب البغدادي
(٣) صحيح مسلم
(٤) اقتضاء العلم العمل، للخطيب البغدادي
(٥) متفق عليه

أقسم الله تعالى به، وأنه لا يقسم إلا بعظيم: وكلما تكرر القسم بشيء دل على أهميته، ولو تدبرنا قوله تعالى (والفجر) سورة الفجر، وقوله عز وجل (والليل إذا يغشى * والنهار إذا تجلى) الليل وقوله سبحانه (والضحى * والليل إذا سجى) سورة الضحى ، ثم تدبر أيضاً قوله تعالى: (والعصر) تدرك أنه أقسم بالزمان كله، وما هذا إلا لأهميته، وهذه الأهمية مصدرها أن الوقت هو الزمن الذي تقع فيه الأعمال، وهذه الأعمال (خيرها وشرها) هي التي يقدمها البشر لينالوا بها جزاء الخالق.

الوقت من منازل السائرين إلى رب العالمين: قال الهروي ((ومن منازلهم: الوقت، قال تعالى: {ثم جئت على قدر يا موسى})) [١] ، وقال ابن القيم رحمه الله:((إذا أراد الله بالعبد خيرا أعانه بالوقت، وجعل وقته مساعدا له، وإذا أراد به شرا جعل وقته عليه، وناكده وقته!))

وجوب استغلال الوقت في العمل الصالح: كان ابن عمر ﷺ يقول: (إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك) [٢]

وعن ابن عباس ﷺ قال قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك" [٣]

نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: عن ابن عباس ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ -: ((نِعْمَتَانِ مَغبونٌ فيهما كَثيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، وَالفَرَاغُ)) [٤] ، هل سألت نفسك أخي منذ متى عملت عملاً صالحاً خالصاً لوجه الله...! ، كرر على نفسك السؤال وفكر فيه... إن كثيرا من الناس لم يسألوا أنفسهم هذا السؤال! وكثير من الناس ربما يحرجون إذا سألوا أنفسهم هذا السؤال!

سرعة مرور الوقت:

مرت سنين بالوصال وبالهنا *** فكأنها من قصرها أيام
ثم انثنت أيام هجر بعدها *** فكأنها من طولها أعوام
ثم أنقضت تلك السنون وأهلها *** فكأنها وكأنهم أحلام

الحياة الدنيا لعب ولهو فاحذر ان تغرك: قال تعالى: (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)

---

(١) منازل السائرين (٢) صحيح البخاري (٣) صحيح الترغيب والترهيب (٤) صحيح البخاري

ليت أنَّ الوقت يُباع ويُشترى: يقول الشيخ جمال الدين القاسمي ــ عليه رحمة الله ــ أنَّه مرَّ بشباب يلهون ويضيعون أوقاتهم بالحرام فقال: ليت أنَّ الوقت يباع ويشترى لاشتريت منهم أوقاتهم، تحسراً على ذهاب وقت بعضهم دون أن يستفيد منه، وتمنياً لكثرة أشغاله فيما لو كان الوقت يباع ويشترى لاشترى من هؤلاء وقتهم !!

الحساب عليه يوم القيامة: وعن أَبي برزة -براء ثُمَّ زاي -نَضْلَة بن عبيد الأسلمي -ﷺ-، قَالَ: قَالَ رَسُول الله -ﷺ-: ((لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَومَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أفنَاهُ؟ وَعَنْ عِلمِهِ فِيمَ فَعَلَ فِيهِ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسمِهِ فِيمَ أبلاهُ؟))[١]

الحسرة على ما ضاع من الوقت لم يستثمر في الخير: قال تعالى: (يومئذ يتذكر الإنسان وإنا له الذكرى * يقول يا ليتني قدمت لحياتي) سورة الفجر، وقال تعالى: (أن تقول نفس يا حسرتي ما قطرت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين) الزمر ، وقال ابن مسعود:(ما ندمت على شيء، ندمى على يوم غربت شمسه، نقص فيه أجلي، ولم يزد فيه عملي!)

صور استغلاله: إن صور استغلال الوقت أكثر من أن تحضر ، ومنها المحافظة على الصلوات في الجماعة ، والتبكير إلى المسجد وذكر الله ، وقراءة القرآن وخدمة الوالدين ، وصلة الأرحام ، والزيارات النافعة ، وعيادة المرضى ، والتعلّم والتعليم ، والدعوة إلى الخير ، والتفكر في خلق الله ، والتفكير في مصالح نفسك ومصالح وطنك وأمتك ، والعمل النافع المنتج ، وكتابة البحوث ، وحضور حلق العلم والقرآن ، والاستماع لكل نافع ومفيد ، ومساعدة المحتاجين و، وغير ذلك كثير ، بل إن انشغالك بالمباح ، ولو كان نوماً أو اضطجاعاً بنية ترويح النفس لتستعيد نشاطها وتقوى على الطاعة.....

وقال معاذ ﷺ: "أما أنا فأنام وأقوم، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي" [٢]

وقال عبد الرحمن بن حاتم الرازي عن حاله مع أبيه (أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي): "ربما كان يأكل فأقرأ عليه، ويمشي وأقرأ عليه، ويدخل الخلاء وأقرأ عليه، ويدخل البيت لطلب شيء وأقرأ عليه" [٣] ، وقال ايضا: كنا بمصر سبعة أشهر، لم نأكل فيها مرقة، كل نهارنا مقسم لمجالس الشيوخ، وبالليل النسخ والمقابلة، قال: فأتينا يوماً أنا ورفيق لي شيخاً، فقالوا: هو عليل، فرأينا في طريقنا سمكاً أعجبنا، فاشتريناه، فلما صرنا إلى البيت حضر وقت مجلس، فلم يمكنا إصلاحه

(١) صحيح سنن الترمذي (٢) صحيح البخاري (٣) سير أعلام النبلاء ٢٥١/١٣

ومضينا إلى المجلس، فلم نزل حتى أتى عليه ثلاثة أيام وكان أن يتغير، فأكلناه نيئاً، لم يكن لنا فراغ أن نعطيه من يشويه، ثم قال: لا يستطاع العلم براحة الجسد. (١)

رابعاً: الترهيب من عمل السيئات وضياع الأوقات

لا يصلح الله عمل المفسدين: قال تعالى: " فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (٨١)" يونس.

الخسران في الدنيا والآخرة الا إذا عمل الصالحات: قال تعالى: "وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)" العصر.

فالعمل الصالح مع الإيمان هو المنجي من الخسران وكم من شخص كتب عليه الخسران لأنه لم يعمل أو عمل لكن عمله لم يكن صالحا، ولا يكون العمل صالحا إلا بأن يكون موافقا لشرع الله تعالى، وأن يكون خالصا لوجهه سبحانه، ويخرج من دائرة العمل الصالح كل عمل مخترع لم يأت به الشرع وكل عمل أريد به غير وجه الله تعالى.

لايستوون : قال تعالى:(أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ)[ص: ٢٨] ، وقال تعالى:(وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ)[غافر: ٥٨]. ، وقال تعالى: " أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ"

يتمنى الرجوع الى الدنيا لعمل الصالحات: قال تعالى: "حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠)" المؤمنون ، وقال تعالى: " وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (١٢) وَلَوْ شِئْنَا لَآَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣) فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٤)" السجدة ،

(١) سير أعلام النبلاء ٢٦٦/١٣

وقال تعالى: " وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٣٧)" فاطر.

وقال تعالى: "وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}

اطلاع الله وعدم غفلته عن العمل الفاسد: قال تعالى: "وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيها وَاللَّهُ مُخْرِجٌ ما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِها كَذلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتى وَيُرِيكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣) ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ فَهِيَ كَالْحِجارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجارَةِ لَما يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهارُ وَإِنَّ مِنْها لَما يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْماءُ وَإِنَّ مِنْها لَما يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَما اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٧٤)"

يرى مقعده من النار وهو في القبر: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال "إن الميت يصير إلى القبر .....ويجلس الرجل السوء في قبره فزعا مشعوفا فيقال له فيم كنت فيقول لا أدري فيقال له ما هذا الرجل فيقول سمعت الناس يقولون قولا فقلته فيفرج له قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال له انظر إلى ما صرف الله عنك ثم يفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضا فيقال له هذا مقعدك على الشك كنت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله تعالى" (١).

عمله لا قيمة له: قال تعالى: {وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا} (الفرقان:٢٣)

وقال جل شأنه: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} (النور:٣٩)، فضرب الله مثلا لعمل الكافر بإنسان يمشي في وقت حار جداً في صحراء ليس فيها قطرة ماء فيرى سرابا يتوهم أنه ماء، حتى إذا وصل إليه لم يجد شيئا، وهكذا الكافر غير المؤمن يظن أنه يقدم إنجازاً كبيراً، لكن الحقيقة أن هذا الإنجاز لا وزن له يوم القيامة، وقال الإمام ابن كثير عند تفسير هذه الآية: "فكذلك الكافر، يحسب أنه قد عمل عملاً وأنه قد حصل شيئاً، فإذا وافى الله يوم القيامة وحاسبه عليها ونوقش على أفعاله لم يجد له شيئاً بالكلية، كما قال تعالى: {وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا}.

وقال تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ}.. يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: "هذا

(١) صحيح سنن ابن ماجة

مثل ضربه الله تعالى لأعمال الكفار الذين عبدوا معه غيره، وكذبوا رسله وبنوا أعمالهم على غير أساس صحيح، فانهارت فقال تعالى: {مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم} أي مثل أعمالهم يوم القيامة إذا طلبوا ثوابها من الله تعالى، لأنهم كانوا يحسبون أنهم كانوا على شيء، فلم يجدوا شيئاً إلا كما يتحصل من الرماد إذا اشتدت به الريح العاصفة {في يوم عاصف} أي ذي ريح شديدة عاصفة قوية، فلم يقدروا على شيء من أعمالهم التي كسبوا في الدنيا.

فنسال الله تعالى ان يجعلنا ممن يعملون الصالحات ليلًا ونهارا إنه وليُّ ذلك والقادر عليه

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

۞۞۞۞۞۞۞۞۞

الجود والكرم في الإسلام

الحمد لله الذي أرسى الجبال وأجرى الأنهار، وأنزل الغيث وأنبت الأشجار، وسخر لنا الفلك ومهد لها أمواه البحار، وخلق الشمس والقمر وقلب الليل والنهار، صورنا فأحسن صورنا وجعل لنا السمع والأفئدة والأبصار، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار.

وأشهد أن لا إله إلا الله القوى الجبار، المستوى على عرشه دون حلول أو مماسة أو استقرار، العظمة رداؤه والكبرياء له إزار، ليس كمثله شيء فلا تصل إلى كنه ذاته العقول والأفكار، اللطيف الخبير فلا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار .

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المختار، إمام المتقين والأبرار، المسلم من العيوب والمطهر من الأوضار، المنصور بالرعب على مسيرة شهر في كل الأمصار، إذا جاهد فالسيف فى يده بتار، وإذا سالم استوى في أمانه المسلمون والكفار، إذا سئل شيئا أعطاه بغير انتظار، إذا سكت علاه البهاء والوقار، وإذا تكلم خرج من فمه نور كنور الفجر وقت الإسفار، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الأخيار، ما تعاقب الليل والنهار، ومادامت الشمس في فلكها والقمر في المدار،

العناصر

أولاً: مفهوم الجود والكرم ثانيًا: أهمية الجود والكرم وفوائدهما

ثالثاً: بعض من وصفوا بالجود والكرم رابعًا: مجالات الجود والكرم

الموضوع

أولاً: مفهوم الجود والكرم

الجود: صفة تحمل صاحبَها على بذل ما يَنبغي من الخير لغير عِوَض ولا غرض.

والكرم: إنفاق المال الكثير بسهولة من النَّفس في الأمور الجليلة القدر، الكثيرةِ النَّفع.

وقيل هو: إنفاق المال الكثير بسهوله من النفس في الأمور الجليلة القدر والكثيرة النفع

وقيل هو التبرع بالمعروف قبل السؤال والإطعام في المحل والترفق بالسائل مع بذل النائل.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى عليه (الله تعالى جميل يحب كل جميل طيب يحب كل طيب نظيف يحب النظافة عليم يحب العلماء كريم يحب الكرماء سبحانه وتعالى جل شأنه)

والفرق بين الكرم والجود: قال القفوي: الكرم يكون مسبوقا باستحقاق السّائل والسّؤال منه.

والجود: صفة ذاتيّة للجواد ولا يستحقّ بالاستحقاق والسّؤال، والجواد يطلق على الله تعالى

ثانياً: أهمية الجود والكرم وفوائدهما

أمر به الله ورسوله الله ﷺ: عن المنذر بن جرير عن أبيه قال: كنَّا عند رسول الله ﷺ في صدر النَّهار، قال: فجاءه قوم حفاة عراة متابي النمارق أو العَباء، متقلِّدي السيوف، عامَّتُهم من مُضَر، بل كلُّهم من مُضَر، فتمعَّر وجهُ رسول الله ﷺ؛ لِما رأى بهم من الفاقَة، فدخل ثمَّ خرج فأمر بلالاً فأذَّن وأقام، فصلَّى ثمَّ خطب، فقال:)(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) إلى آخر الآية: (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) [النساء: ١]، والآية التي في الحشر: (اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ) [الحشر: ١٨]، تصدَّق رجلٌ من دينارِه، من درهمه، من ثوبه، من صاع بُرِّه؛ من صاع تَمره، حتى قال: ولو بشِقِّ تمرة)، قال فجاء رجل من الأنصار بصُرَّة كادَت كفُّه تَعجِز عنها، بل قد عجزَت، قال: ثمَّ تتابَع النَّاس، حتى رأيتُ كومين من طعامٍ وثياب، حتى رأيتُ وجهَ رسول الله ﷺ يتهلَّل كأنَّه مُذْهَبَةٌ، فقال رسول الله ﷺ:)من سَنَّ في الإسلام سنَّةً حسنة، فله أجرها وأجر من عَمِل بها بعده، من غير أن يَنقص من أجورهم شيء، ومن سَنَّ في الإسلام سنَّةً سيئة، كان عليه وِزرُها ووِزر من عَمل بها من بعده، من غير أن يَنقص من أوزارهم شيء) (١).

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: بينما نحن في سَفر مع النبي ﷺ إذ جاء رجلٌ على راحلة له، قال: فجعل يصرف بصرَه يمينًا وشمالاً، فقال رسول الله ﷺ:)من كان معه فَضل ظَهر، فليَعُدْ به على مَن لا ظَهر له، ومن كان له فَضلٌ من زاد، فليَعُد به على مَن لا زاد له)، قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر، حتى رأينا أنَّه لا حقَّ لأحدٍ منَّا في فضل (٢)

كرمٌ وبذلٌ واسعٌ وعطيَّة ** لا أين أذهب أنتم أعين الكَرَم
مَن كان بين فضيلة وكرامة ** لا ريب يفق أعين العدم

مضاعفة الأجر والثواب: قال تعالى:(مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)[البقرة: ٢٦١]

فعلى المسلِم أن يَنظر إلى المحتاجين الذين يقصدونه كما يَنظر إلى أسباب التجارة الرابحة، وليَعلَم أنَّ بذلَ اليوم وإن كان قليلاً فهو عند الله يوم القيامة أضعاف مضاعفة، لا يردُّه لصاحبه مِثلاً أو

(١) صحيح مسلم (٢) صحيح مسلم

مِثلَيْن، بل يردُّه أضعافًا مضاعَفة، قال سبحانه: (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [البقرة: ٢٤٥]، وقال عزَّ وجل: (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) [سبأ: ٣٩].

الأمن من الخوف والحزنِ يوم القيامة: قال تعالى:(الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)[البقرة: ٢٧٤].

وعن عقبة بن عامر ﷺ قال: (سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس) أو يقول: (حتى يحكم بين الناس) قال يزيد: فكان أبو الخير لا يخطئه يوم لا يتصدق فيه بشيء ولو كعكة ولو بصلة)(١).

زرع المحبة والمودة بين الناس: فبالعطاء والسَّخاء تصفو النفوسُ من أمراض الحقد والكراهية، وتمتلئ بالمودَّة والمحبَّة؛ فإنَّ النفوس مجبولة على محبَّة أهل الكرَم والسَّخاء والإحسان، وعلى بُغض أهل البخل والشحّ والإساءة.

ويُظهِر عيبَ المرء في الناس بُخلُه ** ويَستُره عنهم جميعًا سخاؤه
تغَطّ بأثواب السخاء فإنّني ** أرى كلَّ عيبٍ والسخاءُ غِطاؤه

وعن ابن شهاب قال: (قَالَ غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ الْفَتْحِ فَتْحِ مَكَّةَ ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَاقْتَتَلُوا بِحُنَيْنٍ فَنَصَرَ اللَّهُ دِينَهُ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ مِائَةً مِنَ النَّعَمِ ثُمَّ مِائَةً ثُمَّ مِائَةً. قَالَ ابْنُ شِهَابٍ حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ صَفْوَانَ قَالَ وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أَعْطَانِي وَإِنَّهُ لأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ (٢). فانظر كيف يتحول حال القلب بالعطاء والسَّخاء من بَغضاء إلى محبَّة، ومن عداوة إلى صداقة.

سبب في بركة المال ونموّه وزيادته: وَعْدٌ من الله الذي لا يُخلف وعدَه أنَّ مَن شَكر الله تعالى على نِعمه فوظفها في طاعته، زاده الله تعالى من فضله وجوده وإحسانه، قال سبحانه:(وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ)[إبراهيم: ٧].

فمن الخطأ وسوء الظنّ أن يظنَّ المرءُ أن الكرم والسَّخاء يَنقُص الثروةَ ويُقرِّب من الفقر، فهذا من وساوس الشيطان التي يلقيها في نفوس البخلاء، قال تعالى: (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) [البقرة: ٢٦٨]، والحق أنَّ الكرم سبيل السَّعَة

(١) صحيح ابن حبان (٢) صحيح مسلم

والغنى، وأنَّ السخاء سبب النَّماء، وأن الذي يجعل يديه مَمرًّا لعطاء الله يظلُّ مبسوطَ اليد بالنِّعمة، مكفولَ اليوم والغد بالعطاء الدَّائم من رحمة الله وكرمه وإحسانه.

وعن عائشة رضي الله عنها أنهم ذبحوا شاة فقال النبي ﷺ: ما بقي منها قالت ما بقي منها إلا كتفها قال بقي كلها غير كتفها) (١)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ (يَقُولُ الْعَبْدُ مَالِي مَالِي إِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلاَثٌ مَا أَكَلَ فَأَفْنَى أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَى أَوْ أَعْطَى فَاقْتَنَى -أي اذخره لنفسه في الآخرة -وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ) (٢).

الوقاية من مصارع السوء: وعن أبي أمامة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر)(٣)

الوقاية من النار: عَنْ ربعي بْنِ حِرَاشٍ قَالَ اجْتَمَعَ حُذَيْفَةُ وَأَبُو مَسْعُودٍ فَقَالَ حُذَيْفَةُ (رَجُلٌ لَقِىَ رَبَّهُ فَقَالَ مَا عَمِلْتَ قَالَ مَا عَمِلْتُ مِنَ الْخَيْرِ إِلاَّ أَنِّى كُنْتُ رَجُلاً ذَا مَالٍ فَكُنْتُ أُطَالِبُ بِهِ النَّاسَ فَكُنْتُ أَقْبَلُ الْمَيْسُورَ وَأَتَجَاوَزُ عَنِ الْمَعْسُورِ. فَقَالَ تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِى). قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ هَكَذَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ)(٤).

الكرم خير من البخل: عن أبي أُمامة ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ وَأَنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ وَلاَ تُلاَمُ عَلَى كَفَافٍ وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى) (٥)

النهى عن التبذير: فمِن الواجب على المسلِم أن يَقتصد في مطالب نفسه؛ حتى لا تَسْتَنفِدَ مالَه كلَّه، وعليه أن يُشرك غيرَه فيما آتاه الله من فَضله، وأن يجعل في ثرْوته متَّسَعًا يُسعِفُ به المنكوبين ويُريح المتعَبين؛ ولذلك ورد الأمر بالإنفاق على القرابة والمساكين مقرونًا بالنهي عن التبذير، فقال تعالى:(وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا)[الإسراء: ٢٦، ٢٧].

ثالثًا: بعض من وصفوا بالجود والكرم

الجود والكرم من صفات الله عز وجل:

أ-الكريم من أسمائه، والجود والكرم من صفاته : قال تعالى:(يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ)[الانفطار: ٦ -٨]، وعن طلحة بن عبيد الله

(١) صحيح الترغيب والترهيب (٢) صحيح مسلم (٣) صحيح الترغيب والترهيب (٤) صحيح مسلم (٥) متفق عليه

بن كريز قال: قال رسول الله ﷺ: (إنَّ الله جواد يحبُّ الجوادَ، ويحب معاليَ الأخلاق، ويكره سَفْسافها) [١] ، ومعنى اسم الله (الكريم): قال أبو حامد الغزاليّ: والكريم من أسماء الله تعالى؛ هو الّذي إذا قدر عفا، وإذا وعد وفى، وإذا أعطى زاد على منتهى الرّجاء، ولا يبالي كم أعطى ولمن أعطى، وإن رفعت حاجة إلى غيره لا يرضى، وإذا جفي عاتب، ولا يضيع من لاذ به والتجأ. ويغنيه عن الوسائط والشّفعاء، فمن اجتمع له جميع ذلك لا بالتّكلّف، فهو الكريم المطلق وذلك لله سبحانه وتعالى فقط. وقيل: الكريم: هو الكثير الخير، الجواد المعطي الّذي لا ينفد عطاؤه، وهو الكريم المطلق. والكريم: الجامع لأنواع الخير والشّرف والفضائل. والكريم اسم جامع لكلّ ما يحمد، فالله-عزّ وجلّ-كريم حميد الفعال وربّ العرش الكريم العظيم.

ب-كل نعمة إنما هي من محض فضله وجوده: فما من نعمة يمنُّ الله تعالى بها على عباده إلاَّ وهي من محض فضله وجوده، وكرَمه وإحسانه؛ قال سبحانه:(وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ)[النحل: ٥٣]، وقال عز وجل:(وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا)[النحل: ١٨].

ج-الله هو الكريم الذي يَغفر للمذنبين: ويعفو عن المسيئين، ويقبل توبةَ التائبين؛(وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ)[الشورى: ٢٥، ٢٦].

د-الله هو الكريم الذي كرَّم الإنسان وفضَّله : قال تعالى(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً)[الإسراء: ٧٠].

ر-الله هو الكريم الذي يُعطي السائلين ويجيب دعوة المضطرين: قال تعالى(أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ)[النمل: ٦٢].

وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبيّ ﷺ قال: (إنَّ يمين الله مَلأى لا يَغِيضُها نفَقة، سَحَّاءُ الليل والنَّهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السَّموات والأرض؛ فإنَّه لم ينقص ما في يمينه، وعرشه على الماء، وبيده الأخرى القبض يَرفع ويخفض) [٢].

الجود والكرم من سمات الأنبياء والرسل:

أ-سيدنا إبراهيم عليه السلام: قال تعالى:(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ)[الذاريات].

(١) السلسلة الصحيحة (٢) متفق عليه

وعن ابن عمر ﷺ، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: (الكريمُ ابنُ الكريم ابنِ الكريم ابنِ الكريم؛ يوسفُ بنُ يعقوب بنِ إسحاق بنِ إبراهيم عليهم السلام) (١).

ب-سيدنا موسى عليه السلام : قال تعالى: (ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إليّ من خير فقير) [القصص: ٢٢٤]

ج-سيدنا عيسى عليه السلام: قال الله تعالى على لسان عيسى عليه السلام (وجعلني مباركاً أينما كنت) [مريم ٣١] أي نافعا في كل مكان.

د-نبينا المصطفى ﷺ : مَثَلٌ لا يُضاهى، وقدوة لا تُسامى في الجود والكرم، فقد بلغ صلوات الله وسلامه عليه مرتبةَ الكمال الإنساني في حبِّه للعطاء؛ إذ كان يعطي عطاءَ مَن لا يحسب حسابًا للفقر ولا يخشاه؛ ثِقةً بعظيمِ فضل الله، وإيمانًا بأنَّه هو الرزَّاق ذو الفضل العظيم، فعن أنس ﷺ أنَّ رجلاً سأل النبيَّ ﷺ غنمًا بين جبلين فأعطاه إيَّاه، فأتى قومَه فقال: أيْ قوم، أسلِموا؛ فوالله إنَّ محمدًا ليُعطي عطاءً ما يخاف الفقر، فقال أنس: (إنْ كان الرجل ليُسْلِم ما يُريد إلا الدنيا، فما يُسْلم حتى يكونَ الإسلام أحبَّ إليه من الدنيا وما عليها)(٢).

وعن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال:)لو كان لي مثلُ أحُدٍ ذهبًا ما يسرُّني أنْ لا يمرَّ عليَّ ثلاث وعندي منه شيء، إلا شيء أرْصُده لدَيْنٍ) (٣).

وعن عبد الله بن عبَّاس ﷺ قال: (كان رسول الله ﷺ أجودَ النَّاس، وكان أجودَ ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كلِّ ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلَرسولُ الله ﷺ أجوَدُ بالخير من الرِّيح المرسَلة) (٤).

وعَنْ سَعِيدٍ الجريري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ قُلْتُ لِعَائِشَةَ هَلْ كَانَ النبي ﷺ يُصَلِّي وَهُوَ قَاعِدٌ قَالَتْ نَعَمْ بَعْدَ مَا حَطَمَهُ النَّاسُ)(٥) والمراد أنه صار شيخا لما يحمله من أمورهم وأثقالهم

تَعوّد بَسْط الكفِّ حتَّى لو انَّهُ ** ثناها لِقَبْضٍ لم تجِبْه أناملُهْ
تراه إذا ما جئتَه مُتهلِّلاً ** كأنّك تُعطيه الذي أنت سَائلُهْ
ولو لم يكن في كفِّه غير رُوحِهِ ** لجَادَ بها فليتقِ اللهَ سَائلُهْ
هُو البَحْرُ من أيِّ النّواحي أتيتَه ** فلُجَّتُهُ المعروفُ والجُودُ ساحِلُهْ

(١) صحيح البخاري
(٢) صحيح مسلم
(٣) صحيح البخاري
(٤) متفق عليه
(٥) صحيح مسلم

الجود والكرم من سمات الصحابة الكرام: فعلى هذا الخُلق الكريم ربَّى رسولُ الله ﷺ أصحابَه، فكانوا يتنافسون في الجود والكرَم، ويتسابقون إلى البذل والعطاء، قال تعالى في وصفهم:(وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[الحشر: ٩].

أ-أبو بكر: عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: سمعتُ عمر بن الخطاب، ﷺ يقول: (أمرنا رسولُ الله ﷺ يومًا أن نتصدَّق، فوافق ذلك مالاً عندي، فقلتُ: اليوم أسبِق أبا بكر إنْ سبقتهُ يومًا، فجئتُ بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: (ما أبقيتَ لأهلِك؟)، قلت: مثله، قال: وأتى أبو بكر ﷺ بكلِّ ما عنده، فقال له رسولُ الله ﷺ: (ما أبقيتَ لأهلك؟) قال: أبقيتُ لهم اللهَ ورسولَه، قلتُ: لا أسابقك إلى شيء أبدًا)[١].

ب-عمر بن الخطاب: لما ولي عمر الخلافة خرج يتحسس أخبار المسلمين، فوجد أرملة وأيتاماً عندها يبكون، يتضاغطون من الجوع، فلم يلبث أن غدا إلى بيت مال المسلمين، فحمل وقر طعام على ظهره وانطلق فأنضج لهم طعامهم، فما زال بهم حتى أكلوا وضحكوا [٢]

كرم العرب وَجُودُهم في العصر الجاهلي: لقد كان الكرم والجود والسخاء من أبرز الصِّفات التي يتباهى بها الناسُ في العصر الجاهلي، وكان بعضهم مضربًا للمَثل في الجود والكرم فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (جلس إحدى عشرة امرأة، فتعاهدنَ وتعاقدنَ ألا يكتمْنَ من أخبار أزواجهنَّ شيئًا...) والذي يهمنا في الموضوع هو قول التاسعة والعاشرة منهنَّ -(قالت التاسعة: زوجي رفيع العماد، طويل النجاد، عظيم الرماد، قريب البيت من النَّاد، قالت العاشرة: زوجي مالكٌ، وما مالكٌ؟ مالكٌ خير من ذلك، له إبل كثيرات المبارك، قليلات المسارِح، وإذا سمعنَ صوت المزهر، أيقنَّ أنَّهنَّ هوالك)[٣].

إذا كان هذا هو حال العرب في جاهليَّتهم؛ فكيف بمن مَنَّ الله عليه بالإسلام ودعاه إلى أخلاقه؟ ألا يتألَّم قلبه، وتَدمع عينه، حين يرى إخوانًا له في الدِّين جياعًا حفاة عراة يفترشون الأرض، ويلتحفون السماء؟ ألا يَرِقُّ قلبه، وتجود يداه؟ ألا يشكرُ خالقَه ورازقَه على فضله وعطائه، بإنفاقه وإحسانه؟

---

(١) صحيح الترمذي (٢) الرياض النضرة ٣٨٥/١ (٣) متفق عليه

رابعاً: مجالات الجود والكرم

للكرم والجود صور عديدة، ومجالات متنوعة كثيرة، فيها يتنافس المتنافسون، ويجتهد المجتهدون، كلٌّ على حسب طاقته واستطاعته، ومن صور الجود والكرم:

بَذْل المسلم وعطاؤه من مال الله: الذي آتاه الله إيَّاه وأنعم به عليه من كل ما ينتفع به المرء؛ من مأكلٍ أو مشرب أو ملبس، أو مسكن أو دواء أو غير ذلك من أنواع الخير والبرِّ والإحسان

فعن ابن عمر ﷺ: أنَّ رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أيُّ النَّاس أحب إلى الله؟ وأيُّ الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله ﷺ: (أحبُّ النَّاس إلى الله تعالى أنفعُهم للناس، وأحبُّ الأعمال إلى الله تعالى سرورٌ تُدخِله على مسلم، أو تكشِف عنه كُربة، أو تقضي عنه دَينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأَن أمشي مع أخٍ في حاجة أحبُّ إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد -يعني مسجد المدينة- شهرًا، ومن كفَّ غضبه ستر الله عورتَه، ومن كظم غيظَه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبَه رجاءً يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجةٍ حتى يتهيَّأ له أثبت الله قدمَه يوم تزول الأقدام) [١].

بذل المرء وعطاؤه من علمه ومعرفته: فالكريم من لا يَكتم علمًا ولا معرفة، بل يُعَلِّم الناسَ ويدلهم على الخير، والبخيل هو الذي يَحتفظ بمعارفه وعلومه لنَفسه، بُخلاً ورغبة في الاستئثار والانفراد

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ (مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلاَلَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا). [٢] .

وعن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: ذُكِر لرسول الله ﷺ رجُلان أحدُهما عابد والآخَر عالم، فقال رسول الله ﷺ: (فَضل العالِم على العابِد كفضلي على أدناكم) ، ثمَّ قال رسول الله ﷺ: (إنَّ الله وملائكته وأهل السماوات والأرض، حتى النَّملة في جحرها وحتى الحوت -ليُصَلُّون على مُعلِّم الناسِ الخيرَ) [٣].

بَذل النصيحة لمن هو في حاجة إليها: فالكريم لا يَبخل على إخوانه بأي نصيحة تفيدهم وتنفعهم في دينهم أو دنياهم، وقد عدَّ النبيُّ ﷺ من حقوق المسلم على أخيه أن ينصحه إذا طلب منه النَّصيحة؛ (... وإذا استنصَحَك، فانصَحْ له...)، فعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ (الدِّينُ النَّصِيحَةُ) قُلْنَا لِمَنْ قَالَ (لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ). [٤] .

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب (٢) صحيح مسلم (٣) صحيح الترغيب والترهيب (٤) صحيح مسلم

بذل المرء وعطاؤه من أخلاقه وشِـيَمه: فالكريم يعطي من مكانته وجاهه، ويعطي من عَطفه وحنانه، ويعطي من طلاقة وَجْهه وابتسامة ثغره وحُلو كلامه، ويعطي من وقته وراحتِه، ويعطي من سَمعه وإصغائه، ويعطي من حبِّه ورحمته، ويعطي من دعائه وشفاعته، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: (أكمَل المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خلقًا، وخيركم خيركم لنسائهم) (١)

بذل العبد وعطاؤه من طاقات جسده وقوّتك : فالجواد يعطي من معونته وخدماته وجُهده، يمشي في مصالِح النَّاس، ويَتعب في مساعدتهم، ويَسهر من أجل معونتهم، ويسعى في خدمتهم...؛ فعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: (كلُّ سُلامَى من النَّاس عليه صدَقة كلَّ يوم تطلع فيه الشمس؛ تعدِل بين الاثنين صدَقة، وتعين الرجلَ في دابَّته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعَه صدَقة، والكلمة الطيِّبة صدقة، وكل خطوة تَمشيها إلى الصلاة صدَقة، وتميط الأذى عن الطَّريق صدَقة) (٢).

إكرام الوالدين ببرِّهما والإحسان إليهما بحسن القول والفعل والخُلق: فقد قال تعالى في وصيته لعباده:(وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا)[الإسراء: ٢٣، ٢٤].

إكرام الأهل والأقارب: فمِن أحق النَّاس بجودك وكرمك أهلُك وقرابتك، بإكرامهم تكون الصلة ويكون التماسك الأُسري، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِى رَقَبَةٍ وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِى أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ) (٣) لأنَّ النَّفقة على القريب صِلَة وصدَقة.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (خيرُكم خيركم لأهله، وأنا خيرُكم لأهلي) (٤)

إكرام من أساء بالعفو عند القدرة: وهو أن تقابل الإساءة بالإحسان: (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) [فصلت: ٣٤]، فإذا ظلمك أحد أو شاتمك وأنت تقدر على أن تنتقم منه أو تعاقبه ومع ذلك عفوت عنه فأنت – حينئذٍ – كريم؛ وقد ضرب بالأحنف بن قيس المثل في الحلم والكرم بالعفو عند المقدرة؛ وقيل له: كيف وصلت إلى هذه المنزلة؟ فقال: ما آذاني أحد إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاث: إن كان فوقي عرفت له فضله، وإن كان مثلي تفضّلت عليه، وإن كان

(١) صحيح الترغيب والترهيب (٢) متفق عليه (٣) صحيح مسلم (٤) صحيح الترغيب والترهيب

دوني أكرمت نفسي عنه.

إكرام الجار والضيف: فالكريم مَن يُكرم جارَه، والكريم من يُكرم ضيفَه ويكرم زائرَه، فذاك دليل على إيمان العبد بالله واليوم الآخر، فعَنْ أَبِى شُرَيْحٍ الْعَدَوِىِّ أَنَّهُ قَالَ سَمِعَتْ أُذُنَاىَ وَأَبْصَرَتْ عَيْنَاىَ حِينَ تَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ). قَالُوا وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ (يَوْمُهُ وَلَيْلَتُهُ وَالضِّيَافَةُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ -وَقَالَ -مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ) [١]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : إِنِّي مَجْهُودٌ ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ ، فَقَالَتْ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى ، فَقَالَتْ : مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ ، فَقَالَ : (مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ ؟) ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ : هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ ؟ ، قَالَتْ : لَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي ، قَالَ : فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئْ السِّرَاجَ وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ فَقُومِي إِلَى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ ، قَالَ : فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : (قَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ)[٢] .

إذا المرءُ وافـى مـنزلاً منك قاصـدًا ** قراكَ وأرمَـتْهُ لديـك المسـالكُ
فكن بـاسـمًا فـي وجـهـه مُتـهـللاً ** وقل مرحبًـا أهلاً ويومٌ مباركُ
وقـدم لـه مـا تستـطيـع مـن القِرَى ** عجولاً ولا تبخل بما هو هالِكُ
فـقـد قيـل ببـيـتِ سـالـفِ مُتقـدّمِ ** تداولـهُ زيـدٌ وعَمـرو ومالكُ
بشاشـة وجْه المـرء خيرٌ من القِرَى ** فكيف بمن يـأتي وهو ضَـاحِكُ

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) متفق عليه (٢) صحيح مسلم

فضل الدعاء

الحمد لله الذي أعطى ومنع، وخفض ورفع، وفرّق وجمع، ووصل وقطع، وأضحك وأبكى، وأمات وأحيا، وأغنى وأقنى، وأوجد وأفنى، وأباد بسطوته الأمم الغابرة، سبحانه قرّب أوليائه من بساط أفضاله، ولقاهم السرور بيمن إقباله، وأحيا قلوبهم شهود جماله، وعاملهم بجزيل نواله، فهم في جنة عالية.

واشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير

إليك من مكرك يا سيدي ** كل البرايا دائما يحذرون
فكم ذنوب وعيوب مضت ** ونحن عنها يا سيدي غافلون
فنحن يا رب الورى كلنا ** إليك من زلاتنا هاربون
لكنا نسأل رب الورى ** عفوا وصفحا كي تقر العيون

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه

آيات أحمد لا تحد لواصف ** ولو أنه أملى وعاش دهورا
بشراكموا يا أمة المختار ** في يوم القيامة جنة وحريرا
فضلتموا حقا بأشرف مرسل ** خير البرية باديا وحضورا
صلى عليه الله ربي دائما ** ما دامت الدنيا وزاد كثيرا

وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين.

العناصر

أولًا: الترغيب في الدعاء ثانيًا: مواطن استحباب الدعاء

ثالثًا: الآداب والوسائل المعينة على إجابة الدعاء

رابعًا: موانع إجابة الدعاء خامسًا: قصص ونماذج

الموضوع

تعريف الدعاء

الدعاء لغة: مأخوذ من مادّة (د ع و) الّتي تدلّ في الأصل على إمالة الشّيء إليك بصوت وكلام يكون منك، ومن هذا الأصل الدّعاء في معنى الرّغبة إلى الله عزّ وجلّ.

الدعاء اصطلاحا: قال الطّيبيّ: هو إظهار غاية التّذلّل والافتقار إلى الله والاستكانة له [١]، وقال المناويّ: هو لسان الافتقار بشرح الاضطرار، وقيل: هو شفيع الحاجة ونجحها باللّجاجة، وقيل: هو طلب كشف الغمّة بتطلّع موضع القسمة [٢].

أقسام الدعاء:

دعاء العبادة: فهو الّذي يتضمّن الثّناء على الله بما هو أهله ويكون مصحوبا بالخوف والرّجاء.

ودعاء المسألة: هو طلب ما ينفع الدّاعي، وطلب كشف ما يضرّه ودفعه، وكلّ من يملك الضّرّ والنّفع فإنّه هو المعبود (بحقّ).

والدّعاء في القرآن يراد به هذا تارة، وهذا تارة، ويراد به مجموعهما وهما متلازمان، فالعبد يدعو للنّفع أو دفع الضّرّ دعاء المسألة ويدعو خوفا ورجاء دعاء العبادة فكلّ دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة وكلّ دعاء مسألة متضمّن لدعاء العبادة، وقد ورد المعنيان جميعا في قوله سبحانه: ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ* وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (الأعراف/ ٥٥٦).

أولًا: الترغيب في الدعاء

من صفات الملائكة: قال تعالى: " الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وَأَزْواجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ السَّيِّئاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩)" غافر.

من صفات الأنبياء: قال تعالى: " وَزَكَرِيَّا إِذْ نادى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنا لَهُ وَوَهَبْنا لَهُ يَحْيى وَأَصْلَحْنا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كانُوا يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَيَدْعُونَنا رَغَباً وَرَهَباً وَكانُوا لَنا خاشِعِينَ (٩٠)" الأنبياء ، وقال تعالى: " وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَيْتِ

(١) فتح الباري ١١/ ٩٥

(٢)التوقيف على مهمات التعريف

وَإِسْماعِيلُ رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنا وَاجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنا مَناسِكَنا وَتُبْ عَلَيْنا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨)" البقرة.

من صفات المؤمنين: قال تعالى: " آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقالُوا سَمِعْنا وَأَطَعْنا غُفْرانَكَ رَبَّنا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥) لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها لَها ما كَسَبَتْ وَعَلَيْها مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِينا أَوْ أَخْطَأْنا رَبَّنا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنا إِصْراً كَما حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنا رَبَّنا وَلا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنا وَارْحَمْنا أَنْتَ مَوْلانا فَانْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ (٢٨٦)" البقرة.

من صفات عباد الرحمن: قال تعالى: "وَعِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِياماً (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذابَها كانَ غَراماً (٦٥) إِنَّها ساءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقاماً (٦٦) وَالَّذِينَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكانَ بَيْنَ ذلِكَ قَواماً (٦٧)" الفرقان.

من صفات أهل الجنة: قال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٩) دَعْواهُمْ فِيها سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيها سَلامٌ وَآخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (١٠)" يونس.

أمر الله بدعائه واللجوء إليه: قال الله تعالى: {وقال ربكم ادعوني أستجب لكم} [غافر (٦٠)].

قال البغوي: أي اعبدوني دون غيري، أجبكم، وأثبكم، وأغفر لكم، فلما عبر عن العبادة بالدعاء، جعل الإثابة استجابة، وقال تعالى: {ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين}الأعراف ، أي: المتجاوزين. قال أبو مجلز: هم الذين يسألون منازل الأنبياء. وقال ابن جريج: من الاعتداء رفع الصوت، والنداء بالدعاء والصياح. وقال ابن جرير: {تضرعا}: تذللا واستكانة لطاعته. و {خفية}. يقال: بخشوع قلوبكم، وصحة اليقين بواحدنيته وربوبيته، فيما بينكم وبينه لا جهارا ومرآة.

الدعاء هو العبادة: عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله ﷺ إن الدعاء هو العبادة ثم قرأ (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) [1] يعني: أن الدعاء هو خالص العبادة والعبادة لا تقوم إلا بالدعاء

قال القاضي عياض: أي: هو العبادة الحقيقة التي تستأهل أن تسمى عبادة، لدلالته على الإقبال على الله، والإعراض عما سواه. وقد قال الله تعالى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} ... [الجن

(١) صحيح سنن ابن ماجة

(١٨)]. وقال تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غافر (٦٠)].

وقال تعالى: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ} [الأحقاف (٥، ٦)] (١).

الله تعالى قريب يسمع ويجيب: قال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦)} [البقرة].

لأنّه لا وسيط بين عبد ذليلٍ ترك كل البشر وجاء يدعو الله، فالله وعده بالإجابة ما دام يدعوه.

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره: بذلك وإذا سَألك يا محمد عبادي عَني: أين أنا؟ فإني قريبٌ منهم أسمع دُعاءهم، وأجيب دعوة الداعي منهم. (٢)

الدعاءُ طاعةٌ لله، وامتثال لأمره: قال تعالى: "وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ". [سورة غافر: الآية ٦٠]

إجابة دعوة المضطر : قال تعالى: {أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ } أي: من هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه، والذي لا يكشف ضر المضرورين سواه. {ويجعلكم خلفاء الأرض}، أي: خلفا بعد سلف {أإله مع الله} يقدر على ذلك

إذا أرهقتك هموم الحياة ** ومسّك منها عظيم الضرر
وذقت الأمرّين حتى بكيت ** وضجّ فؤادك حتى انفجر
وسُدّت بوجهك كل الدروب ** وأوشكت تسقط بين الحفر
فيمم إلى الله في لهفة ** وبُثّ الشكاة لرب البشر

الدعاء أكرم شيء على الله تعالى: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ: "لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ الدُّعَاءِ"(٣)، أي من أفضل العبادات وأجل القربات إلى الله تعالى.

شفاعة النبي يوم القيامة: وعن جابر -ﷺ-: أنَّ رسول الله -ﷺ-، قَالَ: ((مَنْ قَالَ حِيْنَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاَةِ القَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّداً الوَسِيلَةَ، وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ)) (٤)

(١) تطريز رياض الصالحين (٢) تفسير الطبري (٣) صحيح الترغيب والترهيب (٤) صحيح البخاري

الدعاء سلامة من العجز، ودليل على الكياسة: عن أبي هريرة، ﷺ، قال: قال ﷺ: "أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنْ الدُّعَاءِ وَأَبْخَلُ النَّاسِ مَنْ بَخِلَ بِالسَّلَامِ"(١).

الداعي في معية الله: عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِى بِى وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دعاني» (٢).

لا يرد القضاء إلا الدعاء: عن سلمان الفارسي قال: قال رسول الله ﷺ: " لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر " (٣) فمن أثر الدعاء إذا دعوت الله تعالى بكشف ضر فهذا قد كتب في الأزل في اللوح المحفوظ أن الله تعالى يرفع هذا الضر عنك بدعائك.

ذهاب الهموم وتفريج الكروب: عن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن فقال اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحدا من خلقك أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرجا قال فقيل يا رسول الله ألا نتعلمها فقال بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها" (٤)

ثلاثة لا ترد دعوتهم: عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ ثلاثة لا ترد دعوتهم الإمام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم يرفعها الله دون الغمام يوم القيامة وتفتح لها أبواب السماء ويقول بعزتي لا نصرنك ولو بعد حين (٥).

حفظ الأهل والذرية: قال تعالى: وإِذْ قالَتِ امْرَأَتُ عِمْرانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ ما فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْها قالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُها أُنْثى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثى وَإِنِّي سَمَّيْتُها مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُها بِكَ وَذُرِّيَّتَها مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ (٣٦) فَتَقَبَّلَها رَبُّها بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَها نَباتاً حَسَناً وَكَفَّلَها زَكَرِيَّا كُلَّما دَخَلَ عَلَيْها زَكَرِيَّا الْمِحْرابَ وَجَدَ عِنْدَها رِزْقاً قالَ يا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هذا قالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ (٣٧) هُنالِكَ دَعا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعاءِ (٣٨)" آل عمران.

النجاة من المهالك: قال تعالى: " قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُماتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجانا مِنْ هذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْها وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ *"

(١) السلسلة الصحيحة
(٢) صحيح مسلم
(٣) السلسلة الصحيحة
(٤) السلسلة الصحيحة
(٥) صحيح سنن ابن ماجة

الدعاء لا يضيع أبدا: عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث إما أن يعجل له دعوته وإما أن يدخرها له في الآخرة وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها قالوا إذا نكثر قال الله أكثر" [١] فيعجل له بدعوته باستجابتها في الدنيا، أو يدخر له أجر دعائه يوم القيامة فيكافئه بالثواب العظيم، أو يصرف عنه مصائب أو بلاء كان لا يتوقعه أو مرض أو حريق .....

غضب الله عند ترك اللجوء إليه: عن أبي هريرة، ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: "من لم يدع الله يغضب عليه"[٢]

لا تطلبن بني آدم حاجة ** وسل الذي أبوابه لا تغلق
الله يغضب إن تركت سؤاله ** وبني آدم حين يسأل يغضب

ثانياً: مواطن استحباب الدعاء

عند السجود: عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-قَالَ «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ» [٣] فينبغي الحرص على كثرة الدعاء أثناء السجود فهو أرجى بالقبول والاستجابة.

في جوف الليل: عَنْ جَابِرٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِىَّ -ﷺ- يَقُولُ «إِنَّ فِى اللَّيْلِ لَسَاعَةً لاَ يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ» [٤].

عن أَبي أمامة -ﷺ -قَالَ: قيل لِرسولِ اللهِ -ﷺ -: أيُّ الدُّعاءِ أَسْمَعُ؟ قَالَ: ((جَوْفَ اللَّيْلِ الآخِرِ، وَدُبُرَ الصَّلَواتِ المَكْتُوباتِ)) [٥]، وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِى فَأَسْتَجِيبَ لَهُ وَمَنْ يَسْأَلُنِى فَأُعْطِيَهُ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِى فَأَغْفِرَ لَهُ » [٦].

يوم الجمعة: عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ -ﷺ- « إِنَّ فِى الْجُمُعَةِ لَسَاعَةً لاَ يُوَافِقُهَا مُسْلِمٌ قَائِمٌ يُصَلِّى يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ ». وَقَالَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا يُزَهِّدُهَا [٧]

بين الآذان والإقامة: عن أنس - ﷺ - ، قَالَ : قَالَ رسول الله - ﷺ - : ((الدُّعَاءُ لاَ يُرَدُّ بَيْنَ الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ)) [٨]

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب
(٢) السلسلة الصحيحة
(٣) صحيح مسلم
(٤) صحيح مسلم
(٥) صحيح سنن الترمذي
(٦) متفق عليه
(٧) صحيح مسلم
(٨) صحيح الجامع

الدعاء لأخيه بظهر الغيب: عَنْ أَبِى الدَّرْدَاءِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ إِلاَّ قَالَ الْمَلَكُ وَلَكَ بِمِثْلٍ »[١].

دعوة المظلوم: وعن أبي هريرة - ﷺ- قال: قال رسول الله - ﷺ -: "دعوة المظلوم مستجابةٌ، وإن كان فاجرًا، ففُجُوره على نفسه" [٢]

وعن خزيمة بن ثابت ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: " اتقوا دعوة المظلوم ؛ فإنها تحمل على الغمام يقول الله جل جلاله : وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين " [٣]

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا ** فالظلم ترجع عقباه إلى الندم
تنام عينك والمظلوم منتبه ** تنام عينك والمظلوم منتبه

ثلاث لا ترد دعوتهم: عن أبي هريرة- ﷺ- قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات لا شكّ فيهنّ: دعوة الوالد، ودعوة المسافر، ودعوة المظلوم» [٤]

دعوة ذي النون: عن سعد بن أبي وقّاص- ﷺ- قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوة ذي النّون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلّا أنت سبحانك إنّي كنت من الظّالمين؛ فإنّه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قطّ إلّا استجاب الله له» [٥]

عند الاستيقاظ من النوم: عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ : " من تعار من الليل فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال : رب اغفر لي أو قال : ثم دعا استيجيب له فإن توضأ وصلى قبلت صلاته "[٦]

تعارّ: بالراء المشددة- أي تقلب على الفراش ليلا، وقيل: انتبه واستيقظ، وقيل: تمطّى وأنّ.

كثرة الدعاء في الرخاء: عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد فليكثر من الدعاء في الرخاء" [٧]

الدعاء بجوامع الدعاء: عن عائشة رَضِيَ اللهُ عنها ، قالت : كَانَ رسُولُ الله - ﷺ - يَسْتَحِبُّ الجَوَامِعَ مِنَ الدُّعَاءِ ، وَيَدَعُ مَا سِوَى ذَلِكَ . [٨] أي: يستحب الدعاء الجامع للمهمات والمطالب، فيكون قليل المبنى، جليل المعنى.

---

(١) صحيح مسلم
(٢) صحيح الترغيب والترهيب
(٣) السلسلة الصحيحة
(٤) صحيح سنن أبي داوود
(٥) صحيح سنن الترمذي
(٦) صحيح البخاري
(٧) صحيح الترغيب والترهيب
(٨) صحيح سنن أبي داوود

سؤال الهداية: عَنْ عَلِيٍّ قَالَ قَالَ لِى رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « قُلِ اللَّهُمَّ اهْدِنِى وَسَدِّدْنِى وَاذْكُرْ بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ وَالسَّدَادِ سَدَادَ السَّهْمِ » [١] والهدى: هنا الرشاد، وسداد العمل: تقويمه على السنة.

الدعاء بالمغفرة: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِى بَكْرٍ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- عَلِّمْنِى دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِى صَلاَتِى قَالَ « قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى ظُلْمًا كَبِيرًا - وَقَالَ قُتَيْبَةُ كَثِيرًا - وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ فَاغْفِرْ لِى مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِى إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ». [٢]

وفي رواية: «وفي بيتي» وروي: «ظلما كثيرا» وروي: «كبيرا» بالثاء المثلثة وبالباء الموحدة؛ فينبغي أن يجمع بينهما فيقال: كثيرا كبيرا. أي: ينبغي أن يحتاط فيجمع بين الروايتين. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: الأحسن أن يؤتى بالدعاء على إحدى الروايتين، ويعاد ثانيا باللفظ الآخر.

وعن أَبِى مُوسَى الأَشْعَرِىِّ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِىِّ -ﷺ- أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِى خَطِيئَتِى وَجَهْلِى وَإِسْرَافِى فِى أَمْرِى وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّى اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِى جِدِّى وَهَزْلِى وَخَطَئِى وَعَمْدِى وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِى اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِى مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّى أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ » [٣] ، فيه: استحباب الاستغفار بهذا الدعاء. قال بعض السلف: حسنات الأبرار سيئات المقربين. وقال بعضهم: هفوات الطبع البشري لا يسلم منها أحد. والأنبياء وإن عصموا من الكبائر لم يعصموا من الصغائر.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- كَانَ يَقُولُ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ « اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيَّامُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ أَنْتَ الْحَقُّ وَوَعْدُكَ الْحَقُّ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ حَقٌّ اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ وَبِكَ خَاصَمْتُ وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ فَاغْفِرْ لِى مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ أَنْتَ إِلَهِى لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ » [٤].

سؤال الله العافية: عن أَبي الفضل العباس بن عبد المطلب - ﷺ - قَالَ : قُلْتُ : يَا رسول الله عَلِّمْني شَيْئاً أسْألُهُ الله تَعَالَى، قَالَ : ((سَلوا الله العَافِيَةَ)) فَمَكَثْتُ أيَّاماً، ثُمَّ جِئْتُ فَقُلتُ : يَا رسولَ الله عَلِّمْني شَيْئاً أسْألُهُ الله تَعَالَى ، قَالَ لي : ((يَا عَبَّاسُ ، يَا عَمَّ رسول اللهِ ، سَلُوا الله العَافِيَةَ في الدُّنيَا والآخِرَةِ)) . [٥]، ففيه إرشاد إلى أنه ينبغي لكل أحد سؤال العافية في الدنيا بالسلامة من الأسقام، والمحن، والآلام. والآخرة بالعفو عن الذنوب، وإنالة المطلوب.

---

(١) صحيح مسلم
(٢) متفق عليه
(٣) متفق عليه
(٤) صحيح مسلم
(٥) صحيح سنن الترمذي

الدعاء بقضاء الدين: عن عليّ - ﷺ - : أنَّ مُكَاتباً جاءهُ فَقَالَ : إنِّي عَجِزْتُ عَنْ كِتَابَتِي فَأعِنِّي ، قَالَ : ألا أُعَلِّمُكَ كَلِماتٍ عَلَّمَنِيهِنَّ رسُولُ الله - ﷺ - ، لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلٍ دَيْناً أدَّاهُ اللهُ عَنْكَ ؟ قُلْ : ((اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلاَلِكَ عَنْ حَرَامِكَ ، وَأغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِواكَ)) [١] فيه: استحباب الدعاء بهؤلاء الكلمات.

التعوذ بالله من جهد البلاء: عن أبي هريرة - ﷺ - عن النبي - ﷺ - قال: « تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ جَهْدِ البَلاَءِ ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ ، وَسُوءِ القَضَاءِ ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ » [٢]

وفي رواية قال سفيان: أشك أني زدت واحدة منها. الجهد: المشقة. وكل ما أصاب الإنسان من شدة المشقة، وما لا طاقة له بحمله، ولا يقدر على دفعه عن نفسه، فهو من جهد البلاء. {ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به} [البقرة (٢٨٦)] ، قيل: إن التي زاد فيها سفيان هي شماتة الأعداء، وهذا دعاء جامع للتعوذ من شر الدنيا والآخرة.

التعوذ من شر الفتن وغيرها : عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- كَانَ يَدْعُو بِهَؤُلاَءِ الدَّعَوَاتِ « اللَّهُمَّ فَإِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَاىَ بِمَاءِ الثَّلْجِ وَالْبَرَدِ وَنَقِّ قَلْبِى مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ وَبَاعِدْ بَيْنِى وَبَيْنَ خَطَايَاىَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ اللَّهُمَّ فَإِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ وَالْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ »[٣]

قوله: «من فتنة النار» ، أي: الفتنة المسبب عنها النار. قوله: «ومن شر الغنى» ، أي: الشر المرتب عليه، كالكبر والعجب، والشره، والحرص، والجمع للمال من الحرام، والبخل، والشح. «وشر الفقر» : كالتضجر، لتبرم من القدر، والوقوع في المساخط بسببه.

وعن زياد بن عِلاَقَةَ عن عمه ، وَهُوَ قُطْبَةُ بنُ مالِكٍ - ﷺ - ، قَالَ : كَانَ النبيّ - ﷺ - يقول : ((اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الأخْلاَقِ ، وَالأعْمَالِ ، والأهْوَاءِ)) [٤]

والأخلاق المنكرة، كالعجب، والكبر، والخيلاء، والفخر، والحسد، والتطاول، والبغي، ونحو ذلك. والأعمال المنكرة، كالزنى وشرب الخمر، وسائر المحرمات. والأهواء المنكرة، كالاعتقادات الفاسدة، والمقاصد الباطلة. زاد الترمذي: (والأدواء) . وهي الأدواء المنكرة، كالبرص، والجنون والجذام، وسيء الأسقام.

---

(١) صحيح سنن الترمذي (٢) متفق عليه (٣) متفق عليه (٤) صحيح سنن الترمذي

وعَنْ فَرْوَةَ بْنِ نَوْفَلٍ الأَشْجَعِيِّ قَالَ سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَمَّا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يَدْعُو بِهِ اللَّهَ قَالَتْ كَانَ يَقُولُ « اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ ». (١)

قال الشارح: استعاذ - ﷺ - من أن يعمل في المستقبل من الزمان ما لا يرضاه الله تعالى. فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون. وقيل: استعاذ من أن يصير معجبا بنفسه في ترك القبائح، وسأل أن يرى ذلك من فضل الله عليه، لا بحوله وقوته. وهذا تعليم منه - ﷺ - لأمته، وأداء لحق الربوبية، وتواضعا للحضرة الإلهية (٢)

وعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ لاَ أَقُولُ لَكُمْ إِلاَّ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ كَانَ يَقُولُ « اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِى تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لاَ تَشْبَعُ وَمِنْ دَعْوَةٍ لاَ يُسْتَجَابُ لَهَا » (٣)

فالعلم الذي لا ينفع، هو الذي لا يعمل به. وقيل: هو الذي لا يهذب الأخلاق الباطنة، فيسري منها إلى الأفعال الظاهرة وأنشد: ؟؟ ... يا من تباعد عن مكارم خلقه ... ليس التفاخر بالعلوم الزاخرة من لم يهذب علمه أخلاقه ... لم ينتفع بعلومه في الآخرة

وعن شَكَلِ بن حُمَيدٍ - ﷺ - قَالَ : قلتُ : يَا رسولَ الله ، علِّمْنِي دعاءً ، قَالَ : ((قُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي أعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي ، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي ، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي ، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي ، وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي)) يستعيذ بالله منها أن تواقعه في المعاصي، أو لا يستعملها في الطاعات، ومنيي أي الفرج.

وعن أَبي هريرة - ﷺ- قَالَ : كَانَ رسولُ الله - ﷺ - يقول : ((اللَّهُمَّ إِنِّي أعُوذُ بِكَ مِنَ الجُوعِ ، فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ ، وأعوذُ بِكَ منَ الخِيَانَةِ ، فَإِنَّهَا بِئْسَتِ البِطَانَةُ)) (٤) فيه: مشروعية الإستعاذة من الجوع لأنه يضعف القوى، ويخل بوظائف العبادة، والاستعاذة من الخيانة؛ لأنها من علامات النفاق.

الدعاء بخير ما دعا به رسول الله ﷺ والاستعاذة من شر ما استعاذ به

عن أبي أمامة - ﷺ- قال: دعا رسول الله - ﷺ - بدعاء كثير، لم نحفظ منه شيئا؛ قلنا: يا رسول الله، دعوت بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئا، فقال: «ألا أدلكم على ما يجمع ذلك كله؟ تقول: اللهم إني أسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد - ﷺ -؛ وأعوذ بك من شر ما استعاذ منه نبيك محمد - ﷺ - ، وأنت المستعان، وعليك البلاغ، ولا حول ولا قوة إلا بالله»(٥)

---

(١) صحيح مسلم
(٢) تطريز رياض الصالحين
(٣) صحيح مسلم
(٤) صحيح سنن أبي داوود
(٥) صحيح سنن الترمذي

بعض دعاء النبي ﷺ: عن أنس - ﷺ - قَالَ : كَانَ أكثرُ دعاءِ النبيّ - ﷺ - : ((اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)) [١] وزاد مسلم قال: وكان أنس إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بها، وإذا أراد أن يدعو بدعاء دعا بها فيه. يدخل في الحسنة، كل خير ديني ودنيوي، وصرف كل شر.

عَنْ أَبِى الأَحْوَصِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِىِّ -ﷺ- أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ « اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى ». [٢] والهدى: ضد الضلالة. والتقى: امتثال الأوامر واجتناب النواهي. والعفاف: الكف عن المعاصي والقبائح. والغنى: الاستغناء عن الحاجة إلى الناس.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- « اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ وَجَمِيعِ سَخَطِكَ » [٣] وخص فجاءة النقمة بالاستعاذة؛ لأنها أشد من أن تصيبه تدريجا

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ ، قَالَ : قَالَ رسُولُ الله - ﷺ - : ((اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبنَا عَلَى طَاعَتِكَ)) [٤] أي: صرف على طاعتك قلوبنا، فلا تنزعها بعد الهدى.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ « اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِى دِينِىَ الَّذِى هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِى وَأَصْلِحْ لِى دُنْيَاىَ الَّتِى فِيهَا مَعَاشِى وَأَصْلِحْ لِى آخِرَتِى الَّتِى فِيهَا مَعَادِى وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِى فِى كُلِّ خَيْرٍ وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِى مِنْ كُلِّ شَرٍّ ». [٥] ، هذا من الأدعية الجوامع، فإن الله تعالى إذا وفق العبد للقيام بآداب الدين، ورزقه من الحلال كفافا، ووفقه للإخلاص، وحسن الخاتمة، وأطال عمره على طاعته، ووقاه من الفتن، فقد حصل له سعادة الدنيا والآخرة.

ثالثاً: الآداب والوسائل المعينة على إجابة الدعاء

افتتاح الدعاء بحمد الله تعالى والثناء عليه، والصلاة على النبي ﷺ: عن فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ ، قَالَ : بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَاعِدًا إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " عَجِلْتَ أَيُّهَا الْمُصَلِّي ، إِذَا صَلَّيْتَ فَقَعَدْتَ فَاحْمَدِ اللَّهَ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، وَصَلِّ عَلَيَّ ثُمَّ ادْعُهُ " ، قَالَ : ثُمَّ صَلَّى رَجُلٌ آخَرُ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " أَيُّهَا الْمُصَلِّي ادْعُ تُجَبْ

---

(١) متفق عليه
(٢) صحيح مسلم
(٣) صحيح مسلم
(٤) صحيح مسلم
(٥) صحيح مسلم

"[١] ، وعن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب موقوفا قال إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك ﷺ[٢]

الاعتراف بالذنب والإقرار به: وفي هذا كمال العبودية لله تعالى، مثلما دعا يونس عليه السلام:

{فَنَادى فِي الظُّلُمَاتِ أن لآ إِلَهَ إِلآ أنتَ سُبحَانَكَ إِنّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} [الأنبياء:٨٧].

الإلحاح في الدعاء والعزم في المسألة: فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعْزِمْ الْمَسْأَلَةَ؛ وَلَا يَقُولَنَّ اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي فَإِنَّهُ لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ " [٣]

الوضوء واستقبال القبلة ورفع الأيدي حال الدعاء: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ:" خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى هَذَا الْمُصَلَّى يَسْتَسْقِي فَدَعَا وَاسْتَسْقَى ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَقَلَبَ رِدَاءَهُ "[٤]

وعن أبي موسى الأشعري: "لما فرغ النبي ﷺ من حنين دَعَا بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ بِهِ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أَبِي عَامِرٍ وَرَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ "[٥]

خفض الصوت والإسرار بالدعاء: قال تعالى: { ادعُوا رَبَكُم تَضَرُعاً وَخُفيَةً إِنَهُ لاَ يُحِبُ المُعتَدِينَ} [الأعراف:٥٥]. ، وقال تعالى: "قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها وَابْتَغِ بَيْنَ ذلِكَ سَبِيلًا (١١٠)" الإسراء.

وعن أَبِي مُوسى الأَشْعَرِيّ رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا غَزَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْبَرَ، أَوْ قَالَ: لَمَّا تَوَجَّهَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، أَشْرَفَ النَّاسُ عَلَى وَادٍ فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ لاَ إِله إِلاَّ اللهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ وَأَنَا خَلْفَ دَابَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَمِعَنِي وَأَنَا أَقُولُ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ فَقَالَ لِي: يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ قَالَ: أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي قَالَ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ[٦]

عدم تكلف السجع في الدعاء: وذلك لأن الداعي ينبغي أن يكون في حال تضرع وذلة ومسكنة، والتكلف لا يناسب ذلك، وقد أوصى ابن عباس أحد أصحابه قائلاً: " فَانْظُرْ السَّجْعَ مِنْ الدُّعَاءِ فَاجْتَنِبْهُ ؛ فَإِنِّي عَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ؛ يَعْنِي لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ الِاجْتِنَابَ" [٧]

تحري الأوقات المستحبة واغتنام الأحوال الشريفة: كأدبار الصلوات الخمس، وعند الأذان، وبين الأذان والإقامة، والثلث الأخير من الليل، ويوم الجمعة، ويوم عرفة، وحال نزول المطر، وحال

---

(١) صحيح سنن الترمذي
(٢) صحيح الترغيب والترهيب
(٣) متفق عليه
(٤) صحيح البخاري
(٥) متفق عليه
(٦) متفق عليه
(٧) صحيح البخاري

السجود، وحال زحف الجيوش في سبيل الله، وعند إفطار الصّائم، وفي حال السّفر. وغير ذلك؛ ولكل ذلك دليل من السنة المشرفة وأنت بذلك خبير .

ويقول القاضي ابن شدَّاد: "وكان صلاح الدين إذا سمع أنَّ العدو قد داهم المسلمين خرَّ إلى الأرض ساجدًا لله، داعيًا بهذا الدعاء: اللهم قد انقطعت أسبابي الأرضية في نصرة دينك، ولم يبق إلا الإخلاد إليك، والاعتصام بحبلك، والاعتماد على فضلك، أنت حسبي ونعم الوكيل" ويقول: "ورأيته ساجدًا ودموعه تتقاطر على شيبته ثمَّ على سجَّادته، ولا أسمع ما يقول، ولم ينقض ذلك اليوم إلاّ ويأتيه أخبار النصر على الأعداء، وكان أبدًا يقصد بوقفاته الجمع، لاسيما أوقات صلاة الجمعة تبركاً بدعاء الخطباء على المنابر، فربما كانت أقرب إلى الاستجابة".

تجنب الدعاء على النفس والأهل والمال: فكثير من الآباء والأمهات يدعون على أولادهم في ساعة الغضب وهذا منهيٌ عنه لقول النبي ﷺ: " لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ؛ وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ؛ لَا تُوَافِقُوا مِنْ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ" (١)

وقال تعالى: " { وَيَدْعُ الإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولا (١١) } الإسراء.

قال ابن كثير : يخبر تعالى عن عجلة الإنسان، ودعائه في بعض الأحيان على نفسه أو ولده أو ماله { بِالشَّرِّ } أي: بالموت أو الهلاك والدمار واللعنة ونحو ذلك، فلو استجاب له ربه لهلك بدعائه، كما قال تعالى: { وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ } [يونس: ١١].

تحري الأكل الحلال: عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [المؤمنون:٥١]، وَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} [البقرة:١٧٢]. ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!» (٢)

أن يحسن الظن بربه ويوقن بالإجابة : فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ؛ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ" (٣)

قال تعالى: " وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (٨٧)" يوسف.

(١) صحيح مسلم (٢) صحيح مسلم (٣) صحيح سنن الترمذي

ألا يعجل الإجابة ويستبطئها: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ فَيَقُولُ قَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي" (١)

وعن أَبي هريرة - ﷺ - :أنَّ رسُولَ الله - ﷺ - قَالَ : ((يُسْتَجَابُ لأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ : يقُولُ : قَدْ دَعْوتُ رَبِّي ، فَلَمْ يسْتَجب لِي)) (٢) وفي روايةٍ لمسلمٍ : ((لا يَزالُ يُسْتَجَابُ لِلعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بإثْمٍ ، أَوْ قَطيعَةِ رحِمٍ ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ)) قيل : يَا رسولَ اللهِ مَا الاستعجال ؟ قَالَ : ((يقول : قَدْ دَعوْتُ ، وَقَدْ دَعَوْتُ ، فَلَمْ أرَ يسْتَجِبُ لي ، فَيَسْتحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ)). فينبغي إدامة الدعاء ، ولا يستبطئ الإجابة.

رابعاً: موانع إجابة الدعاء

أ-قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى : (والأدعية والتعوذات بمنزلة السلاح ، والسلاح بضاربه ، لا بحده فقط ، فمتى كان السلاح سلاحا تاما لا آفة به ، والساعد ساعد قوي ، والمانع مفقود ، حصلت به النكاية في العدو . ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير)(٣).

ب-يقول الشيخ محمد صالح المنجد إن من موانع إجابة الدعاء:

أن يكون الدعاء ضعيفا في نفسه ، لما فيه من الاعتداء أو سوء الأدب مع الله عز وجل ، والاعتداء هو سؤال الله عز وجل ما لا يجوز سؤاله كأن يدعو الإنسان أن يخلده في الدنيا أو أن يدعو بإثم أو محرم أو الدعاء على النفس بالموت ونحوه . عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ -ﷺ- أَنَّهُ قَالَ « لاَ يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ ». قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الاِسْتِعْجَالُ قَالَ « يَقُولُ قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِى فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ ». (٤)

٢ - أن يكون الداعي ضعيفا في نفسه ، لضعف قلبه في إقباله على الله تعالى . أما سوء الأدب مع الله تعالى فمثاله رفع الصوت في الدعاء أو دعاء الله عز وجل دعاء المستغني المنصرف عنه أو التكلف في اللفظ والانشغال به عن المعنى ، أو تكلف البكاء والصياح دون وجوده والمبالغة في ذلك .

٣ - أن يكون المانع من حصول الإجابة : الوقوع في شيء من محارم الله مثل المال الحرام مأكلا ومشربا وملبسا ومسكنا ومركبا ودخل الوظائف المحرمة ، ومثل رين المعاصي على القلوب ، والبدعة في الدين واستيلاء الغفلة على القلب .

---

(١) صحيح البخاري (٢) متفق عليه (٣) الداء والدواء ص٣٥ (٤) صحيح مسلم

٤ ـ أكل المال الحرام ، وهو من أكبر موانع استجابة الدعاء ، فعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ، وإن الله أمر المتقين بما أمر به المرسلين فقال : (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم) وقال : (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك !!) [١]

فتوفر في الرجل الذي ذكره النبي ﷺ بعض الأمور المعينة على الإجابة من كونه مسافرا مفتقرا إلى الله عز وجل لكن حجبت الاستجابة بسبب أكله للمال الحرام ، نسأل الله السلامة والعافية .

٥ ـ استعجال الإجابة والاستحسار بترك الدعاء ، فعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، يقول دعوت فلم يستجب لي) [٢]

٦ ـ تعليق الدعاء ، مثل أن يقول اللهم اغفر لي إن شئت ، بل على الداعي أن يعزم في دعائه ويجد ويجتهد ويلح في دعائه فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ النَّبِىُّ -ﷺ- « لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِى إِنْ شِئْتَ اللَّهُمَّ ارْحَمْنِى إِنْ شِئْتَ. لِيَعْزِمْ فِى الدُّعَاءِ فَإِنَّ اللَّهَ صَانِعٌ مَا شَاءَ لاَ مُكْرِهَ لَهُ ». [٣]

ولا يلزم لحصول الاستجابة أن يأتي الداعي بكل هذه الآداب وأن تنتفي عنه كل هذه الموانع فهذا أمر عز حصوله ، ولكن أن يجتهد الإنسان وسعه في الإتيان بها .

ج- مـــر إبراهيم بن أدهم بسوق البصرة

فأجتمـــع الناس اليه وقالوا له : يا ابا اسحاق مالنا ندعو فلا يستجاب لنا ؟

قال : لان قلوبكـم مـاتت بعشرة اشياء :

عرفتم الله ولم تؤدوا حقه.

وزعمتم انكم تحبون رسول الله ﷺ وتركتـم سنته.

وقرأتم القران فلم تعملـوا به .

وأكلتـم نعم الله ولم تؤدوا شكرهـا.

وقلتـم ان الشيطان عدو لكم ولم تخالفـوه.

وقلتـم ان الجنة حق ولم تعملوا لها .

وقلتـم ان النار حق ولم تهربوا منها.

---

(١) صحيح مسلم (٢) متفق عليه (٣) متفق عليه

وقلتـم ان الموت حق ولم تستعدوا له .

وانتبهتم من النوم فاشتغلتم بعيـوب الناس ونسيتم عيوبكم .

ودفنتم موتاكم ولم تعتبـروا بهم .

د-ثلاثة لا يستجاب لهمك: عن أبي موسى قال قال رسول الله ﷺ " ثلاثة يدعون فلا يستجاب لهم : رجل كانت تحته امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ورجل كان له على رجل مال فلم يشـهد عليه ورجل آتى سفيها ماله وقد قال الله عز وجل : { ولا تؤتوا السفهاء أموالكم }" [1]

خامساً: قصص ونماذج

بركة دعاء النبي ﷺ يوم الخندق: عن جابر بن عبد الله : (لما حفر الخندق، رأيت برسـول الله ﷺ خمصـة) أي: رأيته ظاهر البطن من الجوع (فانكفأت إلى امرأتي) يعني رجعت إلى زوجتي (فقلت لها: هل عندك شـيءٌ؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خمصـاً شـديداً، فأخرجت لي جراباً فيه صـاع من شـعير ولنا بهيمة داجن) -البهيمة: الصغيرة من أولاد الضـأن تطلق على الذكر والأنثى كالشـاة من أولاد المعز، والداجن: ما ألف البيوت. (قال: فذبحتها وطَحنَتْ، فَفَرغَتْ إلى فراغي، فقطعتها في برمتها، ثم وليت إلى رسـول الله ﷺ فقالت: لا تفضـحني برسـول الله ﷺ ومن معه، قال: فجئته فسـاررته فقلت: يا رسول الله، إنا قد ذبحنا بهيمةً لنا وطحنا صاعاً من شعير كان عندنا، فتعال أنت في نفر من أصحابك، فصاح رسول الله ﷺ وقال: يا أهل الخندق! إن جابراً قد صنع لكم سوراً -وهو الطعام الذي يدعى إليه، وهي لفظة فارسية- فحيهلا بكم، وقال رسول الله ﷺ: لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينتكم حتى أجيء، وجاء رسـول الله ﷺ يقدم الناس، حتى جئت امرأتي فقالت لما رأت العدد الكبير: بك وبك) أي أنها ذمته قال الشراح: أو: بك تلحق الفضيحة ويتعلق الذم، أو جرى هذا بسبب سوء نظرك، وبرأيك، وأنك تسببت في جلب الفضيحة بأن جئت بعدد كبير وليس عندنا إلا هذا الشيء لا يكفيهم (فقلت: قد فعلت الذي قلته لي، وأخبرت النبي ﷺ سراً) قال جابر : (وجاء النبي ﷺ فأخرجت له عجينتنا فبصق فيها وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبصق فيها وبارك، ثم قال: ادعي خابزةً فلتخبز معك ثم قال: واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها) أي اغرفي المرق في قدح. يقول جابر ﷺ:

---

[1] السلسلة الصحيحة

(وهم ألف! فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا -يعني شبعوا وانصرفوا- وإن عجينتنا وإن برمتنا لتغط كما هي) [١].

سعيد بن زيد ﷺ : عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ أَرْوَى بِنْتَ أُوَيْسٍ ادَّعَتْ عَلَى سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا فَخَاصَمَتْهُ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ. فَقَالَ سَعِيدٌ أَنَا كُنْتُ آخُذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئًا بَعْدَ الَّذِى سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ وَمَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ « مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ ظُلْمًا طُوِّقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ ». فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ لاَ أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هَذَا. فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَعَمِّ بَصَرَهَا وَاقْتُلْهَا فِى أَرْضِهَا. قَالَ فَمَا مَاتَتْ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا ثُمَّ بَيْنَا هِىَ تَمْشِى فِى أَرْضِهَا إِذْ وَقَعَتْ فِى حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ" [٢].

سعد بن أبي وقاص ﷺ : عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: شَكَا أَهْلُ الْكُوفَةِ سَعْدًا إِلَى عُمَرَ ﷺ، فَعَزَلَهُ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا فَشَكَوْا حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لاَ يُحْسِنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَقَ إِنَّ هَؤُلاَءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لاَ تُحْسِنُ تُصَلِّي قَالَ أَبُو إِسْحَقَ: أَمَّا أَنَا وَاللهِ فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلاَةَ رَسُولِ اللهِ ص، مَا أَخْرِمُ عَنْهَا، أُصَلِّي صَلاَةَ الْعِشَاءِ فَأَرْكُدُ فِي الأُولَيَيْنِ، وَأُخِفُّ فِي الأُخْرَيينِ قَالَ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَقَ فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلاً، أَوْ رِجَالاً، إِلَى الْكُوفَةِ فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الْكُوفَةِ، وَلَمْ يَدَعْ مَسْجِدًا إِلاَّ سَأَلَ عَنْهُ، وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ؛ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ، يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ؛ فَقَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لاَ يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلاَ يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلاَ يَعْدِلُ فِي الْقَضِيَّةِ قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللهِ لأَدْعُوَنَّ بِثَلاَثٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هذَا كَاذِبًا قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالْفِتَنِ فَكَانَ بَعْدُ، إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ، قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ (أَحَدُ رُوَاةِ هذَا الْحَدِيثِ) فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ، قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الْكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ" [٣]

رجل مستجاب الدعوة: عن أُسَيْر بن عمرو ، ويقال : ابن جابر وَهُوَ - بضم الهمزة وفتح السين المهملة - قَالَ : كَانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ - ﷺ - إِذَا أتَى عَلَيهِ أمْدَادُ أهْلِ اليَمَنِ سَألَهُمْ : أفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ ؟ حَتَّى أتَى عَلَى أُوَيْسٍ - ﷺ- ، فَقَالَ لَهُ : أنْتَ أُوَيْسُ ابْنُ عَامِر ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ ، فَبَرَأْتَ مِنْهُ إلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : لَكَ وَالِدةٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : سَمِعْتُ رَسُول الله - ﷺ - ، يقول : ((يَأتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أمْدَادِ

(١) صحيح مسلم (٢) صحيح مسلم (٣) صحيح البخاري

أَهْلِ اليَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ ، فَبَرَأَ مِنْهُ إِلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ)) فَاسْتَغْفِرْ لي فَاسْتَغْفَرَ لَهُ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ : الكُوفَةَ ، قَالَ : أَلاَ أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا ؟ قَالَ : أَكُونُ في غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ العَامِ المُقْبِلِ حَجَّ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ ، فَوافَقَ عُمَرَ ، فَسَأَلَهُ عَنْ أُوَيْسٍ ، فَقَالَ : تَرَكْتُهُ رَثَّ البَيْتِ قَلِيلَ المَتَاعِ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - ، يقولُ : ((يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادٍ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلاَّ مَوضِعَ دِرْهَمٍ ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ ، فَافْعَلْ)) فَأَتَى أُوَيْساً ، فَقَالَ : اسْتَغْفِرْ لِي . قَالَ : أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْداً بِسَفَرٍ صَالِحٍ ، فَاسْتَغْفِرْ لي . قَالَ : لَقِيتَ عُمَرَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فاسْتَغْفَرَ لَهُ ، فَفَطِنَ لَهُ النَّاسُ ، فَانْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ " (١)

دعاء أبو حسان الزيادي : قال أبو حسان الزيادي قال : ضقت ضيقه بلغت فيها إلى الغاية حتى ألح على البقال والقصاب ولم تبق لي حيله وذات يوم دخل على أحد الحجاج الخراسانيين فقال : إنا رجل غريب وأريد الحج ومعي عشرة الآف درهم واحتجت إلى إن تكون قبلك إلى إن اقضي حجي وأرجع ؟؟فقلت هاتها وخرج بعد إن وزنتها له . فلما خرج فككت الخاتم وقضيت الدين الذي كان على وقلت إذا عاد أعدته عليه ، فلما أصبحت من الغد دخل على الرجل الخراساني فقال : أنى كنت عازما على الحج ثم ورد الخبر بوفاة أبى وقد عزمت على الرجوع إلى بلدي فتأمر لي بالمال الذي أعطيتك أمس؟؟فورد على أمر لم يرد على مثله قط، وتحيرت ثم قلت له نعم عافاك الله المال في منزلي وهو بعيد ، فتعود في عد لتأخذه فانصرف فبقيت متحيرا إن جحدته كانت الفضيحة في الدنيا والآخرة، وان أعلمته صاح !!وبقيت على هذا الحال وانا أدعو ،إلى إن قرب الفجر، فركبت بغلتي وانا لأدرى إلى أين أتوجه حتى عبرت بي البغلة الجسر فقلت: اتركها تمضى حيث شاءت !! إلى إن قاربت باب المأمون والدنيا بعد مظلمة فإذا فارس قد تلقاني فنظر في وجهي ثم سار وتركني ثم عاد فقال: الست بأبي حسان الزيادي قلت :نعم قال: اجب الأمير الحسن بن سهل فسرت معه فدخلت عليه فسلم علىّ وقال :ما خبرك؟ وكيف حالك ؟ولم انقطعت عنا ؟ فاعتذرت فقال دع عنك فقد رأيتك البارحة في النوم في تخليط كثير؟؟؟؟ فأخبرته بقصتي فقال : لا يغمك الله يا أبا حسان .قد فرج الله عنك هذه بدره فيها مال الخراساني وهذه مثلها لك(٢)

(١) صحيح مسلم (٢) تاريخ بغداد ٧/ ٣٥٨

دعاء عبد الله بن جحش : عن سعد ابن أبي وقاص حدثني أبي أن عبد الله بن جحش قال يوم أحد ألا تأتي ندعو الله تعالى فخلوا في ناحية فدعا سعد فقال يا رب إذا لقينا العدو غدا فلقني رجلا شديدا بأسه شديدًا حرده أقاتله ويقاتلني ثم ارزقني الظفر عليه حتى أقتله وآخذ سلبه !!

فأمنّ عبد الله ثم قال: اللهم ارزقني غدا رجلا شديداً بأسه شديداً حرده ،فأقاتله ويقاتلني!! ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني !فإذا لقيتك غدا قلت لي: يا عبد الله فيم جدع أنفك وأذناك؟؟ فأقول فيك وفي رسولك فتقول :صدقت! قال: سعد كانت دعوته خيرا من دعوتي فلقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه لمعلق في خيط [١]

أبو الدرداء: جاء رجل إلي أبي الدرداء ﷺ، فقال : يا أبا الدرداء، قد احترق بيتك، فقال : ما احترق، ولم يكن الله عز وجل ليفعل ذلك بكلمات سمعتهن من رسول الله ﷺ من قالها أول نهاره، لم تصبه مصيبة حتى يمسي، ومن قالها آخر النهار، لم تصبه مصيبة حتى يصبح : «اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا ، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم» .

وفي رواية أخرى : أنه تكرر مجيء الرجل إليه ويقول : أدرك دارك فقد احترقت، وهو يقول : ما احترقت؛ لأني سمعت النبي ﷺ يقول : «من قال حين يصبح هذه الكلمات – وذكر هذه الكلمات – لم يصبه في نفسه ولا أهله ولا ماله شيء يكرهه»، وقد قلتها اليوم، ثم قال : انهضوا بنا، فقام وقاموا معه، فانتهوا إلى داره وقد احترق ما حولها، ولم يصبها شيء " [٢] .

إحدى المعلمات: تقول إحدى المعلمات عودت طالباتي وكانوا في الصف الأول متوسط على أنه حين ينادي للآذان وحتى عندما كنت اثناء الشرح اقف وادعوا طالباتي للترديد خلف المؤذن وبعدها اذكرهم بأن الدعاء بين الآذان والإقامة مستجاب ، وكنت لما أذكرهم بذلك ألاحظ إحدى طالباتي دائماً تدعوا وتلح بين الآذان والإقامة وتستغل الفرصة أكثر من زميلاتها، وفي إحدى المرات كنت أصحح دفترها ثم قلت لها: أنتي تعجبينني، لأنك حين أعطي زميلاتك فرصة للدعاء بين الآذان والإقامة ألحظك تدعين وتستغلين الفرصة أكثر من زميلاتك، فقالت: الحمد لله أنا لما كنت في الصف الخامس أول مرة كنت أعلم أن الدعاء بين الآذان والإقامة مستجاب، وبعدها أصبحت أحرص على

---

(١)سير أعلام النبلاء للذهبي ١١٣/١

(٢) الأذكار، للإمام النووي

الدعاء بين الآذان والإقامة دائما خصوصا دعوة معينة أرددها، فقلت لها: وما هذه الدعوة؟ قالت الطالبة: أمي أنجبتني ولم تعد تنجب بعد ذلك وعمري الآن ١٣سنة، وليس عندي اخوات وأغار من صديقاتي لما يتحدثون عن أخواتهم، وأتمنى أن تكون لي أخت، فأنا أدعوا الله دائماً أن يرزقني بأخت لكن أمي لما تسمعني تقول: ادعي الله أن يرزقنا الولد لإن عندنا بنت، فتقول هذه البنت بأسلوبها البريء: أنا أدعوا الله أن يرزقنا ولد لأجل أمي ويرزقنا بنت لأجلي ويرزقنا ولد لأجل لا يبقى أخي وحيداً، فقلت لها: آمين وأعطيتها دفترها ونسيت القصة، دارت الأيام ووصلت البنت للثاني متوسط ثم الثالث المتوسط، ففي أحد الأيام كنت أمشي فقابلتني الطالبة ذاتها، وقالت: يا معلمة أبشرك أمي ولدت البارحة وأنجبت ثلاثة توائم، ولدين وبنت، فقلت لها: سبحان الله فقد أخذت درساً لا أنساه من طالبتي، في إلحاحها واستمرارها في الدعاء وحسن ظنها بالله عز وجل.

دعاء النجار : قال محمد بن المنكدر أنى قمت لليله بجوار هذا المنبر جوف الليل أدعو ، إذا إنسان عند اسطوانة مقنع رأسه فأسمعه يقول : أى رب إن القحط قد اشتد على عبادك، واني مقسم عليك يا رب إلا سقيتهم ! قال : فما كان إلا ساعة إذا بسحابه قد أقبلت ، ثم أرسلها الله سبحانه وكان عزيزا على ابن المنكد ران يخفى عليه أحد من أهل الخير ، فقال : هذا بالمدينة ولا اعرفه فلما سلم الأمام تقنع وانصرف واتبعته فدخل موضعا واخرج مفتاحا ثم فتح ثم انه أتاه فوجده ينجر أقداحا ؟ فقال له : كيف أصبحت أصلحك الله !قال : فاستشهدها منى واستعظمها!! ، فلما رأيت ذلك قلت أنى سمعت أقسامك على الله البارحة يا أخي هل لك فى نفقه تغنيك عن هذا وتفرغك لما تريد من الآخرة ؟؟ قال :لا، ولكن غير ذلك لا تذكرني لأحد ، ولا تذكر هذا عند أحد حتى أموت[١] .

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١)حليه الأولياء لأبى نعيم ٣/ ١٥٢

فضل قيام الليل

الحمد لله الغني الحفي، القوي الولي، الوفي العلي عن مدانة الأوهام، العظيم الحليم، الحكيم العليم، الرحيم العلام، الأول بوصف القدم، الأخر فلا يجوز عليه العدم، الظاهر الذي لا يخفى معرفته إلا على من جحد أو ظلم، المنفرد بأوصاف الكمال، المتوحد بنعوت الجلال، الصمد الذي لم يزل ولا يزال، سبحانه هو الله الكبير المتعال.

واشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ** جعلت الرجا مني لعفوك سلما
تعاظمني ذنوبي فلما قرنتها ** بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم ** تزل تجود وتعفو منة وتكرما
فلولاك لم يغو بإبليس عابد ** فكيف وقد أغوى صفيك آدما

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه

يروى عن شفيع الخلق طرا ** حديثا فيه للمضني دليل
هو المختار من كل البرايا ** هو الهادي البشير هو الرسول
عليه من المهين في كل وقت ** صلاة دائما فيها القبول

وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

العناصر

أولًا: الترغيب في قيام الليل
ثانيًا: كيفية قيام الليل
ثالثًا: الأسباب الميسِّرة لقيام الليل
رابعًا: قيام الليل في حياة السلف
خامسًا: نماذج على قيام الليل

الموضوع

تعريف قيامُ الليل : هو قضاء الليل ولو ساعة بالصّلاة أو غيرها، ولا يشترط أن يكون مستغرقاً لأكثر الليل.

ويرى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّه يحصل بصلاة العشاء جماعةً والعزم على صلاة الصّبح

جماعة فعن عثمان ﷺ قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ « مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِى جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِى جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ »(١).

وقيل: معنى القيام أن يكون مشتغلا معظم الليل بطاعة، وقيل: ساعة منه، يقرأ القرآن، أو يسمع الحديث، أو يُسبّح، أو يُصلّي على النّبي - ﷺ-.

أولًا: الترغيب في قيام الليل

من صفات عباد الرحمن: قال تعالى: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا) [الفرقان: ٦٣، ٦٤].

إن قيام الليل عبادة عظيمة، وسنة جليلة، وصفة كريمة، من اتصف بها كان من الفائزين السعداء، ومن تحلى بها كان من المتقين النبلاء، لأنه لا يقدر عليها إلا الموفق الكريم، الذي زكت نفسه، وصفت طويته، وطهرت سريرته، واستقامت علانيته، لذلك وصف الله بها عباده الأخيار الأتقياء، والصالحين من عبادة الأتقياء، الذين اختصهم الله لنفسه وأنعم عليهم سبحانه بعبوديته.

من صفات المؤمنين الصادقين: قال تعالى: (الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ) [آل عمران]

من علامات المتَّقين: قال تعالى: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ* كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) الذاريات

قال الإمام الحسن البصري: يعني لا ينامون من الليل إلا قليلاً، فهم يكابدون الليل في القيام والركوع والسجود، ومع ذلك يختمون هذه العبادة بالاستغفار، سبحان الله! وقدوتهم في ذلك سيّدهم محمَّدٌ ﷺ، حيث كان ﷺ يقوم الليل حتى تتفطَّر قدماه.

أمر الله بقيام الليل: قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا (٦)) [المزمل]، قال بعض العلماء (ناشئة الليل) هي: هي أول الليل، لأن النشوء هو البداية.

وقال بعض العلماء: هي القيام بعد نوم الليل يعني تنام في الليل ثم تقوم، وكلاهما متقاربان ويدخلان في الآية، فإذاً لا يحرم الإنسان نفسه من أن يصلي ناشئة الليل ولو في أول الليل لا يلزم أن يقوم،

(١) صحيح مسلم

ما معنى {أَشَدُّ وَطْئاً}؟ يعني أن القلب يتواطأ مع اللسان فيكون القلب حاضرا.

{وَأَقْوَمُ قِيلاً} يعني أن قراءة الليل تكون أسلم من الأخطاء بالنسبة إلى قراءة النهار، لم؟ لأن الجو هادئ، والصوارف ليست موجودة، وقال تعالى: " فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (١٣٠)" طه

وعده الله بالمقام المحمود والمنزلة العالية: قال تعالى: (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا) [الإسراء: ٧٩] ، التهجد: الصلاة في الليل وقراءة القرآن بعد النوم. وقوله تعالى: {نافلة لك} ، أي: واجب عليك دون الأمة، قاله، ابن عباس. والمقام المحمود: مقام الشفاعة يوم القيامة يحمده به الأولون والآخرون، فجعل الحق جل جلاله المقام المحمود مقرونًا بقيام الليل، وهذا يدل على عظيم ما في القيام، لذا قال بعض العلماء: عجبت من الليل كيف جعل الله عز وجل فيه هذه الخيرات العظيمة ومع ذلك غفل عنه كثير من الناس.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "ولم يكن يدع قيام الليل حضرًا ولا سفرًا، وكان إذا غلبه نوم أو وجع، صلّى من النهار ثنتي عشرة ركعة

إجابة الدعاء: عَنْ جَابِرٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِىَّ -ﷺ- يَقُولُ «إِنَّ فِى اللَّيْلِ لَسَاعَةً لاَ يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ» (١).

عن أَبي أمامة -رضي الله عنه- قَالَ: قيل لِرسولِ اللهِ -ﷺ-: أيُّ الدُّعاءِ أَسْمَعُ؟ قَالَ: ((جَوْفَ اللَّيْلِ الآخِرِ، وَدُبُرَ الصَّلَواتِ المَكْتُوباتِ)) (٢).

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِى فَأَسْتَجِيبَ لَهُ وَمَنْ يَسْأَلُنِى فَأُعْطِيَهُ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِى فَأَغْفِرَ لَهُ » (٣)، متى يبدأ الثلث الأخير من الليل؟ تحسب من أذان المغرب إلى صلاة الفجر -مثلاً- اثنا عشر ساعة، فتقسّم اثني عشر ساعة إلى ثلاثة أثلاث فتُعتبر آخر أربع ساعات هي الثلث الأخير من الليل، وهذا يختلف باختلاف الصيف والشتاء، فتصوَّروا -يا رعاكم الله- أنَّ الملك العظيم الكبير المتكبِّر الرحمن الرحيم الوهَّاب المنَّان ينزل إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، ماذا يقول ربُّنا سبحانه وتعالى؟ فيقول: "هل من داعٍ فأستجيب له، هل من سائلٍ فأعطيه، هل من مستغفرٍ فأغفر له" الله أكبر! يا لها من لحظات مباركة، الله عزَّ وجلَّ وهو الغنيُّ عنَّا ونحن الفقراء إليه، الله

(١) صحيح مسلم (٢) صحيح سنن الترمذي (٣) متفق عليه

عزَّ وجلَّ ينادي عباده: "هل من مستغفرٍ فأغفر له، هل من سائلٍ فأعطيه"، وتجد هذا الإنسان العبد المذنب المقصِّر العاصي، مع ذلك تجده -والعياذ بالله- في سابع نومة -كما يقال- والله عزَّ وجلَّ ينادي، ألا يستحي أحدنا من ربِّه جلَّ في علاه، الله يناديك الرحمن الرحيم الوهَّاب المنَّان يناديك: "هل من داعٍ فأستجيب له، هل من مستغفرٍ فأغفر له" وتجد هذا الإنسان نائمًا غافلاً ساهيًا ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولهذا نجد أنَّ طاووس بن كيسان -رحمه الله تعالى، أحد التابعين أو تابعي التابعين- مرَّ على رجلٍ في وقت السَّحَر فضرب عليه الباب فقال أهله: إنه نائم، فتعجَّب طاووس قال: كيف ينام؟! هل هناك إنسان ينام في هذا الوقت؟! أي: وقت النزول الإلهي، وقت استجابة الدعاء.

باب من أبواب الخير: قال تعالى: {تتجافى جنوبهم عن المضاجع} [السجدة (١٦)]

أي: يقومون لصلاة الليل وهم المتهجدون وعن معاذ بن جبل، أن رسول الله ﷺ قال له: "ألا أدلُّكَ عَلى أبْواب الخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، والصَّدَقَةُ تُكَفِّرُ الخَطِيئَةَ، وَقِيامُ العَبْدِ في جَوْفِ اللَّيْلِ" وتلا هذه الآية(تَتَجَافَى جُنُوبُهُم عَنِ المَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفا وَطَمَعا ومِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ) "[١].

دليل على شكر نعم الله: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفَطَّرَ رِجْلاَهُ قَالَتْ عَائِشَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ فَقَالَ « يَا عَائِشَةُ أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا » [٢]، هذا السؤال من عائشة عن حكمة التشمر والدأب في الطاعة، وهو مغفور له، فبين - ﷺ - أنه فعل ذلك شكرا لله عز وجل.

مغفرة الذنوب: عن أَبي هريرة - ﷺ - أنَّ رسول الله - ﷺ - ، قَالَ : ((مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إيماناً وَاحْتِسَاباً(٤)) غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) [٣] وقيام رمضان شامل للصلاة في أول الليل وآخره، وعلى هذا فالتراويح من قيام رمضان، فينبغي الحرص عليها والاعتناء بها، واحتساب الأجر والثواب من الله عليها، وما هي إلا ليالٍ معدودة ينتهزها المؤمن العاقل قبل فواتها.

دخول الجنة: وعن عبد الله بن سلام - ﷺ - : أنَّ النبيَّ - ﷺ- ، قَالَ : ((أيُّهَا النَّاسُ : أفْشُوا السَّلامَ ، وَأطْعِمُوا الطَّعَامَ ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلاَمٍ)) [٤] ، وعن عبد الله بن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال إن في الجنة غرفة يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها فقال أبو مالك الأشعري لمن هي يا رسول الله قال لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وبات قائما والناس نيام" [٥]

---

(١) صحيح سنن ابن ماجة
(٢) صحيح مسلم
(٣) متفق عليه
(٤) صحيح سنن الترمذي
(٥) صحيح الترغيب والترهيب

وعن ابن عباس ﷺ ، قَالَ : سَمِعْتُ رسولَ اللهِ - ﷺ- ، يقول : ((عَيْنَانِ لاَ تَمسُّهُمَا النَّارُ : عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ في سَبيلِ اللهِ)) (١)

أفضل الصلاة بعد الفريضة: عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ - ﷺ- قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمُ وَأَفْضَلُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلاَةُ اللَّيْلِ »(٢)، قال الحافظ ابن رجب الحنبلي -رحمه الله تعالى- لثلاثة أمور: أولاً: لأنَّ فيها الإسرار فهي أقرب إلى الإخلاص، إذا أردت الإخلاص، إذا أردت أن تقوّي إخلاصك لله عزَّ وجلَّ فعليك بقيام الليل، فقيام الليل لا أحد يعلم عنك، لا أحد يدري عنك، أقرب الناس إليك لا يدري عنك، إذن هي أقرب إلى الإخلاص. ثانيًا: قال: ولأنَّ صلاة الليل فيها مشقَّة، فيها مشقَّة على النفوس؛ لأنَّ الإنسان يقوم من فراشه الدافئ الجميل ويقوم بين يدي الله سبحانه وتعالى، فهذا فيه مشقَّة، فيه تعب، فيه معاناة، بينك وبين نفسك وبين شيطانك. ثالثًا: قال: لأنَّ صلاة الليل القراءة فيها أقرب إلى التدبُّر والتفكُّر والخشوع؛ لأنَّ الإنسان بينه وبين الله سبحانه وتعالى فهو تجده يتأمَّل ما يقرأ.

يكتب من الذاكرين والذاكرات: عن أَبي هريرة ﷺ، قَالَ : قَالَ رسول الله - ﷺ- : ((رَحِمَ اللهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ ، فَصَلَّى وَأيْقَظَ امْرَأَتَهُ ، فَإنْ أبَتْ نَضَحَ في وَجْهِهَا المَاءَ ، رَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ ، فَصَلَّتْ وَأيْقَظَتْ زَوْجَهَا ، فَإن أبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ المَاءَ)) (٣) ، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله ﷺ من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين" (٤) ، وعن أَبي سعيدٍ ﷺ ، قالا : قَالَ رسولُ اللهِ - ﷺ- : ((إذَا أَيْقَظَ الرَّجُلُ أهْلَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّيَا - أَوْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ جَمِيعاً ، كُتِبَا في الذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ)) (٥) ، فيدل على فضيلة أمر الرجل أهله بصلاة النوافل والتطوعات كما في الفرض. وفي: مشروعية الجماعة فيها.

قيام الليل شرف للمؤمن: عن سهل بن سعد قال : جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ فقال : يا محمد عش ما شئت فإنك ميت واحبب من أحببت فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك مجزي به ثم قال : يا محمد شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه عن الناس" (٦)

لأنَّ فيه دليل على قوَّة إخلاصه، دليل على قوَّة ثقته بالله، دليلٌ على قوَّة إيمانه، فالله عزَّ وجلَّ يرفعه ويعلي من مكانته ومنزلته عند الله سبحانه وتعالى، وقد سُئل الإمام الحسن البصري يومًا ما بال

---

(١) صحيح سنن الترمذي
(٢) صحيح مسلم
(٣) صحيح سنن أبي داوود
(٤) السلسلة الصحيحة
(٥) صحيح سنن أبي داوود
(٦) السلسلة الصحيحة

المتهجّدين أحسن النّاس وجوهًا، قال إنّهم خلوا بالرّحمن فألبسهم نورًا من نوره .

لا يستوون: قال تعالى: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ} [الزمر:٩].

أي: هل يستوي من هذه صفته مع من نام ليله وضيّع نفسه، غير عالم بوعد ربه ولا بوعيده؟

هل يستوي إنسانٌ قضى ليله غافلاً هائمًا نائمًا بين السهرات والقيل والقال والفضائيات والأفلام والمسرحيات ومضيعة الأوقات، وبين إنسان قائمٍ في ليله يدعو ربه سبحانه وتعالى ويبكي من خشية الله جلَّ وعلا ويخضع لله سبحانه وتعالى، لا يستوون عند الله، وهكذا القلب الحي، سبحان الله! القلب الحي إذا سمع آيات الله عزَّ وجلَّ تُتلى عليه فتجده -سبحان الله- يتفكَّر ويتدبَّر ويتأمَّل ويخضع ويخشع وينصت ويستمع ويطبّق، هذا هو القلب الحي. أمَّا القلب الميت -نسأل الله السلامة والعافية- فهو يسمع آيات الله تُتلى عليه آناء الليل وأطراف النهار ولا يتأثَّر ولا يتفاعل، بل تجده -والعياذ بالله- مُعرضًا عنها ولا حول ولا قوة إلا بالله.

يحبه الله ويضحك إليه: عن أبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ قال ثلاثة يحبهم الله ويضحك إليهم ويستبشر بهم الذي إذا انكشفت فئة قاتل وراءها بنفسه لله عز وجل فإما أن يقتل وإما أن ينصره الله عز وجل ويكفيه فيقول انظروا إلى عبدي هذا كيف صبر لي بنفسه ؟ والذي له امرأة حسنة وفراش لين حسن فيقوم من الليل فيقول يذر شهوته ويذكرني ولو شاء رقد والذي إذا كان في سفر وكان معه ركب فسهروا ثم هجعوا فقام من السحر في ضراء وسراء" (١) ، وعن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال عجب ربنا تعالى من رجلين رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين أهله وحبه إلى صلاته فيقول الله جل وعلا انظروا إلى عبدي ثار عن فراشه ووطائه من بين حبه وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي ورجل غزا في سبيل الله وانهزم أصحابه وعلم ما عليه في الانهزام وما له في الرجوع فرجع حتى يهريق دمه فيقول الله انظروا إلى عبدي رجع رجاء فيما عندي وشفقة مما عندي حتى يهريق دمه" (٢)

كراهة ترك قيام الليل: عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ (يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل) (٣)

كراهة النوم طوال الليل دون صلاة: عن ابن مسعودٍ - ﷺ - ، قَالَ : ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ - ﷺ - رَجُلٌ

(١) صحيح الترغيب والترهيب (٢) صحيح الترغيب والترهيب (٣) صحيح البخاري

نَامَ لَيْلَةً حَتَّى أصْبَحَ ، قَالَ : ((ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيطَانُ في أُذُنَيْهِ - أَوْ قَالَ : في أُذُنِهِ -)) [١]
فأن إهمال حق الله إنما ينشأ عن تمكن الشيطان من الإنسان، حتى يحول بينه وبين الأعمال الصالحة، وقيل: كان رجل يكذب بهذا الحديث فنام حتى الفجر فقام والبول يسيل من أذنه.

ثانياً: كيفية قيام الليل

السنة في قيام الليل: عن أَبي هريرة - ﷺ - : أنَّ النبيَّ - ﷺ - ، قَالَ : ((إذَا قَامَ أحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ فَلْيَفْتَتِحِ الصَّلاَةَ بركْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ)) [٢] قيل: الحكمة في هذه الركعتين إذهاب ما قد يبقى في الجسد من كسل النوم، وعَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- عَنْ صَلاَةِ اللَّيْلِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « صَلاَةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى فَإِذَا خَشِىَ أَحَدُكُمُ الصُّبْحَ صَلَّى رَكْعَةً وَاحِدَةً تُوتِرُ لَهُ مَا قَدْ صَلَّى ». [٣]، قوله: «مثنى مثنى» ، أي: ركعتان، ركعتان، أي: يسلم من كل ركعتين، ويوتر بركعة واحدة، ويجوز الوصل كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة.

وقت قيام الليل: عن عائشة رضي الله عنها : أنَّ رسول الله ﷺ "كَانَ يَنَامُ أوّلَ اللَّيلِ ، وَيَقُومُ آخِرَهُ فَيُصَلِّي" [٤] ، وقد يصلى في أي وقت من الليل فعن أنس - ﷺ - ، قَالَ : كَانَ رسولُ اللهِ - ﷺ - يُفْطِرُ مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى نَظُنَّ أنْ لاَ يَصُومَ مِنْهُ ، وَيَصُومُ حَتَّى نَظُنَّ أنْ لاَ يُفْطِرَ مِنْهُ شَيْئاً ، وَكَانَ لاَ تَشَاءُ أنْ تَرَاهُ مِنَ اللَّيلِ مُصَلِّياً إلاَّ رَأيْتَهُ ، وَلاَ نَائِماً إلاَّ رَأيْتَهُ" [٥] قال الحافظ: لم يكن لتهجده وقت معين بل بحسب ما يتيسر له القيام.

وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ لَهُ: أَحَبُّ الصَّلاَةِ إِلَى اللهِ صَلاَةُ دَاوُدَ عليه السلام، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللهِ صِيَامُ دَاوُدَ، وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَيَصُومُ يَوْمًا، وَيُفْطِرُ يَوْمًا" [٦] قال المهلب: كان داود عليه السلام يجم نفسه بنوم أول الليل، ثم يقوم في الوقت الذي ينادي الله فيه: هل من سائل فأعطيه سؤاله، ثم يستدرك بالنوم ما يستريح به من نصب القيام في بقية الليل. وفيه: من المصلحة، استقبال صلاة الصبح وإذكار النهار بنشاط.

إحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً: عن عائشة رضي الله عنها : أنَّ رسول الله - ﷺ - كَانَ يُصَلِّي إحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً - تَعْنِي في اللَّيلِ - يَسْجُدُ السَّجْدَةَ مِنْ ذَلِكَ قَدْرَ مَا يَقْرَأُ أحَدُكُمْ خَمْسِينَ آيَةً قَبْلَ أنْ يَرْفَعَ رَأسَهُ ، وَيَرْكَعُ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلاَةِ الفَجْرِ ، ثُمَّ يَضْطَجِعُ عَلَى شِقِّهِ الأيْمَنِ حَتَّى يَأتِيَهُ المُنَادِي للصَلاَةِ " [٧].

---

(١) متفق عليه
(٢) صحيح مسلم
(٣) متفق عليه
(٤) متفق عليه
(٥) صحيح البخاري
(٦) صحيح البخاري
(٧) متفق عليه

وفي هذا مشروعية تطويل صلاة الليل في قيامها وركوعها وسجودها.

وعنها ، قالت : مَا كَانَ رسول الله - ﷺ - يَزِيدُ - في رَمَضَانَ وَلاَ في غَيْرِهِ - عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً : يُصَلِّي أَرْبَعاً فَلاَ تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعاً فَلاَ تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلاثاً. فَقُلْتُ: يَا رسولَ اللهِ ، أَتَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ؟ فَقَالَ: ((يَا عَائِشَةَ، إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلاَ يَنَامُ قَلْبِي)) (١) ، في هذا الحديث: أنه ﷺ يديم التهجد في رمضان وفي غيره، ولكنه إذا أراد الزيادة أطال الصلاة. وفيه: أنه لا ينبغي النوم قبل الوتر، إلا لمن وثق بالقيام. (٢)

النوم قليلا عند غلبة النعاس: عن عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ لاَ يَدْرِي لَعَلَّهُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبَّ نَفْسَهُ" (٣)، ففيه: الندب إلى الرقاد إذا غلبه النعاس؛ لأن لب الصلاة الخشوع فيها، والحضور مع الله عز وجل، وإنما يكون ذلك مع النشاط وصحة اللب، وسلامته من الكسل (٤).

القنوت في الوتر: عن أبي الحوراء قال قال الحسن بن علي ﷺ علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر قال ابن جواس في قنوت الوتر "اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت وقني شر ما قضيت إنك تقضي ولا يقضى عليك وإنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت تباركت ربنا وتعاليت " (٥).

وعن ابن عباس ﷺ قال: كان النبي صلى الله عليه و سلم إذا قام من الليل يتهجد قال (اللهم لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه و سلم حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت أو لا إله غيرك) (٦)

ثم الصلاة على الرسول الكريم ويمكن أن يزيد المسلم من الدعاء المستحب إذا رغب بذلك، ويمكن جعل القنوت بعد الركوع ثم الدعاء والاستغفار

قضاء صلاة الليل بالنهار: عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- كَانَ إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلاَةُ مِنَ اللَّيْلِ مِنْ وَجَعٍ أَوْ غَيْرِهِ صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَىْ عَشْرَةَ رَكْعَةً" (٧) فيستحب قضاء الفوائت من النوافل المؤقتة، وعن

---

(١) متفق عليه (٢) الكلم الطيب (٣) متفق عليه (٤) تطريز رياض الصالحين (٥) صحيح سنن أبي داوود (٦) صحيح البخاري (٧) صحيح مسلم

عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ أَوْ عَنْ شَىْءٍ مِنْهُ فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلاَةِ الْفَجْرِ وَصَلاَةِ الظُّهْرِ كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ » (١).

ثالثاً: الأسباب الميسِّرة لقيام الليل

ألا يكثر الأكل فيكثر الشرب، فيغلبه النوم، ويثقل عليه القيام.

قال سفيان الثّوري:" عليكم بقلة الأكل، تملكوا قيام الليل "، ورأى معقل بن حبيب قوماً يأكلون كثيراً فقال:" ما نرى أصحابنا يريدون أن يصلوا الليلة ".

ألا يتعب نفسه بالنهار بما لا فائدة فيه فيؤثر عليه ولا يستطع القيام.

الاستعانة بالقيلولة فإنها تعين على القيام: فعن أنس أن رسول الله ﷺ قال " قيلوا فإن الشياطين لا تقيل" (٢)، أي: أنَّ الإنسان ينام في وسط النهار، ولهذا جاء في بعض الآثار: استعينوا بالقيلولة على قيام الليل، فلا بدَّ أنَّ الإنسان ينام في وسط النهار؛ لأنَّ الإنسان لو قام من الصباح -من الفجر مثلاً- إلى بعد صلاة العشاء، ما نام إلا بعد صلاة العشاء بساعتين أو ثلاث، كيف يستطيع أن يقوم الليل وهو في طيلة النهار يعمل ويكدح؟! لا شكَّ أنَّه لا يستطيع أن يقوم الليل إلا إذا شاء الله.

ألا يرتكب الأوزار بالنهار فيحرم القيام بالليل: قال رجل لإبراهيم بن أدهم:" إنّي لا أقدر على قيام الليل فصف لي دواءً؟ فقال: لا تعصه بالنّهار، وهو يقيمك بين يديه في الليل، فإن وقوفك بين يديه في الليل من أعظم الشّرف، والعاصي لا يستحقّ ذلك الشّرف "

وقال رجل للحسن البصري:" يا أبا سعيد: إني أبيت معافى، وأحبّ طهوري، فما بالي لا أقوم؟ فقال الحسن: ذنوبك قيّدتك "، وقال رحمه الله:" إنّ العبد ليذنب الذّنب فيحرم به قيام الليل، وصيام النّهار

النوم على الجانب الأيمن: عن أبي هريرة : عن النبي ﷺ قال (إذا جاء أحدكم فراشه فلينفضه بصنفة ثوبه ثلاث مرات وليقل باسمك رب وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فاغفر لها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين) (٣) (بصنفة ثوبه) جانبه أو طرفه والصنفة أعلى حاشية الثوب الذي عليه الهدب.

(١) صحيح مسلم (٢) السلسلة الصحيحة (٣) صحيح البخاري

ذكر الله: عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلاَثَ عُقَدٍ؛ يَضْرِبُ عَلَى كُلِّ عُقْدَةٍ، عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِن اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ الله انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلاَّ أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلاَنَ" (١)، «قافية الرأس» : آخره. فإذا استيقظ العبد فذكر الله وتوضأ وصلى خرج من وثاق الشيطان.

كثرة الدعاء: لأنَّ قيام الليل توفيقٌ من الله، هبةٌ ربَّانيَّةٌ، عطيَّةٌ رحمانيَّةٌ، فالله عزَّ وجلَّ لا يهب هذه العبادة -التي قلَّ من يطبِّقها- إلا بعد توفيق الله عزَّ وجلَّ، فتدعو الله سبحانه وتعالى وتتضرَّع إلى الله أنَّ الله يوفِّقك ويعينك، قبل أن تنام تدعو الله وتتضرَّع: يا ربّ، يا الله، يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، يا ربّ العرش العظيم، اللهم أعنِّي في هذه الليلة، اللهم أكرمني ووفِّقني وأعنِّي في هذه الليلة على الوقوف بين يديك.

فعن معاذ - ﷺ - : أن رَسُول الله - ﷺ - أخذ بيدهِ ، وَقالَ : ((يَا مُعَاذُ ، وَاللهِ ، إِنِّي لأُحِبُّكَ ، ثُمَّ أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لاَ تَدَعَنَّ في دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ تَقُولُ : اللَّهُمَّ أعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ ، وَشُكْرِكَ ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ)) (٢)

وعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ لاَ أَقُولُ لَكُمْ إِلاَّ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ كَانَ يَقُولُ « اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِى تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لاَ تَشْبَعُ وَمِنْ دَعْوَةٍ لاَ يُسْتَجَابُ لَهَا » (٣)

سلامة القلب عن الحقد على المسلمين، وعن البدع وعن فضول الدنيا.

خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل.

أن يعرف فضل قيام الليل.

الحب لله، وقوة الإيمان بأنه في قيامه لا يتكلم بحرف إلا وهو مناج ربه.

رابعاً: قيام الليل في حياة السلف

كان ابن مسعود إذا هدأت العيون قام، فيُسمع له دويٌّ كدويِّ النحل حتى يصبح.

عن أبي غالب قال: كان ابن عمر -ﷺ- ينزل علينا بمكة، وكان يتهجّد من الليل، فقال لي ذات ليلة قبل الصبح: يا أبا غالب، ألا تقوم تصلّي، ولو تقرأ بثلث القرآن. فقلت: يا أبا عبد الرحمن، قد دنا

(١) متفق عليه (٢) صحيح سنن أبي داوود (٣) صحيح مسلم

الصبح، فكيف أقرأ بثلث القرآن؟! فقال: إنّ سورة الإخلاص (قل هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن. وقال أبو الدرداء: صلّوا ركعتين في ظلم الليل لظلمة القبور.

سألت ابنة الربيع أباها: يا أبتاه، الناس ينامون ولا أراك تنام؟ قال يا بنية: إن أباك يخاف السيّئات.

وكان زيد بن الحارث يجزِّئ الليل إلى ثلاثة أجزاء: جزءٌ عليه، وجزءٌ على ابنه، وجزءٌ على ابنه الآخر.

قال الحسن البصري: (لم أجد شيئاً من العبادة أشد من الصلاة في جوف الليل).

كان شداد بن أوس إذا أوى إلى فراشه كأنه حبة على مقلى، ثم يقول: اللهم إن جهنم لا تدعني أنام، فيقوم إلى مصلاه.

كان طاووس يثب من على فراشه، ثم يتطهر ويستقبل القبلة حتى الصباح، ويقول: طيَّر ذكر جهنم نوم العابدين

كان زمعة العابد يقوم فيصلي ليلاً طويلاً، فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته: يا أيها الركب المعرِّسون، أكُل هذا الليل ترقدون؟ ألا تقومون فترحلون !! فيسمع من هاهنا باكٍ، ومن هاهنا داع، ومن هاهنا متوضئ، فإذا طلع الفجر نادى: عند الصباح يحمد القوم السري !!

كان شريح بن هانئ رحمه الله يقول :ما فقد رجل شيئاً أهون عليه من نعسة تركها!!! (أي لأجل قيام الليل)

قال ابن الجوزي رحمه : لما امتلأت أسماع المتهجدين بمعاتبة [كذب من أدعى محبة الله فإذا جنه الليل نام عنه] حلفت أجفانهم على جفاء النوم .

كان العبد الصالح عبد العزيز بن أبي روّاد رحمه الله يُفرش له فراشه لينام عليه بالليل ، فكان يضع يده على الفراش فيتحسسه ثم يقول : ما ألينك !! ولكن فراش الجنة ألين منك!! ثم يقوم إلى صلاته

قال أبو سليمان الدارني رحمه الله : ربما أقوم خمس ليال متوالية بآية واحدة ، أرددها وأطالب نفسي بالعمل بما فيها !! ولولا أن الله تعالى يمن على بالغفلة لما تعديت تلك الآية طول عمري ، لأن لي في كل تدبر علماً جديدا ، والقرآن لا تنقضي عجائبه !!

قال عطاء الخرساني رحمه الله : إن الرجل إذا قام من الليل متهجداً أَبح فرحاً يجد لذلك فرحاً في قلبه ، وإذا غلبته عينه فنام عن حزبه (أي عن قيام الليل) أصبح حزيناً منكسر القلب ، كأنه قد فقد شيئاً ، وقد فقد أعظم الأمور له نفعا (أي قيام الليل).

دخلت إحدى النساء على زوجة الإمام الأوزاعي رحمه الله فرأت تلك المرأة بللاً في موضع سجود

الأوزاعي ، فقالت لزوجة الأوزاعي : ثكلتك أمك !! أراك غفلت عن بعض الصبيان حتى بال في مسجد الشيخ (أي مكان صلاته بالليل) فقالت لها زوجة الأوزاعي : ويحك هذا يُصبح كل ليلة !! من أثر دموع الشيخ في سجوده .

كان أبو مسلم الخولاني رحمه الله يصلي من الليل فإذا أصابه فتور أو كسل قال لنفسه : أيظن أصحاب محمد ﷺ أن يسبقونا عليه ، والله لأزاحمنهم عليه ، حتى يعلموا أنهم خلفوا بعدهم رجالا !! ثم يصلي إلى الفجر .

طبقات السلف في قيام الليل

قال ابن الجوزي: واعلم أن السلف كانوا في قيام الليل على سبع طبقات:

- الطبقة الأولى: كانوا يحيون كل الليل، وفيهم من كان يصلي الصبح بوضوء العشاء.
- الطبقة الثانية: كانوا يقومون شطر الليلن • الطبقة الثالثة: كانوا يقومون ثلث الليل.
- الطبقة الرابعة: كانوا يقومون سدس الليل أو خمسه.
- الطبقة الخامسة: كانوا لا يراعون التقدير، وإنما كان أحدهم يقوم إلى أن يغلبه النوم فينام، فإذا انتبه قام.
- الطبقة السادسة: قوم كانوا يصلون من الليل أربع ركعات أو ركعتين.
- الطبقة السابعة: قوم يُحيون ما بين العشاءين، ويُعسِّلون في السحر، فيجمعون بين الطرفين.

خامساً: نماذج على قيام الليل

النبي ﷺ: عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ بَاتَ لَيْلَةً عِنْدَ مَيْمُونَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ وَهِيَ خَالَتَهُ، فَاضْطَجَعْتُ فِي عَرْضِ الْوِسَادَةِ، وَاضْطَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَهْلُهُ فِي طُولِهَا، فَنَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ اللَّيْلُ أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ، اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَجَلَسَ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَرَأَ الْعَشْرَ الآيَاتِ الْخَوَاتِمَ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، ثُمَّ قَامَ إِلَى شَنٍّ مُعَلَّقَةٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقُمْتُ فَصَنَعْتُ مِثْلَ مَا صَنَعَ، ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى رَأْسِي وَأَخَذَ بِأُذُنِي الْيُمْنَى يَفْتِلُهَا؛ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَوْتَرَ؛ ثُمَّ اضْطَجَعَ حَتَّى أَتَاهُ الْمُؤَذِّنُ فَقَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ" (١)

(١) متفق عليه

عبد الله بن عمر ﷺ : عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ، فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا رَأَى رؤْيَا قَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا، فَأَقُصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكُنْتُ غُلاَمًا شَابًّا وَكُنْتُ أَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي، فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبِئْرِ، وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ، وَإِذَا فِيهَا أُنَاسٌ، قَدْ عَرَفْتُهُمْ فَجَعَلْتُ أَقُولُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ النَّارِ قَالَ: فَلَقِيَنَا مَلَكٌ آخَرُ، فَقَالَ لِي: لَمْ تُرَعْ فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ، فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ فَكَانَ، بَعْدُ، لاَ يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلاَّ قَلِيلاً" (١)

(مطوية) مبنية الجوانب . (قرنان) جانبان . (لم ترع) لا خوف عليك]

صلة بن أيشم العدوي: عن جعفر بن زيد رحمه الله قال : خرجنا غزاة إلى [كأبول] وفي الجيش [صلة بن أيشم العدوي] رحمه ، قال : فترك الناس بعد العتمة (أي بعد العشاء) ثم اضطجع فالتمس غفلة الناس ، حتى إذا نام الجيش كله وثب صلة فدخل غيضة وهي الشجر الكثيف الملتف على بعضه ، فدخلت في أثره ، فتوضأ ثم قام يصلي فافتتح الصلاة ، وبينما هو يصلي إذا جاء أسد عظيم فدنا منه وهو يصلي !! ففزعت من زئير الأسد فصعدت إلى شجرة قريبة ، أما صلة فوالله ما التفت إلى الأسد !! ولا خاف من زئيره ولا بالى به !! ثم سجد صلة فاقترب الأسد منه فقلت : الآن يفترسه !! فأخذ الأسد يدور حوله ولم يصبه بأي سوء ، ثم لما فرغ صلة من صلاته وسلم ، التفت إلى الأسد وقال : أيها السبع اطلب رزقك في مكان آخر !! فولى الأسد وله زئير تتصدع منه الجبال !! فما زال صلة يصلي حتى إذا قرب الفجر !! جلس فحمد محامد لم أسمع بمثلها إلا ما شاء الله ، ثم قال : الله إني أسألك أن تجيرني من النار ، أو مثلي يجترئ أن يسألك الجنة !!! ثم رجع رحمه الله إلى فراشه (أي ليوهم الجيش أنه ظل طوال الليل نائماً) فأصبح وكأنه بات على الحشايا (وهي الفرش الوثيرة الناعمة والمراد هنا أنه كان في غاية النشاط والحيوية) ورجعت إلى فراشي فأصبحت وبي من الكسل والخمول شيء الله به عليم .

قال أبو جعفر البقال : دخلت على أحمد بن يحيى رحمه الله ، فرأيته يبكي بكاء كثيرا ما يكاد يتمالك نفسه !! فقلت له : أخبرني ما حالك؟!! فأراد أن يكتمني فلم أدعه ، فقال لي : فاتني حزبي البارحة !! ولا أحسب ذلك إلا لأمر أحدثته ، فعوقبت بمنع حزبي !!ثم أخذ يبكي !! فأشفقت عليه وأحببت أن أسهل عليه ، فقلت له : ما أعجب أمرك !! لم ترض عن الله تعالى في نومة نومك إياها ، حتى قعدت

(١) متفق عليه

تبكي !! فقال لي : دع عنك هذا يا أبا جعفر !! فما احسب ذلك إلا من أمر أحدثته !! ثم غلب عليه البكاء !! فلما رأيته لا يقبل مني انصرفت وتركته .

شاب يدمن على المعاصي: كان يسكن مع أمه العجوز في بيت متواضع، حيث كان يقضي معظم وقته أما شاشة التلفاز ... كان مغرما بمشاهدة الأفلام والمسلسلات ، يسهر الليالي من أجل ذلك، لم يكن يذهب إلى المسجد ليؤدي الصلاة المفروضة مع المسلمين، طالما نصحته أمه العجوز بأداء الصلاة فكان يستهزئ بها ويسخر منها ولا يعيرها أي اهتمام ... مسكينة تلك الأم إنها لا تملك شيئا وهي المرأة الكبيرة الضعيفة إنها تتمنى لو أن الهداية تباع فتشتريها لابنها ووحيدها بكل ما تملك إنها لا تملك إلا شيئا واحداً، واحداً فقط إنه (((الدعاء))) ... إنها سهام الليل التي لا تخطئ.

فبينما هو يسهر طوال الليل أما تلك المناظر المزرية كانت هي تقوم في جوف الليل تدعو له بالهداية والصلاح ، ولا عجب في ذلك فإنها عاطفة الأمومة التي لا تساويها عاطفة، وفي ليلة من الليالي حيث السكون والهدوء وبينما هي رافعة كفيها تدعو الله وقد سالت الدموع على خديها، دموع الحزن والألم إذا بصوت يقطع ذلك الصمت الرهيب، صوت غريب، خرجت الأم مسرعة باتجاه الصوت وهي تصرخ (ولدي حبيبي)، فلما دخلت عليه فإذا بيده تلك العصا ، وهو يحطم ذلك الجهاز اللعين الذي طالما عكف عليه وانشغل به عن طاعة الله وطاعة أمه وترك من أجله الصلوات المكتوبة ، ثم انطلق إلى أمه يقبل رأسها ويضمها إلى صدره وفي تلك اللحظة وقفت الأم مندهشة مما رأت والدموع على خديها ولكنها في هذه المرة ليست دموع الحزن والألم وإنما دموع الفرح والسرور وهكذا استجاب الله لدعائها فكانت الهداية، وصدق الله إذ يقول (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) (البقرة:١٨٦).

فهيا أيها المسلم اطرق باب مولاك وقف بين يديه متذللا في جوف الليل وتلذذ بمناجاة المولى الكريم سبحانه وتعالى فلن يخيب رجاءك ولن يطردك من رحمته بل سيقربك منه ويدنيك ويمن عليك بالخير الكثير والنعم الوفيرة .

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

۞۞۞۞۞۞۞۞۞

فضل العشر الأواخر من رمضان وواجب المسلم فيها

الحمد لله ، الحمد لله مغيث المستغيثين ، ومجيب دعوة المضطرين ، ومسبل النعم على الخلق أجمعين ،عظُم حلمه فستر ، وبسط يده بالعطاء فأكثر ، نعمه تترى ، وفضله لا يُحصى ، من أناخ بباب كرمه ظفر ، وأزال عنه الضُّر، وجبر ما انكسر ، إليه وحده تُرفع الشكوى ،وهو المقصود في السر والنجوى ،يجود بأعظم مطلوب ،ويعُم بفضله وإحسانه كل مرغوب ، سبحانه أنشأ السحاب الثقال ، فأهطل دَيمها فبلَّ الأرض بعد جفوفها ، وأخرج نبتها بعد جدوبها ، سبحانه وسع سمعه ضجيج الأصوات ،باختلاف اللغات وتنوع الحاجات.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، هو مجيب الدعوات وفارج الكُربات ،وهو مجبل النعم على جميع البريات .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا هو عبد الله ورسوله ،أصدق العباد قصدًا ،وأعظمهم لربه ذِكرًا وخِشيةً وتقوى ، صلى الله وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين.

العناصر

أولًا: فضل العشر الأواخر

ثانيًا: الواجب على المسلم في هذه الأيام

ثالثًا: الحذر من حرمان الخير

الموضوع

أولًا: فضل العشر الأواخر

كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر أكثر من غيرها: عن عَائِشَةُ رضى الله عنها قالت كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يَجْتَهِدُ فِى الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مَا لاَ يَجْتَهِدُ فِى غَيْرِهِ. [1] ، وكان يعتكف تلك الليالي فيلازم المسجد فلا يخرج منه إلا لحاجة الإنسان فكان النبي - ﷺ - في هذا العشر يقطع الأشغال ويفرغ البال ويشتغل بصالح الأعمال من صلاة وصدقة وتلاوة للقرآن وجود بأنواع الإحسان والذكر

(١) صحيح مسلم

والدعاء استزادة من الخير والهدى. فتفرغ النبي - ﷺ - لها واعتكافه فيها من أكبر الأدلة على فضلها وشرفها، وقال النَّوويُّ: "يُستحبُّ أن يُزاد من العبادات في العشْر الأواخر من رمضان، وإحياء لياليه بالعبادات"

الاعتكاف : عَنْ عَائِشَةَ - رضى الله عنها - أَنَّ النَّبِىَّ -ﷺ- كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ. (١)

فيها ليلة القدر: قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ* فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ* أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ* رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ* رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ* لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ} (٨) سورة الدخان، وصفها الله سبحانه بأنها مباركة لكثرة خيرها وبركتها وفضلها، ومن بركتها أن هذا القرآن المبارك أُنْزِل فيها، ووصفها سبحانه بأنه يفرق فيها كل أمر حكيم، يعني يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكَتَبَة ما هو كائن من أمر الله سبحانه في تلك السنة من الأرزاق والآجال والخير والشر وغير ذلك من كل أمر حكيم من أوامر الله المحكمة المتقنة، التي ليس فيها خلل ولا نقص ولا سفه ولا باطل ذلك تقدير العزيز العليم.

وقال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ* لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ* تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ* سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ} القدر.

القدر بمعنى الشرف والتعظيم، أو بمعنى التقدير والقضاء؛ لأن ليلة القدر شريفة عظيمة يقدّر الله فيها ما يكون في السنة ويقضيه من أموره الحكيمة، {لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ} يعني في الفضل والشرف وكثرة الثواب والأجر، ولذلك كان مَنْ قامها إيماناً واحتساباً غُفِر له ما تقدم من ذنبه.

{تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا} الملائكة عباد من عباد الله قائمون بعبادته ليلاً ونهاراً {لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ* يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ} الأنبياء. يتنزلون في ليلة القدر إلى الأرض بالخير والبركة والرحمة، (والروح) هو جبريل -عليه السلام- خصه بالذكر لشرفه وفضله.

{سَلَامٌ هِيَ} يعني أن ليلة القدر ليلة سلام للمؤمنين من كل مخوف لكثرة من يُعتق فيها من النار، ويسلم من عذابها، {حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ} يعني أن ليلة القدر تنتهي بطلوع الفجر لانتهاء عمل الليل به.

وفي هذه السورة الكريمة بيان لفضائل متعددة لليلة القدر:

---

(١) متفق عليه

* الفضيلة الأولى: أن الله أنزل فيها القرآن الذي به هداية البشر وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

* الفضيلة الثانية: ما يدل عليه الاستفهام من التفخيم والتعظيم في قوله: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ}

* الفضيلة الثالثة: أنها خير من ألف شهر.

* الفضيلة الرابعة: أن الملائكة تتنزل فيها وهم لا ينزلون إلا بالخير والبركة والرحمة.

* الفضيلة الخامسة: أنها سلام لكثرة السلامة فيها من العقاب والعذاب بما يقوم به العبد من طاعة الله .

* الفضيلة السادسة: أن الله أنزل في فضلها سورة كاملة تُتْلَى إلى يوم القيامة.

زكاة الفطر : عن ابن عباس قال فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات(١)

التكبير: ويكون من غروب الشمس ليلة عيد الفطر إلى صلاة العيد، قال تعالى :{ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }[البقرة:١٨٥] .

ثانياً: الواجب على المسلم في هذه الأيام

إخلاص عمله لله تعالى: النية أصل في قبول الأعمال فلذلك لابد ان تكون النية خالصة لوجه الله تعالى لان الله تعالى يقول " قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ} (٢٩) الأعراف ، وقال تعالى" فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (١٤)" غافر ، وقال تعالى "هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٥)" غافر ، وقال تعالى" وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥)" البينة.

وعن أَبِي مُوسى ﷺ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللهِ قَالَ: مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ"(٢) ، والمغنم : الغنيمة ، وللذكر : ليتحدث الناس عنه ، فمن عمل عملا لغير الله فلا وزن لعمله عند الله لأنه ضيع أجر الآخرة الباقي بأجر الدنيا الفاني.

ومن لم يخلص عمله لله لن يناله منه إلا التعب غير ما يحمله من أوزار قال تعالى: "وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا (٢٣)" الفرقان ، ومعنى (قدمنا) : عَمَدنا، و(هَبَاءً مَنْثُورًا) هو

(١) صحيح سنن أبي داوود (٢) متفق عليه

الماء المهراق، وذلك أنهم عملوا أعمالا اعتقدوا أنها شيء، فلما عرضت على الملك الحكيم العدل الذي لا يجور ولا يظلم أحدا، إذا إنها لا شيء بالكلية. وشبهت في ذلك بالشيء التافه الحقير المتفرق، الذي لا يقدر منه صاحبه على شيء بالكلية، والسبب أنه لم يكن خالصا لله تعالى. (١)

تحري ليلة القدر وحسن العمل فيها: عَنْ عَائِشَةَ - رضى الله عنها - قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ « الْتَمِسُوا - وَقَالَ وَكِيعٌ - تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِى الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ ». (٢)

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ - ﷺ- عَنِ النَّبِىِّ -ﷺ- قَالَ « تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِى السَّبْعِ الأَوَاخِرِ ». (٣)

وعَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ -ﷺ- قَالَ رَأَى رَجُلٌ أَنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ. فَقَالَ النَّبِىُّ -ﷺ-«أَرَى رُؤْيَاكُمْ فِى الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ فَاطْلُبُوهَا فِى الْوِتْرِ مِنْهَا» (٤).

وقيل إنها ليلة السابع والعشرين

أ-لان العدد سبعة يتكرر في المخلوقات كثيرا فالأرض سبعا ،والسموات سبعا، والمثاني سبعا، وأيام الأسبوع سبعا ، ويمر الإنسان من العدم إلى الوجود بسبعة أطوار، وجعل الله رزقه في سبعة أصناف ، وأمر المسلم أن يسجد على سبعة أعظم، ويصلى الجمعة على رأس سبعة أيام ، ويطوف بالبيت سبعا ، ويسعى بين الصفا والمروة سبعا، وعدد الجمرات التي يرمي بها سبعا ،والسبعة الذين يظلهم الله في ظله سبعا ،وآيات سورة الفاتحة سبعا، وعدد البحار سبعا، وعدد قارات العالم سبعا ،وتهاجر الطيور بسرب على شكل سبعا

ب-كلمة القدر ذكرت في سورة القدر ثلاث مرات وهي تسعة أحرف وحاصل ضرب ثلاثة في تسعة يساوي سبعا وعشرين

ب-أنها تكررت في الكلمة رقم ١٢ من سورة القدر وعند جمعهم يكون الناتج ٢٧

وقد أبهمها الله ولم يظهرها من أجل الاجتهاد في العبادة وهذا كثير أي أنه يكون في القرآن والسنة أشياء مبهمة يبهمها الله ورسوله من أجل امتحان الخلق ليتبين الحريص من غير الحريص فمثلا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان أو في السبع الأواخر من رمضان لكن لا تعلم في أي ليلة هي من أجل أن يحرص الناس على العمل في كل الليالي رجاء هذه الليلة ولو علمت بعينها لاجتهد الناس في هذه الليلة وكسلوا عن بقية الليالي ومن ذلك ساعة الإجابة في يوم الجمعة فيها ساعة لا

(١) تفسير ابن كثير (٢) متفق عليه (٣) صحيح مسلم (٤) صحيح مسلم

يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله إلا أعطاه إياه هذه أيضا مبهمة من أجل أن يحرص الناس على التحري والعمل كذلك في كل ليلة ساعة إجابة لا يوافقها أحد يدعو الله سبحانه وتعالى إلا استجاب له [١].

فطوبى لامرئ ** يطلبها في هذه العشر
ففيها تَنَزّل الأملاك ** بالأنوار والبرِّ
وقد قال: سلام هي ** حتى مطلع الفجر
ألا فادَّخِرها إنها ** من أنفس الذخر
فكم من مُعتَقٍ فيها ** من النار ولا يدري

الاجتهاد فيها بالطاعة مع الالتزام بقيام الليل: عَنْ عَائِشَةَ - رضى الله عنها - قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ أَحْيَا اللَّيْلَ وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ وَجَدَّ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ. [٢]

أحيا ليله؛ أي: بالصلاة والذِّكر والدعاء، وأيقظ أهله؛ أي: أيقظهم من نومهم؛ ليجتهدوا في الصلاة والذِّكر والتضرُّع إلى الله تعالى، وهذه السُّنَّة قد لا ينتبه لها بعض المسلمين، والله تعالى يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم: ٦] ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت لا أعلم رسول الله ﷺ قرأ القرآن كله في ليلة ولا قام ليلة حتى الصباح ولا صام شهرا كاملا قط غير رمضان [٣] المقصود به أنه يقوم أغلب الليل، ويحتمل أنه كان يحي الليل كله ، وقيام الليل في هذا الشهر الكريم وهذه الليالي الفاضلة لا شك أنه عمل عظيم جدير بالحرص والاعتناء حتى نتعرض لرحمات الله جل شأنه، أما شدُّ المئزر؛ فقد قال كثيرٌ من أهل العلم: إنَّه كنايةٌ عن اعتزال النساء والتفرُّغ للعبادة؛ ولذلك كان - ﷺ - يعتكف في هذه العشر في المسجد، وينقطع عن الدنيا، ويخلو بربِّه؛ يدعوه، ويناجيه، ويسأله، ويتضرَّع إليه، وعن أَبي هريرة - رضي الله عنه - ، عن النبيِّ - ﷺ - ، قَالَ : ((مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إيمَاناً وَاحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) [٤]

وعن عبد الله بن سلام - رضي الله عنه- : أنَّ النبيَّ - ﷺ - ، قَالَ : ((أيُّهَا النَّاسُ : أفْشُوا السَّلامَ ، وَأطْعِمُوا الطَّعَامَ ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلاَمٍ)) [٥]

---

(١) شرح رياض الصالحين
(٢) صحيح مسلم
(٣) سنن النسائي "صحيح"
(٤) متفق عليه
(٥) صحيح سنن الترمذي

عن عبد الله بن عمر ﷺعن النبي ﷺ قال إن في الجنة غرفة يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها فقال أبو مالك الأشعري لمن هي يا رسول الله قال لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وبات قائما والناس نيام" (١)

وعن ابن عباس ﷺ ، قَالَ : سَمِعْتُ رسولَ اللهِ - ﷺ - ، يقول : ((عَيْنَانِ لاَ تَمسُّهُمَا النَّارُ : عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ في سَبيلِ اللهِ)) (٢)

يَا رِجَالَ اللَّيْلِ جِدُّوا رُبَّ صَوْتٍ لا يُرَدُّ ** لا يَقُومُ اللَّيْلَ إلاَّ مَنْ لَهُ عَزْمٌ وَجِدُّ

وكما يجب الاجتهاد في الليل فكذلك في النهار، قال الشافعي رحمه الله: أستحبُّ أن يكون اجتهاده في نهارها كاجتهاده في ليلها، وهذا يقتضي استحباب الاجتهاد في جميع زمان العشر الأواخر ، ليله ونهاره ، والله أعلم." (٣)

قد مزق الحب قميص الصبر ** وقد غدوت حائرا في أمري
آه على تلك الليالي الغرّ ** ما كنّ إلا كليالي القدر
إن عدن لي من بعد هذا الهجر ** وفيّت لله بكل نذر
وقام بالحمد خطيب شكري

إيقاظ الرجل أهله للصلاة : عن أَبي هريرة - ﷺ - ، قَالَ : قَالَ رسول الله - ﷺ - : ((رَحِمَ اللهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ ، فَصَلَّى وَأيْقَظَ امْرَأَتَهُ ، فَإنْ أبَتْ نَضَحَ في وَجْهِهَا المَاءَ ، رَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ ، فَصَلَّتْ وَأيْقَظَتْ زَوْجَهَا ، فَإن أبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ المَاءَ)) (٤)

وهذا حرص منه عليه الصلاة والسلام على أن يدرك أهله من فضائل ليالي هذا الشهر الكريم ولا يقتصر على العمل لنفسه ويترك أهله في نومهم، كما يفعل بعض الناس وهذا لا شك أنه خطأ وتقصير ظاهر.

يا نائم الليل كم ترقدُ ** قم يا حبيبي قد دنا الموعدُ
وخذ من الليل وأوقاته ** وِرْداً إذا ما هجع الرُّقَّدُ
من نام حتى ينقضي ليله ** لم يبلغ المنزل أو يزهدُ
قل لذوي الألباب أهل التقى ** قَنطَرَةُ الَعْرض لكم موعِدُ

(١) صحيح الترغيب والترهيب (٢) صحيح سنن الترمذي (٣) لطائف المعارف (٤) صحيح سنن أبي داوود

المحافظة على الصلاة في وقتها وأداؤها بخشوع: قال تعالى: " وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ " (المؤمنون، آية: ٩) ، أي الذين على أوقات صلاتهم يحافظون، فلا يضيعونها، ولا يشتغلون عنها حتى تفوتهم، ولكنهم يراعونها حتى يؤدونها فيها.

وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلى اللهِ قَالَ: الصَّلاةُ عَلى وَقْتِها قَالَ: ثُمَّ أَيّ قَالَ: ثُمَّ بِرُّ الْوالِدَيْنِ قَالَ: ثُمَّ أَيّ قَالَ: الْجِهادُ في سَبيلِ اللهِ قَالَ حَدَّثَنِي بِهِنَّ، وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي " (١)

وعن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ، قَالَ : سَمِعْتُ رسول الله - ﷺ - ، يقول : ((مَا مِنْ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاَةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءها ؛ وَخُشُوعَهَا، وَرُكُوعَهَا ، إِلاَّ كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوب مَا لَمْ تُؤتَ كَبِيرةٌ ، وَذلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ)) (٢)

كثرة السجود: عن رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ الأَسْلَمِيُّ قَالَ كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِى « سَلْ ». فَقُلْتُ أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِى الْجَنَّةِ. قَالَ « أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ ». قُلْتُ هُوَ ذَاكَ. قَالَ « فَأَعِنِّى عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ ». (٣)

الاعتكاف: عَنْ عَائِشَةَ - رضى الله عنها - أَنَّ النَّبِىَّ -ﷺ- كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ. (٤) ، وعن أَبي هريرة - رضي الله عنه - ، قَالَ : كَانَ النبيُّ - ﷺ - يَعْتَكِفُ في كُلِّ رَمَضَانَ عَشْرَةَ أيَّامٍ ، فَلَمَّا كَانَ العَامُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ اعْتَكَفَ عِشْرِينَ يَوْماً . (٥)

أي يلزم المسجد لا يبرحه، ولا يشتغِل بغير العبادة فيها؛ اغتنامًا للفرصة، وسَيْرًا على نهج الصالحين، فإن الفرصة إذا أفلتت كانت حسرةً وندامة، وليس لأحدٍ علمٌ بطول العمر، ليستدرك في المستقبل ما فاته في الماضي، وليشتغل بصالح العمل ليدرك الأمل، إنما هي أنفاسٌ معدودة، وآجالٌ محدودة، فمَن اغتنم فيها الفرصة الحاضرة، وتاجر في الأعمال الصالحة - ربح المَغْنَم.

إن الاعتكاف فيه تسليم المعتكف نفسه بالكلية إلى عبادة الله تعالى طلب الزلفى، وإبعاد النفس من شغل الدنيا التي هي مانعة عما يطلبه العبد من القربى، وفيه استغراق المعتكف أوقاته في الصلاة، لأن المقصد الأصلي من شرعية الاعتكاف انتظار الصلاة في الجماعات، وتشبيه المعتكف نفسه بالملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ويسبحون الليل والنهار لا يفترون.

والاعتكاف المستحب ليس له وقت محدد، ولك أن تجمع بين عملك واعتكافك؛ فيكون اعتكافك ليلا وعملك نهارا؛ فهو يتحقق بالمكث في المسجد مع نية الاعتكاف طال الوقت أم قصر حتى ولو

---

(١) متفق عليه
(٢) صحيح مسلم
(٣) صحيح مسلم
(٤) متفق عليه
(٥) صحيح البخاري

لحظة؛ ويثاب ما بقي في المسجد، فإذا خرج منه ثم عاد إليه جدد النية إن قصد الاعتكاف، فعن يعلى بن أمية قال: إني لأمكث في المسجد ساعة ما أمكث إلا لأعتكف. (١)

ويكفي المعتكف أنه ترك الدنيا وشهواتها وأقبل على الله بقلبه وجوارحه؛ واقفا على بابه متعلقا بأعتابه؛ يدعوه ويبتهل إليه راجيا رحمته ورضوانه. قال عطاء ـ رحمه الله ـ:" مثل المعتكف كرجل له حاجة إلى عظيم؛ فجلس على بابه ويقول لا أبرح حتى تقضي حاجتي؛ وكذلك المعتكف يجلس في بيت الله ويقول: لا أبرح حتى يُغفر لي".

الإكثار من تلاوة القرآن بتدبر وخشوع: قال تعالى: "شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ" البقرة ، وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: " يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها " (٢)

وعن عائشة رضي اللَّه عنها قالتْ: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: "الَّذِي يَقرَأُ القُرْآنَ وَهُو ماهِرٌ بِهِ معَ السَّفَرةِ الكرَامِ البررَةِ، والذي يقرَأُ القُرْآنَ ويتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُو عليهِ شَاقٌّ له أجْران " (٣) .

عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ» (٤)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ يَا رَبِّ حَلِّهِ، فَيُلْبَسُ تَاجَ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبِّ زِدْهُ، فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ، فَيَرْضَى عَنْهُ، فَيُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَارْقَ وَتُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً "(٥)

الإكثار من الدعاء: فعن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله أرأيت إن علمت ليلة القدر ما أقول فيها قال قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني"(٦)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:" لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ" قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَا الِاسْتِعْجَالُ؟ قَالَ:" يَقُولُ قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ " (٧) ، وليعلم هذا المسكين الذي استبطأ الإجابة فترك الدعاء أنه خسر ثوابا وأجرا عظيما عند الله؛ لأن الله توعده بالإجابة عاجلا أو آجلا

---

(١)فقه السنة للشيخ سيد سابق
(٢) السلسلة الصحيحة
(٣) متفق عليه
(٤) صحيح سنن الترمذي
(٥) صحيح الترغيب والترهيب
(٦) صحيح الترغيب والترهيب
(٧) صحيح مسلم

فعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال:" ما مِن مسلِمٍ يدعو اللَّهَ عزَّ وجلَّ بدَعوةٍ ليسَ فيها إثمٌ ، ولا قَطيعةُ رحِمٍ ، إلَّا أعطاهُ اللَّهُ بِها إحدى ثلاثِ خصالٍ : إمَّا أن يعجِّلَ لَهُ دعوتَهُ ، وإمَّا أن يدَّخرَها له في الآخرةِ ، وإمَّا أن يصرفَ عنهُ منَ السُّوءِ مثلَها . قالوا : إذًا نُكْثِرُ ، قالَ : اللَّهُ أَكْثَرُ "(١)

فانظر إلى الصحابة قالوا : إذاً نكثر ؛ لأن الإجابة مضمونة في إحدى هذه الثلاث طالما التزمت بشروط الدعاء وآدابه؛ فإما أن يعجل الله لك الدعوة؛ أو يصرف عنك مصيبة أو نازلة كانت ستنزل بك رفعها الدعاء؛ أو يدخرها لك في الآخرة؛ يقول: عبدي دعوتني في يوم كذا في ساعة كذا بدعوة كذا فاذهب إلى قصر كذا في الجنة؛ وقتها يقول العبد: يا رب ليتك لم تستجب لي ولا دعوة في الدنيا!!! فلنكثر من الدعاء

فعلى المسلم أن يقف بين يدي ربه جل وعلا متذللا مستجيرا بالله وطالبا رضاه

بك أستجير ومن يجير سواك ** فأجر ضعيفاً يحتمي بحماكا
إنّي ضعيف استعين على قَوى ** ذنبي ومعصيتي ببعض قواكا
أذنبت يا ربي وآذتني ذنوبي ** ما لها من غافر إلاكا
دنياي غرتني وعفوك غرني ** ما حيلتي في هذه أو ذاكا
لو أن قلبي شك لم يك مؤمناً ** بكريم عفوك ما غوى وعصاكا
رباه ها أنا ذا خلصت من الهوى ** واستقبل القلب الخلي هداك
رباه قلب تائب ناداك أترده وترد ** صادق توبتي حاشاك ترده حاشاك
فليرض عني الناس أو فليسخطوا ** أنا لم اعد أسعى لغير رضاك

حضور مجالس العلم: عن أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِىِّ -ﷺ- أَنَّهُ قَالَ « لاَ يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلاَّ حَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ » (٢).

المسارعة إلى الخيرات: قال تعالى: وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) "البقرة، ويقول تعالى "وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ" آل عمران ، وقال تعالى" وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ"(المطففين).

وقال تعالى : { وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ* أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ* فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ}(الواقعة)

(١) صحيح الترغيب والترهيب (٢) صحيح مسلم

قال ابن القيّم -رحمه الله-: "السَّابِقُونَ في الدُّنْيا إلى الخَيْراتِ هُمْ السَّابِقُونَ يومَ القَيامةِ إلى الجنَّات"، ومدح أنبيائه بهذه الصفة الحميدة فقال: { إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} (الأنبياء:٩٠)

كثرة الجود والكرم فيها: قال تعالى: { مَثَلُ الَّذِين ينفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } البقرة:٢٦١

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (ﷺ) قَالَ : "كَانَ النبي ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ فيدارسه القرآن ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ ، فَلَرَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ " [١]

وعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: ((كلُّ سُلامَى من النَّاس عليه صدَقة كلَّ يوم تطلع فيه الشمس؛ تعدِل بين الاثنين صدَقة، وتعين الرجلَ في دابَّته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعَه صدَقة، والكلمة الطيِّبة صدقة، وكل خطوة تَمشيها إلى الصلاة صدَقة، وتميط الأذى عن الطَّريق صدَقة)) [٢] .

وعن ابن عمر ﷺ: أنَّ رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أيُّ النَّاس أحب إلى الله؟ وأيُّ الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله ﷺ: ((أحبُّ النَّاس إلى الله تعالى أنفعُهم للناس، وأحبُّ الأعمال إلى الله تعالى سرورٌ تُدخِله على مسلم، أو تكشِف عنه كُربة، أو تقضي عنه دَينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأَن أمشي مع أخٍ في حاجة أحبُّ إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد - يعني مسجد المدينة - شهرًا، ومن كفَّ غضبه ستر الله عورتَه، ومن كظم غيظَه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبَه رجاءً يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجةٍ حتى يتهيَّأ له أثبت الله قدمَه يوم تزول الأقدام)) [٣]

قال ابن رجب - رحمه الله تعالى -: "وكان جوده - ﷺ - كله لله - عز وجل - وفي ابتغاء مرضاته؛ فإنه كان يبذل المال إما لفقير أو محتاج، أو ينفقه في سبيل الله، أو يتألَّفُ به على الإسلام مَن يقوى الإسلام بإسلامه... وكان يؤثر على نفسه وأهله وأولاده، فيعطي عطاءً يعجز عنه الملوك مثلُ كسرى وقيصر، ويعيش في نفسه عيش الفقراء، فيأتي عليه الشهرُ والشهران لا يُوقَدُ في بيته نار، وربما ربط على بطنه الحجر من الجوع.

---

(١) متفق عليه (٢) متفق عليه (٣) صحيح الترغيب والترهيب

والجود معناه الاستكثار من سائر أنواع الخير ، كالإنفاق ، وحسن الخلق ، وبر الوالدين ، وبذل الخير ، ونشر العلم ، والجهاد في سبيله ، وقضاء حوائج الناس ، وتحمل أثقالهم ، ومناصرة المستضعفين ودعمهم؛ وكافة صور الخير والبر والإحسان!!.

الالتزام بالكلام الطيب الحسن وترك الكلام السيئ: عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : قال الله عز وجل كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم إني صائم والذي نفس محمد بيده لخلوف الصائم أطيب عند الله من ريح المسك للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه [١] ، وفي رواية " يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي الصيام لي وأنا أجزي به والحسنة بعشر أمثالها" [٢]

ومعنى: الرفث في الحديث يشمل الفحش في القول والجماع معاً، (وَلَمْ يَفْسُقْ) أَيْ لَمْ يَأْتِ بِسَيِّئَةٍ وَلا مَعْصِيَةٍ ، وَمَعْنَى (كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمّه) : أَيْ بِغَيْرِ ذَنْب .

ذكر الله: قال تعالى " الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ" الرعد

وقال تعالى" فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ" البقرة

وعن أبي هريرة أيضا ﷺ أن رسول الله ﷺ قال " من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه " [٣]

الاستغفار: عن شداد بن أوس قال : قال رسول الله ﷺ : " سيد الاستغفار أن تقول : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت " . قال : " ومن قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة " [٤]

التزود من التقوى

---

(١) متفق عليه (٢) صحيح البخاري (٣) متفق عليه (٤) صحيح البخاري

تَزَوَّدْ مِنَ التَّقْوَى فَإِنَّكَ لا تَدْرِي ** إِذَا جَنَّ لَيْلٌ هَلْ تَعِيشُ إِلَى الفَجْرِ
فَكَمْ مِنْ صَحِيحٍ مَاتَ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ ** وكَمْ مِنْ سَقِيمٍ عَاشَ حِينًا مِنَ الدَّهْرِ
وَكَمْ مِنْ صَبِيٍّ يُرْتَجَى طُولُ عُمْرِهِ ** وَقَدْ نُسِجَتْ أَكْفَانُهُ وَهْوَ لا يَدْرِي

كثرة التوبة والرجوع إلى الله: قال تعالى: " قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣)" الزمر.

نور حياتك بالهدى وأسلك طريق التائبين ** وأعمر فؤادك بالتقى فالعمر محدود السنين
وأرضِ الاله بطاعة تسعدك في دنيا ودين ** وأحمل بصدرك مصحفاً يشرح فؤادك كل حين
ودع الغواية إنها لشقاوة للغافلين ** الدين مشكاة الحياة يضئ درب الحائرين
عد للكريم بتوبة واركب جناح العائدين ** تلقى السعادة كلها فلنعم درب الصالحين

ثالثاً: الحذر من حرمان الخير

عُد إلى ربك قبل فوات الأوان: قال تعالى: "وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٥٩) وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ (٦٠) وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦١) اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢) " الزمر ، فالعاقل لا يتَّخِذ الشيطان وليًّا من دون الله مع علمه بعداوته له؛ فإنَّ ذلك مُنافٍ للعقل والإيمان؛ قال ـ تعالى ـ: (أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا) وقال ـ جلَّ وعلا ـ: (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) [فاطر: ٦].

فهل يُعَدُّ عاقلًا مَن يُفرِّط في مواسم الخيرات والتجارات الرابحات مع ربِّ الأرض والسماوات، الذي هو أفرح بتوبة عبده ممَّن الفاقد لراحلته في أرض المهلكة؟! أيعدُّ عاقلًا مَن يُفرِّط في هذه الفضائل ومواسم التجارة الرابحة، ويتَّبِع هواه وشيطانه الذي يدعوه ليكون معه في نار جهنم؟! أيعدُّ عاقلًا مَن يَرضَى لأحبابه وفلذات كبده بالعُكوف على ما يُغضِب الرحمن ويُرضِي الشيطان، ويُبعِد عن الجنان ويُقرِّب إلى النيران؟! فما أجهَلَ حال مَن هذه حاله حيث لم يُميِّز الخير من الشر، بل آثَر الشرَّ

على الخير وحُرِمَ السعادة ولذَّة العيش، واستبدلها بالشقاوة والكدر، فما أسعد الطائعين وألذ عيشهم!

قال أحد السلف: لو يعلَم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالَدُونا عليه بالسيوف، وما أشقى العاصين وأنكد عيشتهم! فما هذه الحياة حتى ولو صَفْتْ فمآلها إلى الكدَر، فلا سرور فيها إلا بطاعة الله.

حرمان خير ليلة القدر: عن أنس بن مالك قال دخل رمضان فقال رسول الله ﷺ إن هذا الشهر قد حضركم وفيه ليلة خير من ألف شهر من حرمها فقد حرم الخير كله ولا يحرم خيرها إلا محروم " [١]

كَمْ كُنْتَ تَعْرِفُ مِمَّنْ صَامَ فِي سَلَفٍ ** مِنْ بَيْنِ أَهْلٍ وَجِيرَانٍ وَإِخْوَانِ

أَفْنَاهُمُ المَوْتُ وَاسْتَبْقَاكَ بَعْدَهُمُ ** حَيًّا فَمَا أَقْرَبَ القَاصِي مِنَ الدَّانِي

حرمان المغفرة في شهر رمضان

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ صعد المنبر فقال آمين آمين آمين قيل يا رسول الله إنك صعدت المنبر فقلت آمين آمين آمين فقال" إن جبريل عليه السلام أتاني فقال من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين"[٢]

تَنَصَّفَ الشَّهْرُ وَالَهْفَاهُ وَانْصَرَمَا ** وَاخْتَصَّ بِالفَوْزِ بِالجَنّاتِ مَنْ خَدَمَا

وَأَصْبَحَ الغَافِلُ المِسْكِينُ مُنْكَسِرًا ** مِثْلِي فَيَا وَيْحَهُ يَا عُظْمَ مَا حُرِمَا

مَنْ فَاتَهُ الزَّرْعُ فِي وَقْتِ البِذَارِ فَمَا ** تَرَاهُ يَحْصُدُ إلاّ الهَمَّ وَالنَّدَمَا

طُوبَى لِمَنْ كَانَتِ التَّقْوَى بِضَاعَتَهُ ** فِي شَهْرِهِ وَبِحَبْلِ اللَّهِ مُعْتَصِمَا

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب (٢) صحيح الترغيب والترهيب

حسن الخاتمة

الحمد لله رب العالمين إله الأولين والأخرين وقيوم السموات و الأراضين، لا مغيث غير الله، و لا ناصر إلا الله و لا مفرج لهمومنا و غمومنا إلا الله فإذا ضاقت بك الدنيا فقل يا الله إذا تنكر لك الخلق فقليا الله إذا اعتقدت أنك هالك فقليا الله إذا مرضت فقل يا الله إذا نمت على فراش الموت فقل يا الله إذا دخل عليك ملك الموت فقل يا الله.

وأشهد أن لا إلاه إلا الله حده لا شريك له

يا صاحب الهم إن الهم منفرج ** أبشر بخير فإن الفارج الله
اليأس يقطع أحيانًا بصاحبه ** لا تيأسن فإن الكاشف الله
إذا قضى الله فاستسلم لقدرته ** ما لمرء حيلة فيما قضى الله
الله يحدث بعد العسر ميسرة ** لا تجزعن فإن الصانع الله
وإذا بليت فثق بالله وأرض به ** إن الذي يكشف البلوى هو الله
والله مالك غير الله من أحد ** فقل في كل أمرٍ حسبي الله[1]

واشهد أن سيدنا محمدا رسول الله

عذرا رسول الله إن قصرت في ** وصف فإن جمالكم لن يوصفا
جاءت قديما ذره من نوركم ** قد جمل الرحمن منها يوسف
والله لو جد العباقر كلهم في ** وصف أفضال له لن تعرفا
والله لو ماء البحار بجمعها ** كان المداد لوصف أحمد ما كفى
والله لو قلم الزمان من البداية ** إلى النهاية ظل يكتب ما اكتفى
والله لو قبر الرسول تفجرت ** أنواره للبدر ولى واختفى
يكفيه لقياً في السماوات العلى ** وبحضرة المولى الجليل تشرفا
يكفيه أن البدر يخسف نوره ** لكن نور نبينا لن يخسفا

العناصر

أولًا: الترغيب في العمل لحسن الختام
ثانيًا: وسائل مُيسِّرة لحسن الخاتمة
ثالثًا: حال السلف الصالح
رابعًا: علامات حسن الخاتمة
خامسًا: نماذج على حسن الخاتمة

---

(١) الإمام الشافعي

الموضوع

حسن الخاتمة هو: أن يوفق العبد قبل موته للتقاصي عما يغضب الرب سبحانه، والتوبة من الذنوب والمعاصي، والإقبال على الطاعات وأعمال الخير، ثم يكون موته بعد ذلك على هذه الحال الحسنة، ومما يدل على هذا المعنى ما صح عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا أراد الله بعبده خيراً استعمله) قالوا: كيف يستعمله؟ قال: (يوفقه لعمل صالح قبل موته) " [١]

أولًا: الترغيب في العمل لحسن الختام

الحث على التقوى للموت على الإسلام: قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) [آل عمران: ١٠٢].

وصية الأنبياء : قال الله تعالى: (وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) [البقرة: ١٣٢]

من صفات أولي الألباب: قال تعالى: (رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ)

العمل الصالح سبيل لحسن الخاتمة: قال تعالى: (وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ يَخَافُ ظُلْمًا وَلاَ هَضْمًا) [طه: ١١٢]، وقال تعالى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ) [البقرة: ١٤٣].

قال تعالى: (فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) [الأنعام: ٤٨].

القلوب بين اصبعين من أصابع الرحمن: عن أنس قال كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقلت يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا قال نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء" [٢] والمقصود أن يعيش العبد بين الخوف والرجاء مهما عمل الخيرات يعتقد نفسه مقصرًا، وألا يأمن مكر الله ويبقى يخاف على نفسه إلى آخر لحظة من حياته، وإذا ما حصل هذا وما عاش بهذه النفسية لا يستقيم حاله، تصور لو واحد يعيش على أنه خلاص ما دام على هذه الأعمال الطيبة، فإنه جازم لنفسه بالجنة، أصلاً ما يستمر عليها، بهذه النفسية ما يستمر عليها، فهو يرجو رحمه ربه أن الله لن يضيع أجره، وهذ الاعتكاف والصيام وقراءة القرآن، والأدعية والأذكار، وبر الوالدين والصدقات، لن تذهب هباءً منثورًا: {إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا} [الكهف: ٣٠]، {إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} [التوبة: ١٢٠]، لكن لا يمكن

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب (٢) صحيح سنن ابن ماجة

أن يجزم لنفسه أن سيموت على ذلك، ممكن يموت على غيرها، فهو يخشى من سوء المصير، وكلما زادت خشيته من سوء المصير ازداد ثباتًا ويقينًا وعبادة، وهكذا.. وابتعد عن السيئات، وأهل السوء، يخشى على نفسه.

الأعمالُ السيّئة الشرّيرَة سببٌ لكلِّ شرٍّ في الدنيا والآخِرة: قال تعالى: (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ) [الشورى: ٣٠]، وقال تعالى: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) الروم.

من عاش على شيء يموت ويبعث عليه: عن جابر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : من مات على شيء بعثه الله عليه" (١) لقد أجري الكريم بكرمه أن من عاش على الطاعة مات على الطاعة ومن عاش على المعصية مات على المعصية فالسابقون السابقون فعلي قدر السبق هنا يكون السبق هناك. السابقون في الدنيا إلى الطاعات والصلوات هم السابقون في الآخرة إلى الجنات ، فكم سمعنا عن أناس من اسلافنا ماتوا على طاعة، فمنهم من مات ملبيا، ومنهم من ساجدا، ومنهم مؤذنا بل وفي زماننا وفي وقعنا هذا شيخنا الشعراوي مات وهو يردد لا إله إلا الله ، والشيخ عبد الحميد الشهاوي مات وهو يردد ولمن خاف مقام ربه جنتان، والشيخ كشك قال لقد عرضت على المناصب فأبيت ورفضت وسألت الله أن أموت ساجدا وقد مات ﷺ ساجدا، والشيخ محمد عطية مات وهو يقرأ قوله تعالى فاستقم كما أمرت. الله أكبر علي هذه الخواتيم وفي حديث قاتل المائة رجل قتل مائة نفس ولكنه لما أقبل إلي الله وتاب تاب الله عليه.

الاستعداد للخاتمة من وسائل النجاة ، وهما استعدادان : استعدادٌ في صلاح القلب : وذلك بالعلم النافع الذي يُورِثُ في القلب العلم بالله عز وجل ومعرفته وأسمائه وصفاته وبيقين في ذلك .

استعدادٌ في صلاح العمل يعني : يمتثل الأمر ، ويجتنب ما نَهَى الله عنه ، أو نهى عنه رسوله ﷺ ، وأن يكون العمل خالصاً صواباً ، خالصاً لله ، ووفق منهج رسول الله ﷺ ، وأن يستغفر من الذنوب والخطايا ، فمن داوم على ذلك ولزم طريق الاستقامة مات بإذن الله على خاتمة حسنة .

الأعمال بالخواتيم: فابدأ يومك .. ابدأ شهرك .. ابدأ عامك .. بطاعة واختمه بطاعة، فالبدايات والخواتيم عليها مدار الفوز والخسارة .. ابدأ يومك بصلاة فجر أو قيام سحر، واختمه بنوم على سلامة صدر وطهارة بدن، ابدأ عامك الهجري بطاعة واختمه بطاعة؛ فلو كان أول سطر في

---

(١) السلسلة الصحيحة

صحيفتك خيرا وآخر سطر فيها خيرا لمحا الله لك ما بينهما، وأنا أستبشر هنا ببشارة حبيبنا ﷺ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ:" الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ؛ وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ؛ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ؛ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ" (١)

وإذا كان كتاب عمرك أول سطر فيه أذانٌ قرع أذنك عقب ولادتك، فاستبشر بأن يكون آخر سطر فيه إن شاء الله كلمة التوحيد ينطق بها لسانك، لتكون جواز عبورك إلى الجنة.

سارع بالعمل الصالح قبل فوات الأوان: قال تعالى: "يوم يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى (٣٥) وَبرزت الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى (٣٦) فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١)" النازعات

وعنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ « بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِى كَافِرًا أَوْ يُمْسِى مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا »(٢). من أجْل دراهم معدودة، أو عروض سخيَّة، أو دنيا فانية، سرعان ما يُغيِّر ما كان عليه من استقامة وهدًى وصلاح، فيستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، وينقلب على عَقِبيه؛ ولذا قال الله لعباده: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} آل عمران

حكم شرعية في عدم معرفة العبد لخاتمته: وتغييب خاتمة العمل عن العبد حكمة بالغة، يعني لو قال واحد: لماذا غيب الله خواتمنا عنا؟ ولماذا لم يُخبر كل واحد بما يختم له؟

فنقول: هذا تدبير لطيف من رب العالمين؛ لأنه لو كان ناجيًا سيكسل ويصاب بالعجب، وإن كان هالكًا ازداد عتوًا ونفورًا، ولذلك كان من رحمة الله إخفاء الخواتيم، ولأن الإنسان لا يصلح حاله إلا إذا صار بين الخوف والرجاء، فإذا صار في الخوف فقط أيس من رحمة الله لا يصلح حاله، وإذا كان في الرجاء فقط يعتمد على رحمة الله لا يصلح حاله، حتى يكون بين الخوف والرجاء، قلت لابن المبارك يقول حفص بن حميد: "رأيت رجلاً قتل رجلاً ظلمًا، فقلت في نفسي: أنا أفضل من هذا" - يعني أنا أفضل من هذا القاتل-، فقال: "أمنك على نفسك أشد من ذنبه"(٣)؛ لأنه لا يدرى فقد ينقلب هذا ويتحول ويعمل شيئًا أسوأ من القتل، وإذا كان يجزم لنفسه أنه أحسن من هذا، والله عز وجل قد يغفر لهذا حتى القتل، وهذا يؤاخذه على عجبه بنفسه.

---

(١) صحيح مسلم (٢) صحيح مسلم (٣) فتح الباري، لابن حجر

ثانياً: وسائل مُيسِّرة لحسن الخاتمة

الاستقامة : قال تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ} فصلت

الإيمان: قال تعالى: {يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاءُ} [إبراهيم: ٢٧]، فأخبر أنه يثبت عباده المؤمنين الذين قاموا بما عليهم من الإيمان في القلب الذي يصدقه العمل الجوارح، فهؤلاء يثبتهم الله {بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ}، ومعنى ذلك: أن لهم حسن خاتمة.

التقوى: قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢]، ووعد الله أهل التقوى بأن يجعل لهم فرجًا مخرجًا، قال: {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا} [الطلاق: ٢]، وهذا أحوج ما يكون إليه العبد عند نزول الموت؛ فإنه يريد الفرج والمخرج من هذه المحنة، محنة الموت، وسكرات الموت، والشدة والحرج في الموت: {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا} [الطلاق: ٤]، ولا شك أن تيسير أموره عند الموت من نتائج التقوى التي كان يسير بها منهجًا في حياته.

حسن الظن بالله : عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي)) [١] لكن حسن الظن بالله يجب أن يكون مبنيًا على أعمال صالحة، وتوبة من الأعمال السيئة، حتى يكون حسن ظن صحيح، الواحد يقول: والله أنا ظني بربي إنه يدخلني الجنة، وأنا ظني بربي أنه إنه ما يدخلني النار، وإنا ظني.. وإذا نظرت إلى عمله تجد يعني السيئات الكثيرة، والحسنات القليلة.

الصدق : قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ} التوبة.

المداومة على الطاعات

ذكر الموت وقصر الأمل

الخوف من أسباب سوء الخاتمة : كالإصرار على المعاصي وتسويف التوبة وحب الدنيا .

---

(١) متفق عليه

التوبة: قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ} [التحريم: ٨]، فإذا صارت التوبة نصوحًا، ومات الإنسان عليها، فهذا من علامات حسن الخاتمة، والتوبة النصوح هي: ألا يعود في الذنب كما لا يعود اللبن في الضرع، واللبن إذا خرج من الثدي لا يمكن أن يعاد فيهن و{تَوْبَةً نَّصُوحًا} تنصحون بها أنفسكم، استغفار باللسان، وإقلاع بالأبدان، وإضمار وترك العود بالجنان، وهو القلب، وهجر سيئ الإخوان، هذه التوبة النصوح.

الدعاء: هو سلاح المؤمن والمجاهد لا يدع سلاحه حتى تنتهي المعركة و معركتي و معركتك مع الشيطان و لا تنتهي بالظفر و الانتصار حتى يختم للعبد بخاتمة السعادة لذا فالمؤمن لا يفتر لسانه بالدعاء فها هو حبيبك ﷺ كان لا يفتُر لسانه عن هذا الدعاء فعن شَهْرِ بن حَوشَبٍ ، قَالَ : قُلْتُ لأُمِّ سَلَمة رَضِيَ اللهُ عنها ، يَا أَمَّ المؤمِنينَ ، مَا كَانَ أكثْرُ دعاءِ رَسُولِ الله - ﷺ - ، إِذَا كَانَ عِنْدَكِ ؟ قالت : كَانَ أَكْثَرُ دُعائِهِ : ((يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ)) [١] .

لزومُ هَدْي النبيِّ ﷺ : واتِّباعُ طريق المهاجرين والأنصار والتَّابعينَ لهم رضي الله تعالى عنهم قال الله تعالى:(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) [الأحزاب: ٢١]، وقال تعالى: (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [التوبة: ١٠٠].

الخوف والرجاء: عن أنس أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال كيف تجدك قال أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبي فقال رسول الله ﷺ لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف " [٢].

ثالثاً: حال السلف الصالح

عمر بن الخطاب- ﷺ – يقف عند الجمرات في آخر حجة حجها ودعا الله بقلب صادق، وقال: " اللهم ضاعت رعيتي، ورق عظمي، وشاب رأسي، ودنا أجلي، اللهم فاقبضني إليك غير مفرط ولا مفتون، اللهم إني أسألك شهادة في سبيلك وموتة في بلد رسولك ".سفيان الذي سجد سجدة، والناس يطوفون حول الكعبة

---

(١) صحيح سنن الترمذي (٢) صحيح سنن ابن ماجة

عثمان بن عفان – ﷺ - إذا ذكر القبر بكى حتى يجلس، فعَنْ هَانِئٍ ، مَوْلَى عُثْمَانَ ، قَالَ : كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ يَبْكِي حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ ، فَقِيلَ لَهُ : تَذْكُرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ ، وَلاَ تَبْكِي ، وَتَبْكِي مِنْ هَذَا ؟ قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، قَالَ : " إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخِرَةِ ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ ، فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ ، فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ قَالَ : وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلاَّ وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ "(١) فالقبر منزل -والله- موحش، لا صديق، لا حبيب، لا زوجة، لا ولد، إلا العمل الصالح، تركوا ما تركوا، واستجوبوا فما نطقوا، وودعوا فإما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار. مرارًا، ثم رفع رأسه، رآه رجل قد طاف مرارًا وسفيان لا زال ساجدًا، وهو الذي إذا كان صلى بالليل اضطجع على ظهره وأسند رجليه على الجدار، حتى يرجع الدم من طول قيامه: أخاف أن أسلب الإيمان عند الموت.

مالك بن دينار يقوم طول ليله قابضًا على لحيته قائمًا لله: يا رب قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار، ففي أي الدارين منزل مالك؟" .

قال حاتم الأصم: من خلا قلبه من ذكر أربعة أخطار فهو مغتر فلا يأمن الشقاء: الأول: خطر يوم الميثاق حين قال هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي، فلا يعلم في أي الفريقين كان. والثاني: حين خلق في ظلمات ثلاث فنادى الملك بالشقاوة والسعادة ولا يدري أمن الأشقياء يعني كتبه الملك، كتبه في الأشقياء وإلا في السعداء، والثالث: ذكر هول المطلع، فلا يدري يعني عند الموت يبشر برضا الله أم بسخطه. والرابع: يوم يصدر الناس أشتاتًا، فلا يدري أي الطريقين يسلك به.

كان بعض السلف يخشون على أنفسهم النفاق الأكبر، وليس فقط النفاق الأصغر؛ لأن دسائس السوء الخفية، توجب سوء الخاتمة.

وكذلك ورد في سير بعض العلماء، يعني من اجتهادهم بالطاعة، وملازمتهم لها أنه قيل لو أراد أن يعصي الله ما استطاع، يعني لو أراد يعمل المعصية يفشل ما ينجح.

العماد المقدسي رحمه الله قال عنه ابن قدامة: "من عمري أعرفه -من عمري، من زمان- يعني العماد ما عرفت أنه عصى الله معصية"، ولا مرة، ما مسكنا عليه معصية، فلما جاءه الموت كان يقول: "يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث، واستقبل القبلة وتشهد" (٢).

(١) صحيح سنن ابن ماجة (٢) سير أعلام النبلاء

أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله دخل عليه عطاء بن السائب وغيره، يعودونه في المرض الذي مات فيه، فذهب بعض القوم يرجيه، يعني يذكره بحسن الظن بالله، فقال أبو عبد الرحمن: "إني لأرجو ربي وقد صمت له ثمانين رمضان"(١) فهو يطمئنهم أنه الآن في هذا الموطن هو محسن الظن بالله، وما هو أساس الاعتماد أن في ثمانين رمضان صامها لله تعالى؟

قال عبد الأعلى بن حماد البرقي: "دخلت على بشر بن منصور وهو في الموت، فرأيته مستبشرًا، فقلت له: ما هذا السرور؟ قال: أخرج من بين الحاسدين والباغين والمغتابين، وأقدم على رب العالمين ولا أفرح؟!". (٢)

وكانوا يستحبون أن يلقنوا العبد محاسن عمله عند موته لكي يحسن الظن بربه، ولذلك لا بدّ أن يعمل الإنسان محاسن، يعني أنت حتى لو أردت أن تثبت شخصًا عند الموت، فتقول له مثلاً: يا أخي ألم تفعل كذا؟ وتفعل وكذا؟ فإذا ما عنده أشياء طيبة فعلها، فتذكره بماذا؟ ولذلك فإن حسن الظن قرين بحسن العمل.

أبو البركات إسماعيل النيسابوري رحمه الله من شيوخ الحافظ ابن عساكر كان وقورًا مهيبًا على شاكلة حميدة، ما عرفت له هفوة، قال ابن النجار: سمعت ابن سكينة يقول: كنت حاضرًا لما احتضر، فقلت له، أو فقالت له أمي: يا سيدي كيف تجد؟ فما قدر على النطق، فكتب بأصبعه: رَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ، ثم مات (٣).

والإمام الزاهد الخير شيخ الإسلام أبو الوقت؛ كما قال الذهبي رحمه الله كان صالحًا كثير الذكر، لما احتضر كان آخر كلمة قالها: {يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ} يس

لقى الفضيل بن عياض رجلا ؛ فقال له الفضيل : "كم عُمُرك ؟ قال الرجل : ستون سنة، قال الفضيل : إذا أنت منذ ستين سنة تسير إلى الله توشك أن تصل، فقال الرجل : إنا لله وإنا إليه راجعون، قال الفضيل : هل تعرف معناها؟ قال : نعم أعرف أني عبدالله وأني إليه راجع، فقال الفضيل : يا أخي ، من عرف أنه لله عبد ، وانه إليه راجع ، فليعلم أنه موقوف بين يديه ، فليعلم انه مسئول ، ومن علم أنه مسئول فليعد للسؤال جوابا، فبكى الرجل وقال ما الحيلة، قال الفضيل : يسيرة، قال وما هي يرحمك الله ؟ قال : تُحسن فيما بقى ، يغفر الله لك ما قد مضى وما بقى فإنك إن أسأت فيما بقى أُخذت بما مضى وما بقى "

---

(١) حلية الأولياء (٢) بهجة المجالس وأنس المجالس (٣)سير أعلام النبلاء

قال إبراهيم التيمي: مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها وألبس من حليها ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقومها وأشرب من صديدها وأعالج أغلالها قال: فقلت لنفسي: أي شيء تريدين قالت: أريد أن أرد إلى الدنيا فأعمل صالحا قال: الآن أنت في الأمنية(يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) فاعملي .

رابعاً: علامات حسن الخاتمة

النطق بالشهادة عند الموت: فعن معاذ - ﷺ - ، قَالَ : قَالَ رسول الله - ﷺ - : ((مَنْ كَانَ آخِرَ كَلامِهِ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ))[١]

وعَنْ أَبَي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ " [٢]

وينقسم التلقين إلى قسمين :

القسم الأول : تلقين أثناء الاحتضار : وهو السنة ، ويكون برفق ولين ، وذلك بذكر الشهادة عند الميت حتى يتذكرها ويقولها ، بدون أمر له بذلك ، لأنه ربما يعاند ولا يقولها ، وربما كفر بها عند الموت والعياذ بالله .

وقال بعض العلماء : ذكره بأعماله الصالحة ، حتى يتذكرها ، ويحسن الظن بربه .

القسم الثاني : تلقين بعد الدفن : وهو بدعة لا أصل لها ، لأن من لم يحيا على لا إله إلا الله ، فلا ينفعه أن يلقنها بعد موته ، لأن القبر دار حساب ، لا دار عمل ، فمن الناس إذا مات له ميت ، وقف على قبره وقال : يا فلان ابن فلان تذكر ما خرجت عليه من الدنيا ، أنك تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن دينك الإسلام ، أو ما شابه ذلك ، وهذا أمر ليس عليه دليل يُعتمد عليه ، فعليه فهو بدعة لا أصل لها .

الموت برشح الجبين: أي : أن يكون على جبينه عرق عند الموت، لما رواه بريدة بن الحصيب أن رسول الله ﷺ قال: (موت المؤمن بعرق الجبين) [٣]

الموت ليلة الجمعة أو نهارها: عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ " ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر" [٤]

الاستشهاد في ساحة القتال في سبيل الله: أو موته غازيا في سبيل الله، أو موته بمرض الطاعون

---

(١) صحيح سنن أبي داوود (٢) صحيح مسلم (٣) صحيح سنن ابن ماجة (٤) صحيح الجامع

أو بداء البطن كالاستسقاء ونحوه، أو موته غرقاً، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ قُتِلَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ قَالَ « إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِى إِذًا لَقَلِيلٌ ». قَالُوا فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « مَنْ قُتِلَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ مَاتَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ مَاتَ فِى الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ مَاتَ فِى الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ ». قَالَ ابْنُ مِقْسَمٍ أَشْهَدُ عَلَى أَبِيكَ فِى هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ قَالَ « وَالْغَرِيقُ شَهِيدٌ » [١].

الموت بسبب الهدم: عن أَبي هريرة - ﷺ - ، قَالَ : قَالَ رسول الله - ﷺ - : ((الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ : المَطْعُونُ وَالمَبْطُونُ، وَالغَرِيقُ، وَصَاحِبُ الهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ في سَبِيلِ اللهِ)) [٢]

موت المرأة في نفاسها بسبب ولدها أو هي حامل به: ومن أدلة ذلك ما رواه الإمام أحمد وغيره بسند صحيح عن عبادة بن الصامت أنه قال: قال رسول الله ﷺ: أخبر عن الشهداء، فذكر منهم: (والنفساء يجرها ولدها بسرره إلى الجنة) [٣] يعني بحبل المشيمة الذي يقطع عنه.

المطعون والمبطون والغريق والحريق وصاحب ذات الجنب: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الشُّهَدَاءُ سَبْعَةٌ سِوَى الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الْمَطْعُونُ شَهِيدٌ وَالْغَرِقُ شَهِيدٌ وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ وَالْحَرِقُ شَهِيدٌ وَالَّذِي يَمُوتُ تَحْتَ الْهَدْمِ شَهِيدٌ وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ شَهِيدٌ " [٤]

الموت رباطا في سبيل اللهك عَنْ سَلْمَانَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ « رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِى كَانَ يَعْمَلُهُ وَأُجْرِىَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفَتَّانَ »[٥] . ومن أسعد الناس بهذا الحديث رجال الأمن وحرس الحدود براً وبحراً وجواً على اختلاف مواقعهم إذا احتسبوا الأجر في ذلك .

الموت على عمل صالح: عن حذيفة ﷺ قال أسندت النبي ﷺ إلى صدري فقال من قال لا إله إلا الله ختم له بها دخل الجنة ومن صام يوما ابتغاء وجه الله ختم له به دخل الجنة ومن تصدق بصدقة ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة" [٦]

البشرى: وهي ما يبشر به عند موته من رضا الله تعالى واستحقاق كرامته تفضلا منه تعالى، كما قال جل وعلا: (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) فصلت، وهذه البشارة تكون للمؤمنين عند احتضارهم، وفي قبورهم، وعند بعثهم من قبورهم.

---

(١) صحيح مسلم
(٢) متفق عليه
(٣) صحيح الترغيب والترهيب
(٤) صحيح الترغيب والترهيب
(٥) صحيح مسلم
(٦) صحيح الترغيب والترهيب

فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسُولُ اللهِ - ﷺ - : ((مَنْ أحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أحَبَّ اللهُ لِقَاءهُ ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءهُ)) فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ، أكَراهِيَةُ المَوتِ ، فَكُلُّنَا نَكْرَهُ المَوتَ ؟ قال : ((لَيْسَ كَذَلِكَ ، ولكِنَّ المُؤْمِنَ إذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ أحَبَّ لِقَاءَ اللهِ فَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءهُ ، وإنَّ الكَافِرَ إذَا بُشِّرَ بِعَذابِ اللهِ وَسَخَطِهِ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ وكَرِهَ اللهُ لِقَاءهُ)) [١].

وفي معنى هذا الحديث قال الإمام أبو عبيد القاسم ابن سلام : (ليس وجهه عندي كراهة الموت وشدته، لأن هذا لا يكاد يخلو عنه أحد، ولكن المذموم من ذلك إيثار الدنيا والركون إليها، وكراهية أن يصير إلى الله والدار الآخرة)، وقال : (ومما يبين ذلك أن الله تعالى عاب قوما بحب الحياة فقال: (إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة واطمأنوا بها) يونس.

وقال الخطابي: (معنى محبة العبد للقاء الله إيثاره الآخرة على الدنيا، فلا يحب استمرار الإقامة فيها، بل يستعد للارتحال عنها، والكراهية بضد ذلك)

وقال الإمام النووي رحمه الله: (معنى الحديث أن المحبة والكراهية التي تعتبر شرعا هي التي تقع عند النزع في الحالة التي لا تقبل فيها التوبة، حيث ينكشف الحال للمحتضر، ويظهر له ما هو صائر إليه)

الموت ليلة الجمعة أو نهار الجمعة: عن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر " [٢] فإذا قبض الله عبدًا من عبيده فوافق قبضه يوم الجمعة كان ذلك دليلا ظنيا، من المبشرات والمؤشرات لسعادته، وحسن مآبه، يعني يرجا له الخير، ونحن لا نجزم، نقول: مائة في المائة، قد غفر له، ولكن نرجو، نقول: هذا بشارة، هذا خبر طيب، وهكذا يكون هذا من علامات حسن الخاتمة.

الثناء على الميت بالخير: عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: " مَرُّوا بِجَنَازَةٍ فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ص: وَجَبَتْ ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ: وَجَبَتْ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ، مَا وَجَبَتْ قَالَ: هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا فَوَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ" [٣]

* واعلم أخي الكريم أن ظهور شيء من هذه العلامات أو وقوعها للميت، لا يلزم منه الجزم بأن صاحبها من أهل الجنة، ولكن يستبشر له بذلك، كما أن عدم وقوع شيء منها للميت لا يلزم منه

(١) صحيح مسلم (٢) صحيح الترغيب والترهيب (٣) صحيح مسلم

الحكم بأنه غير صالح أو نحو ذلك. فهذا كله من الغيب.

خامسًا: نماذج على حسن الخاتمة

أنس بن النضر: عن أنس - ﷺ - ، قَالَ : غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ - ﷺ - عن قِتالِ بدرٍ ، فَقَالَ : يَا رسولَ الله ، غِبْتُ عَنْ أوّل قِتال قَاتَلْتَ المُشْرِكِينَ ، لَئِن اللهُ أشْهَدَنِي قِتَالَ المُشرِكِينَ لَيُرِيَنَّ اللهُ مَا أصْنَعُ . فَلَمَّا كَانَ يومُ أُحُدٍ انْكَشَفَ المُسْلِمونَ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ أعْتَذِرُ إلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هؤُلاءِ - يعني : أصْحَابهُ - وأبْرَأُ إلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هؤُلاءِ - - يَعني : المُشركِينَ - ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعدُ بْنُ مُعاذٍ ، فَقَالَ : يَا سعدَ بنَ معاذٍ ، الجَنَّةُ وربِّ الكعْبَةِ إنِّي أجِدُ ريحَهَا منْ دُونِ أُحُدٍ . قَالَ سعدٌ : فَمَا اسْتَطَعتُ يَا رسولَ الله مَا صَنَعَ ! قَالَ أنسٌ : فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعاً وَثَمانينَ ضَربَةً بالسَّيفِ ، أَوْ طَعْنَةً بِرمْحٍ ، أَوْ رَمْيَةً بسَهْمٍ ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَمَثَّلَ بِهِ المُشْرِكونَ فما عَرَفهُ أَحَدٌ إلاَّ أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ . قَالَ أنس : كُنَّا نَرَى أَوْ نَظُنُّ أن هذِهِ الآية نزلت فِيهِ وفي أشباهه : { مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ } [الأحزاب : ٢٣] إلَى آخِرها " (١)

أحد الأعراب: عن شداد بن الهاد: أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ فآمن به واتبعه، ثم قال: أهاجر معك؟ فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه، فلما كان غزوة غنم النبي ﷺ سبيًا فقسم وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له" يعني ليوصلوه إليه نصيبه من الغنيمة "وكان يرعى ظهرهم" الأعرابي يرعى دواب أصحابه، "فلما جاء دفعوه إليه" لما رجع من الرعي أعطوه نصيبه، قال: "ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك النبي ﷺ، فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ فقال: ما هذا؟ قال: ((قسمته لك)) قال: ما على هذا اتبعتك" احنا ما تبعناك على أموال، تبعناك على الجهاد في سبيل الله "ولكني اتبعتك على أن أرمى إلى ها هنا، وأشار إلى حلقه بسهم فأموت فأدخل الجنة"، طبعًا هذا ادعاء، الميدان يصدق أو يكذب، قال: ((إن تصدق الله يصدقك)) فلبثوا قليلا، ثم نهضوا في قتال العدو، فأتي به النبي ﷺ يحمل، قد أصابه سهم حيث أشار" سبحان الله! كان ممكن السهم يجي في أي محل، لكن جاء في المكان الذي أشار إليه هو أنه يريده ها هنا، طبعًا لماذا ها هنا؟ معناه أنه مقبل غير مدبر؛ لأنه لو كان في الظهر كان ممكن جاءته وهو مولي الأدبار، لكن هو يريد ها هنا، وقد قال بعض المجاهدين في هذا الزمان: أنه يريد ها هنا، وجاءت ها هنا فعلاً، في قلبه، يعني اقتداءً

(١) متفق عليه

بحديث الأعرابي، لكن الشاهد الصدق قال: ((إن تصدق الله يصدقك))، فلما أتي به إلى النبي عليه الصلاة والسلام وقد أصابه سهم حيث أشار، قال النبي عليه الصلاة والسلام: ((أهو هو؟)) قالوا: نعم، قال: ((صدق الله فصدقه))، ثم كفنه النبي ﷺ في جبة النبي ﷺ، ثم قدمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته: ((اللهم هذا عبدك خرج مهاجرًا في سبيلك، فقتل شهيدًا، أنا شهيد على ذلك)) (١)

عبد الله بن جحش ﷺ: فإنه يوم أحد، قال لسعد: ألا تأتي ندعو الله؟ فخلو ناحية، وقال ذلك تلك الأمنية، وقد تقدم ذكرها: "اللهم ارزقني غدًا رجلاً شديدًا بأسه، شديدًا حرده، فأقاتله ويقاتلني، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك غدًا، قلت لي: يا عبد الله فيم جدع أنفك وأذناك؟ فأقول: فيك وفي رسولك، فتقول: صدقت" هنا الشاهد، قال سعد: "كانت دعوته خيرًا من دعوتي، فلقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه لمعلقان في خيط".

فضالة بن عبيد: هذا عمل صالح عظيم، قال القاسم أبو عبد الرحمن: "غزونا مع فضالة بين عبيد، فبينا نحن نسرع في السير، وهو أمير الجيش، وكان الولاة حينها يسمعون ممن استرعاهم الله عليه، فقال قائل: أيها الأمير إن الناس قد تقطعوا قف حتى يلحقوا بك، فوقف، في مرج عليه قلعة، فإذا نحن برجل أحمر ذي شوارب، فأتيناه به فضالة، فقلنا: إنه هبط من الحصن بلا عهد"، هذا جاء من حصن العدو ما بيننا وبينه عهد، فسأله، فقال: "إني البارحة أكلت الخنزير، وشربت الخمر، فأتاني في النوم رجلان، فغسلا بطني، وجاءتني امرأتان فقالتا: أسلم، فأنا مسلم"، الآن هذا رجل كافر صادفه هؤلاء المسلمون في الغزو، نزل من حصن العدو، فألقوا القبض عليه وأخذوه: ما بك؟ ما الذي أخرجك من حصنك؟ قال: أمس شربت الخمر، وأكلت خنزير، ونمت، ورأيت في المنام من غسل بطني، وقال لي: أسلم، قمت من النوم قلت: أسلمت، وأنا مسلم، فأنا نزلت إليكم أقول لكم: أنا مسلم، يعني أيش الخطوة التي بعدها؟ تأثر بالمنام وأسلم، قال: "فما كانت كلمته، يعني كلمة: أنا مسلم، فما كانت كلمة أسرع من أن رمينا بالزبار" قطع الحجارة والحديد، "فأصابه فدق عنقه" مات مباشرة، فقال فضالة: "الله أكبر عمل قليلاً، وأجر كثيرًا، فصلينا عليه ثم دفناه" .

بعض العمال من الفلبين: جاء إلى قسم توعية الجاليات، وسمع الكلام، ورغب في الإسلام، ونطق بالشهادتين يوم الأربعاء، وعلموه بعض محاسن الإسلام الصلاة تعليمًا مبدئيًا أوليًا، وسأل عن العبادات، قالوا: الصيام، قال: أريد الصوم، قالوا: في رمضان، قال: طيب هذه عبادة؟ قالوا: يشرع

(١) صحيح الترغيب والترهيب

الاثنين والخميس، فصام الخميس، بعد الأربعاء الذي أسلم فيه، ثاني يوم الخميس، فمات يوم الخميس، وهو صائم.

ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية: عن الشيخ علي البكَّاء، وكان مشهورًا بالصلاح والعبادة وإطعام المارة والزوار والضيوف، قال: إنه صحب رجلاً من بغداد، وإن هذا الرجل الذي خرج معه من بغداد قد حضره الموت، فاستدار إلى جهة الشرق، فحوله إلى القبلة فاستدار إلى الشرق، قالوا: حيث قبلة النصارى، فإنهم يستقبلون الشرق، قال فحولته أيضاً ففتح عينيه، وقال: لا تتعب، فإني لا أموت إلا على هذه الجهة، وجعل يتكلم بكلام الرهبان حتى مات، فطبعًا المسلمون انزعجوا، يعني هؤلاء خرج واحد معهم من بغداد على أنه مسلم، ثم قال: فحملناه فجئنا به إلى دير هناك، فوجدناهم في حزن عظيم، فقلنا لهم: ما شأنكم؟ قالوا: كان عندنا شيخ كبير، النصارى يقولون، ابن مائة سنة، فلما كان اليوم مات على الإسلام، عندنا واحد نصراني، منا وفينا، عمره مائة عام، اليوم أسلم، واليوم مات، فقلنا لهم: خذوا هذا بدله، وسلمونا صاحبنا، قال: فولياناه، فغسلناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه مع المسلمين، وولوا هم ذلك الرجل فدفنوه في مقبرة النصارى. نسأل الله حسن الخاتمة. (١).

وأبو بكر بن النابلسي : رحمه الله كان رجلاً ذا صبر عظيم، عند الطغاة، فأتى به جوهر العبيدي الرافضي، وألقى القبض عليه، وقال لأبي بكر بن النابلسي رحمه الله: بلغنا أنك قلت إذا كان مع الرجل عشرة أسهم وجب أن يرمي في الروم سهمًا وفينا تسعة، يعني في الباطنية تسعة وفي النصارى الكفار الأصليين أهل الكتاب واحد، وفي الباطنية هؤلاء العبيديين تسعة، قال: ما قلت هذا، بل قلت: إذا كان معه عشرة أسهم، وجب أن يرميكم بتسعة، وأن يرمي العاشر فيكم أيضاً، كل العشرة فيكم، أنتم قبل النصارى، أنتم الملاحدة، أنتم الزنادقة، أنتم الباطنية، أنتم أخبث وأشر، أنتم مرتدون، النصارى أهل كتاب، أنتم مرتدون، قال: ولم؟ قال: لأنكم غيرتم الملة، وقتلتم الصالحين، وادعيتم الإلهية، فضربه، ثم أمر يهوديًا أن يسلخه. (٢)

مات على الإسلام: قال القاسم أبو عبد الرحمن: "غزونا مع فضالة بين عبيد، فبينا نحن نسرع في السير، وهو أمير الجيش، وكان الولاة حينها يسمعون ممن استرعاهم الله عليه، فقال قائل: أيها الأمير إن الناس قد تقطعوا قف حتى يلحقوا بك، فوقف، في مرج عليه قلعة، فإذا نحن برجل أحمر

(١) البداية والنهاية (٢) سير أعلام النبلاء

ذي شوارب، فأتيناه به فضالة، فقلنا: إنه هبط من الحصن بلا عهد"، هذا جاء من حصن العدو ما بيننا وبينه عهد، فسأله، فقال: "إني البارحة أكلت الخنزير، وشربت الخمر، فأتاني في النوم رجلان، فغسلا بطني، وجاءتني امرأتان فقالتا: أسلم، فأنا مسلم"، الآن هذا رجل كافر صادفه هؤلاء المسلمون في الغزو، نزل من حصن العدو، فألقوا القبض عليه وأخذوه: ما بك؟ ما الذي أخرجك من حصنك؟ قال: أمس شربت الخمر، وأكلت خنزير، ونمت، ورأيت في المنام من غسل بطني، وقال لي: أسلم، قمت من النوم قلت: أسلمت، وأنا مسلم، فأنا نزلت إليكم أقول لكم: أنا مسلم، يعني أيش الخطوة التي بعدها؟ تأثر بالمنام وأسلم، قال: "فما كانت كلمته، يعني كلمة: أنا مسلم، فما كانت كلمة أسرع من أن رمينا بالزبار" قطع الحجارة والحديد، "فأصابه فدق عنقه" مات مباشرة، فقال فضالة: "الله أكبر عمل قليلاً، وأجر كثيرًا، فصلينا عليه ثم دفناه" (١)

قصة النطق بالشهادة : خرج رجلُ من الصالحين ، خرج بزوجته وكانت صائمة قائمة وليّة من أولياء الله ، خرج يريد العمرة ، والغريب في تلك السفرة أنها ودعت أطفالها ، وكتبت وصيتها ، وقبلت أطفالها وهي تبكي ، كأنه ألقي في خلدها أنها سوف تموت { ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ، ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين } ، ذهب واعتمر بزوجته ، وهو وإياها في بيت أسس على التقوى ، إيمان وقرآن وذكر وصيام وقيام وعبادة ، لا يعرفون الغيبة ولا الفاحشة ولا المعاصي ، عاد معها فلما كان في الطريق إلى الرياض ، أتى الأجل المحتوم إلى زوجته { وعد الله الذي لا يخلف الله وعده ولكن كثر الناس لا يعلمون * يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون } ، ذهب إطار السيارة فانقلبت ووقعت المرأة على رأسها ، { أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون } ، خرج زوجها من الباب الآخر ، ووقف عليها وهي في سكرات الموت تقول : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، وتقول لزوجها : عفى الله عنك ، اللقاء في الجنة ، بلغ أهلي السلام ، وخرجت روحها إلى بارئها .

القبر المنير بعمل صاحبه: إنه أنزل رجلاً في قبره في ليلة ظلماء، شديدة الظُّلمة، وكان الجوُّ غائمًا، وكان هذا الرجل من الدعاة، وقد مات ليلة الجمُعة، وصلَّى عليه الشيخ ابنُ باز، ثم ذهبنا للمقبرة، وطلبنا من أحد الإخوة أن يأتينا بسراج أو كشَّاف لكي ننير القبر، ولكنه أبطأ علينا، فأخذت

(١) الجهاد لابن المبارك

أعسُّ اللحد بيدي، فقلت للإخوة: أعطوني الميت، فلمَّا سللته من جهة الرِّجلَين، ووضعته في قبره، وفككت تلك الأربطة، وإذا بالأنوار خرجت من ذلك القبر، وأنارت القبر، ورآه كلُّ مَن كان معي، وكانت رائحة المسك تخرج من ذلك القبر.

ماتت وهي ساجدة: امرأة عَجوز، بلغت الثَّمانين من عُمُرها في مدينة الرِّياض، وكلَّما جلست مع النِّساء، رأت أن المجلس لا يُصرف إلا في القِيل والقال، وفي إضاعة الأوقات، فاعتزلت هذه المجالس، وجلست في بيتها تذكر اللهَ تعالى آناء الليل وأطراف النَّهار، وجعلت تصوم النهار، وتقوم اللَّيل، وكان لها ولدٌ بارٌّ بها، وفي ليلة من الليالي قامت لتُصلِّي، يقول ابنها: وفي آخر الليل إذا بها تنادي عليَّ، قال: فتقدَّمْتُ وذهَبْتُ إليها، فإذا هي ساجِدة - على هيئة السُّجود - وتقول: يا بُنيَّ، ما يتحرك فيَّ الآن سوى لساني، قال: إذًا أذهب بكِ إلى المستشفى، قالت: لا، وإنما أقعدني هنا، قال: لا والله، لأذهبنَّ بكِ إلى المستشفى، وقد كان هذا الابن حريصًا على برِّها، فأخذها وذهب بها إلى المستشفى، وتجمَّع الأطباء واحتاروا في أمرها، ولم يَعرفوا السَّبب الذي جعل جسدها يتيبَّس على هيئة السجود، ولما عجزوا قالت لابنها: أسألك اللهَ أن تردَّني على سجادتي في بيتي، فأخذها وذهب بها إلى البيت، ثم وضَّأها وأعادها على سجادتها، فقامت تُصلِّي، يقول: وقبل الفجر بوقتٍ ليس بطويل، وإذا بها تُناديني، وتقول: يا بُنيَّ، أستودعك اللهَ الذي لا تَضيع ودائعُه، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، لتصعد رُوحها إلى بارئها - جل وعلا - وهي ساجدة، فغسَّلُوها وهي ساجدة، وكفَّنُوها وهي ساجدة، وحملوها إلى الصلاة عليها وهي ساجدة، وحملوها بنعشها إلى القبر وهي ساجدة، ودُفنت وهي ساجدة، وستبعث إن شاء الله وهي ساجدة..

عامر بن عبد الله بن الزبير: على فراش الموت يلفظ أنفاسه الاخيرة والاهل من حوله يبكون فبينما هو يصارع الموت سمع المؤذن ينادى لصلاة المغرب ونفسه قد تحشرج فى حلقة واشتد نزعة ولكن بمجرد ان سمع النداء قال لمن حوله خذوا بيدي قالو الى اين قال الى المسجد ! تعجب الحضور وقالوا وانت على هذه الحال ؟! قال عامر بن عبد الله سبحان الله اسمع منادى الصلاة ولا أجيبه خذوا بيدي فحملوه فصلى ركعة مع الإمام ثم مات فى سجوده.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

۞۞۞۞۞۞۞۞۞

قلوب العباد بين الصلاح والفساد

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، خلق الأرض والسموات ، علم العثرات ، فسترها على أهلها وانزل الرحمات ، ثم غفرها لهم ومحا السيئات ، فله الحمد ملئ خزائن البركات ، وله الحمد ما تتابعت بالقلب النبضات ، وله الحمد ما تعاقبت الخطوات ، وله الحمد عدد حبات الرمال في الفلوات ، وعدد ذرات الهواء في الأرض والسماوات ، وعدد الحركات والسكنات.

واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، سبحانه سبحانه سبحانه، الطير سبحه والوحش مجده والموج كبره والحوت ناجاه والنمل تحت الصخور الصم قدسه والنحل يهتف حمدا في خلاياه والناس يعصونه جهرا فيسترهم والعبد ينسى وربي ليس ينساه.

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله قام في خدمته ، وقضى نحبه في الدعوة لعبادته ، وأقام اعوجاج الخلق بشريعته ، وعاش للتوحيد ففاز بخلته ، وصبر على دعوته فارتوى من نهر محبته.

العناصر:

أولًا: أهمية صلاح القلوب ثانيًا: أنواع القلوب وأسباب فسادها

ثالثًا: الأمور التي تعين على صلاح القلوب رابعًا: نماذج من أحوال السلف

الموضوع

أولًا: أهمية صلاح القلوب

القلب هو أساس الصلاح والفساد في الجسد: عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ « ..... أَلاَ وَإِنَّ فِى الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلاَ وَهِىَ الْقَلْبُ »[1].

إن القلب اساس الايمان أو اساس الكفر والعياذ بالله، وبداخله تكون العقيدة فالعقيدة هي عقدة يعقدها المرء على قلبه اما عقيدة حق أو عقيدة باطل، ولن يقبل الله تعالي إلا القلب الذي يعتقد العقيدة الصحيحة والتي خلقنا الله لأجلها وهي عبادته وحده لا شريك الله والتبرؤ من اي آلهة باطلة أخري قال تعالي " يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ" الشعراء.

(1) صحيح البخاري

فالقلوب نوعين إما قلب صالح وإما قلب فاسد فبصلاح القلوب يصلح العمل وبفسادها يفسد العمل.

القلب هو موضع نظر الله للعبد: عنْ أبي هريرةَ عبدِ الرحمانِ بنِ صخرٍ - ﷺ - ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله - ص - : ((إنَّ الله لا ينْظُرُ إلى أجْسَامِكُمْ ، ولا إلى صُوَرِكمْ ، وَلَكن ينْظُرُ إلى قُلُوبِكمْ وأعمالكم))[١] ، هذا الحديث يدل على ما يدل عليه قول الله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ" فالله سبحانه وتعالى لا ينظر إلى العباد إلى أجسامهم هل هي كبيرة أو صغيرة أو صحيحة أو سقيمة ولا ينظر إلى الصور هل هي جميلة أو ذميمة ، كل هذا ليس بشيء عند الله، وكذلك لا ينظر إلى الأنساب هل هي رفيعة أو دنيئة، ولا ينظر إلى الأموال ولا ينظر إلى شيء من هذا أبداً، ليس بين الله وبين خلقه صلة إلا بالتقوى، فمن كان لله أتقى كان من الله أقرب وكان عند الله أكرم إذن لا تفخر بمالك ولا بجمالك ولا ببدنك ولا بأولادك ولا بقصورك ولا بسيارتك ولا بشيء من هذه الدنيا أبداً، إنما إذا وفقك الله للتقوى فهذا من فضل الله عليك فاحمد الله عليه، واعلم أن الأعمال بالنيات، والقلوب هي التي عليها المدار .

كم من إنسان ظاهر عمله أنه صحيح وجيد وصالح لكن لما بني على خراب صار خراباً ، النية هي الأصل، تجد رجلين يصليان في صف واحد مقتدين بإمام واحد يكون بين صلاتيهما كما بين المشرق والمغرب، لأن القلب مختلف أحدهما قلبه غافل بل وربما يكون مرائياً في صلاته والعياذ بالله يريد بها الدنيا، الآخر قلبه يريد بصلاته وجه الله واتباع سنة رسول الله ﷺ ، فبينهما فرق عظيم، فالعلم على ما في القلب [٢].

فيا للهِ العجبُ، من أقوامٍ صرفوا جلَّ اهتمامِهم في تحسينِ ظواهرهم، وغفلوا عن قلوبِهم وأفئدتِهم.

صلاح القلب من علامات الإيمان: قال تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [الأنفال:٤].

رقيق القلب من أهل الجنة: وعن عِياضِ بن حِمارٍ - ﷺ - ، قَالَ : سَمِعْتُ رسولَ الله - ﷺ - ، يقول : ((أهلُ الجَنَّةِ ثَلاَثَةٌ : ذُو سُلطانٍ مُقْسِطٌ مُوَفَّقٌ ، وَرَجُلٌ رَحيمٌ رَقِيقُ القَلْبِ لكُلِّ ذي قُرْبَى ومُسْلِمٍ ، وعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذو عِيالٍ)) [٣] ، ومعنى: ذو سلطان مقسط موفق يعني صاحب سلطان والسلطان يعم السلطة العليا وما دونها مقسط أي عادل بين من ولاه الله عليهم موفق أي مهتد لما فيه التوفيق والصلاح قد هدى إلى ما فيه الخير، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم رجل رحيم يرحم

---

(١) صحيح مسلم (٢) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٣) صحيح مسلم

عباد الله يرحم الفقراء يرحم العجزة يرحم الصغار يرحم كل من يستحق الرحمة رقيق القلب ليس قلبه قاسيا لكل ذي قربى ومسلم وأما للكفار فإنه غليظ عليهم هذا أيضا من أهل الجنة أن يكون الإنسان رقيق القلب يعني فيه لين وفيه شفقة على كل ذي قربى ومسلم والثالث رجل عفيف متعفف ذو عيال يعني أنه فقير ولكنه متعفف لا يسأل الناس شيئا يحسبه الجاهل غنيا من التعفف ، ذو عيال أي أنه مع فقره عند عائله فتجده صابرا محتسبا يكد على نفسه فربما يأخذ الحبل ويحتطب ويأكل منه أو يأخذ المخلب يحتش فيأكل منه المهم أنه عفيف متعفف ذو عيال ولكنه صابر على البلاء صابر على عياله فهذا من أهل الجنة نسأل الله أن يجعلنا من أحد هؤلاء الأصناف. (١)

استقامة القلب سبب في استقامة الجوارح: عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة حتى يأمن جاره بوائقه" (٢) ، والمراد باستقامة إيمانه استقامة أعمال جوارحه فإن أعمال جوارحه لا تستقيم إلا باستقامة القلب ومعني استقامة القلب أن يكون ممتلئا من محبة الله تعالى ومحبة طاعته وكراهة معصيته وقال الحسن لرجل داو قلبك فإن حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم يعني أن مراده منهم ومطلوبه صلاح قلوبهم فلا صلاح للقلوب حتى يستقر فيها معرفة الله وعظمته ومحبته وخشيته ومهابته ورجاؤه والتوكل عليه ويمتلئ من ذلك وهذا هو حقيقة التوحيد وهو معنى قول لا إله إلا الله فلا صلاح للقلوب حتى يكون إلهها الذي تألهه وتعرفه وتحبه وتخشاه هو إله واحد لا شريك له. (٣)

على ما في القلب يكون الجزاء يوم القيامة: كما قال سبحانه: { إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) }الطارق ، أي: تختبر السرائر لا الظواهر ففي الدنيا الحكم بين الناس على الظاهر فعن أم سلمة رضي الله عنها : أَنَّ رَسُول الله - ﷺ - ، قَالَ : ((إِنَّمَا أنا بَشَرٌ ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ ، فَأَقْضِيَ لَهُ بِنَحْوِ مَا أَسْمعُ ، فَمَنْ قَضَيتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ فَإِنَّما أَقطَعُ لَهُ قِطعَةً مِنَ النَّارِ)) (٤) ،و((أَلْحَن)) أي : أعلم . لكن في الآخرة العلم على ما في السرائر نسأل الله أن يطهر سرائرنا وإياكم .

فإذا كانت السريرة جيدة صحيحة فأبشر بالخير وإن كانت الأخرى فقدت الخير كله وقال الله عز وجل: { أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (١٠) إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ (١١) }العاديات. فالعلم على ما في القلب .

---

(١) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين
(٢) صحيح الترغيب والترهيب
(٣) جامع العلوم والحكم
(٤) متفق عليه

القلب السليم هو الذي ينفع صاحبه يوم القيامة: قال تعالى: (يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) الشعراء. أي: أتى اللهَ بقلبٍ سليمٍ من كلِّ شهوةٍ تخالفُ أمرَ اللهِ ونهيَه، ومن كلِّ شُبهةٍ تعارضُ خبرَه ونبأَه.

هل جزاء الاحسان الا الاحسان: قال بعض السلف: من صفى - أي صفى قلبه من الشوائب- صفي له، ومن كدر كُدر عليه، ومن أحسن في نهاره كوفي في ليله، ومن أحسن في ليله كوفي في نهاره، ومن صدق في ترك الشهوة ذهب الله بها من قلبه، ولله أكرم من أن يعذب قلباً بشهوة تركت له.

وصاحب القلب السليم، صاحب البصيرة الصحيحة، يكون طيباً بحيث يشم أهل الخير منه رائحة روحه على بدنه وثيابه، وإن لم يضع طيباً، والفاجر يشم صاحب البصيرة السليمة رائحة فجوره على بدنه وثيابه تنبعث منه، وإن وضع أطيب أطياب الأرض، والمزكوم لا يشم لا هذا ولا هذا، بل إن زكامه يحمله على الإنكار، فقد يقشعر وينفر من بعض أهل الخير، لا يحسن التمييز بين صاحب القلب الطيب، وصاحب القلب الخبيث.

كثرة تقلب القلوب: عن المقداد بن الأسود ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :"لقلب ابن آدم أشد انقلابا من القدر إذا اجتمع غليانا" (١)

الأعمالُ تتفاضلُ بتفاضلِ ما في القلوب: فقد تكون صورة العملين واحدة كالصلاة مثلًا وبينهما في التفاضل كما بين السماء والأرض والسبب أن الأول مقبلٌ بقلبه على ربه والقلب الثاني سارحٌ في هذه الدنيا بعيدًا غافلًا عن الله تعالى؛ فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ كَانَتْ عَلَيْنَا رِعَايَةُ الإِبِلِ فَجَاءَتْ نَوْبَتِى فَرَوَّحْتُهَا بِعَشِيٍّ فَأَدْرَكْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَائِمًا يُحَدِّثُ النَّاسَ فَأَدْرَكْتُ مِنْ قَوْلِهِ « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّى رَكْعَتَيْنِ مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ إِلاَّ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ » (٢)

إذًا العبرة بأعمال القلوب لا بأعمال الجوارح؛ يقول الله تعالى: (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) [الملك: ٢] وهنا قال الله: أحسن عملًا ولم يقل أكثر عملًا، ولهذا كان الصالحون من هذه الأمة لا يهتمون بكثرة العمل، وعلى هذا الأصل فإن "عبودية القلب أعظم من عبودية الجوارح".

القلبُ هدفٌ للشيطان: لمّا علم الشيطان – عدو الله – أن مدار النجاة على القلب أجلب عليه بالوسواس والشهوات والشبهات وزيّن له الباطل ونصب له المصايد والحبائل حتى يُفسد هذا القلب ويجعله بعيدًا عن ربه ومولاه غارقًا في بحر الفتن.

---

(١) السلسلة الصحيحة (٢) صحيح مسلم

أمراض القلب خفيّة وإهمالها يؤدي إلى الهلاك: مثل الرياء والعجب والكبر والشهرة وغيرها، وهذه امراض خفية قد لا يعرفها صاحب هذا القلب وهذا قد يؤدي به إلى الهلاك والعياذ بالله تعالى، وهؤلاء اهتموا بالأعمال الظاهرة، وأهملوا أعمال القلوب ولم يراقبوا الله في خلواتهم؛ فعن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ) [1]

وخاتمة السوء تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد لا يطّلع عليها الناس.

يقول الحسن البصري - رحمه الله -: (النفاق اختلاف السر والعلانية والقول والعمل) ويقول بلال بن سعد (لا تكن وليًّا لله - عز وجل - في العلانية وعدوًّا له في السر).

بعض المواطن التي يمتحن الانسان فيها قلبه

أ- العبادة وكيفية المحافظة عليها، وأداؤها بالشكل المطلوب، وعدم التهاون فيها.

ب- العلم والحرص على التعلم، وخاصة ما لا يسع المسلمَ جهلُه في مختلف العلوم والفنون الإسلامية الضرورية.

ج- الدعوة والعمل والتطبيق لما تعلم، وتبليغه للناس؛ ((بلِّغوا عني ولو آية)).

د- الخلاف والجدل، والالتزام بآداب الخلاف والمناظرة والجدال، والبحث عن الفائدة والحق، بعيدًا عن التعصب، والجدلِ العقيم الذي لا فائدة منه.

ذ- الشهوات؛ وذلك بالابتعاد عنها والفرار منها؛ لأنها تُميت القلوبَ، وتسحبها إلى المعصية والرذيلة، وتقودُ القلب إلى الموت.

ز- الشبهات والفتن؛ وذلك أيضًا بالفرار منها، والتحذير منها، وكشف ملابساتها، والسؤال والبحث عن الجواب لأبسط شبهة أو سؤال يطرأ.

س- الرياسة والمناصب، وكل ذلك مما يمتحن به القلب، وصاحبه عندما يعطى منصبًا أو رئاسة كيف يعمل بها وكيف يتحمل الأمانة.

ش- النسب والحسب والجاه؛ فالكل يفتخر ويتعالى على الآخرين بحسَبِه ونسبه وماله؛ فهو محل امتحان، كيف يصنَع القلبُ ويتعامل.

---

[1] صحيح البخاري

ثانياً: أنواع القلوب وأسباب فسادها

أ- أنواع القلوب

قال الغزالي: "القلوب في الثَّبات على الخير والشر والتردُّد بينهما ثلاثة:

قلْب عُمِر بالتقوى، وزكَا بالرِّياضة، وطهُر مِن خبائث الأخلاق.

القلْب المخذول، المشحون بالهَوى، المدنَّس بالأخلاق المذمومة والخبائث، المفتوح فيه أبوابُ الشياطين، المسدود عنه أبوابُ الملائكة.

قلْب تبْدو فيه خواطرُ الهوى، فتدعوه إلى الشرِّ، فيلحقه خاطر الإيمان فيَدْعوه إلى الخير، فتنبعث النفْس بشهوتها إلى نُصرة خاطِر الشر، فتقَوى الشهوة وتحسن التمتُّع والتنعُّم، فينبعث العقلُ إلى خاطر الخير، ويدفَع في وجه الشهوة ويُقبِّح فِعلها، وينسبها إلى الجهْل، ويشبهها بالبهيمة والسَّبُع في تهجُّمها على الشرِّ وقِلَّة اكتراثها بالعواقِب، فتميل النفْس إلى نُصح العقل"[١].

وقال ابن القيم: والقلوب ثلاثة:

قلب خالٍ من الإيمان وجميع الخير، فذلك قلبٌ مظلم قد استراح الشيطانُ مِن إلْقاء الوساوس إليه؛ لأنه قد اتَّخذ بيتًا ووطنًا وتحكَّم فيه بما يُريد، وتمكَّن منه غايةَ التمكُّن.

قلب قدِ استنار بنور الإيمان وأوقد فيه مصباحه، لكن عليه ظُلمة الشهوات وعواصِف الأهوية، فللشيطان هنالك إقبالٌ وإدبار، ومجالاتٌ ومطامع، فالحرْب دُول وسِجال.

وتختلف أحوالُ هذا الصِّنف بالقلَّة والكثرة، فمِنهم مَن أوقات غلبته لعدوِّه أكثر، ومِنهم مَن أوقات غلبَة عدوِّه له أكثر. ومنهم مَن هو تارَةً وتارة.

قلب محشو بالإيمان قدِ استنار بنور الإيمان، وانقشعتْ عنه حجب الشهوات، وأقلعتْ عنه تلك الظلمات، فلنوره في صدرِه إشراق؛ ولذلك الإشراق إيقاد لو دنَا منه الوسواس احترَق به، فهو كالسَّماء التي حُرِستْ بالنجوم، فلو دنا منها الشيطانُ يتخطَّاها رُجِم فاحترق"[٢]

ب- أسباب فساد القلوب:

البعد عن الحق بعد معرفته: قال تعالى : { فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٥) } (الصف) .

---

(١)إحياء علوم الدين" (٣/ ٤٥، ٤٦)

(٢) الكلم الطيب ص٢٤

أكل الحرام: ذكر النبي ﷺ [الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أشْعثَ أغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إلَى السَّمَاءِ : يَا رَبِّ يَا رَبِّ ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، ومَلبسُهُ حرامٌ ، وَغُذِّيَ بالْحَرَامِ ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ ؟ (١)

فعل المعاصي: فإن المعاصي تؤثر في القلوب ، قال تعالى :{ كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } (المطففين) .

استماع المحرم من الكلام مثل الغناء وغيره: فالغناء صوت الشيطان ، قال تعالى { وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ...(٦٤) } (الإسراء) .

النظر المحرم ، ومشاهدة الصور والأفلام الخليعة: والجلوس أمام الشاشات بالساعات الطويلة ، لمشاهدة أفلام الرذيلة والله عزو جل يقول : { قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ } (النور) .

أصدقاء السوء : قال تعالى: {الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (٦٧) } (الزخرف) .

الانجراف في تيار الحياة الغادرة : عن أَبي هريرة - ﷺ - ، قَالَ : سَمِعْتُ رسول الله - ﷺ - ، يقول : ((أَلاَ إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا ، إِلاَّ ذِكْرَ اللهِ تَعَالَى ، وَمَا وَالاهُ ، وَعالِماً وَمُتَعَلِّماً))(٢).

وعن سهلِ بن سعد الساعدي - ﷺ - ، قَالَ : قَالَ رسول الله - ﷺ - : ((لَوْ كَانَت الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ، مَا سَقَى كَافِراً مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ)) (٣)

حب الدنيا وكراهية الموت: عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : " يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها " . فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : " بل أنتم يومئذ كثير ولكن غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن " . قال قائل : يا رسول الله وما الوهن ؟ قال : " حب الدنيا وكراهية الموت "(٤) .

فلما أصيبت القلوب بحب الدنيا وكراهية الموت قلت مهابتها في قلوب أعدائها فلم يعد لكثرة عددهم قيمة ولا فائدة.

الجهل: فهو يقود إلى الأمراض القلبية والفكرية، ويهوي بصاحبه وهو لا يعلم.

الفتن والشبهات: وهي تدكُّ القلوب، وتُعرَض عليها، فمن نجَا منها فقد فاز.

---

(١) صحيح مسلم (٢) صحيح سنن الترمذي (٣) صحيح سنن الترمذي (٤) صحيح سنن أبي داوود

ثالثاً: الأمور التي تعين على صلاح القلوب

الخلوة المشروعة: فلا بد للعبد أن يكون له مجالس يخلو فيها بذكر ربه، وتعداد ذنوبه ومحاسبة نفسه، وإصلاح قلبه، وطلب المغفرة من ربه.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: لا بد للعبد من أوقات ينفرد بها بنفسه في دعائه وذكره وصلاته، وتفكره ومحاسبته.

وقال طاووس رحمه الله: نعم صومعة الرجل بيته، يكف فيها بصره ولسانه.

فإذا أراد الإنسان تحقيق علم أو عمل فيتخلى في بعض الأماكن مع محافظته على الجمعة والجماعة فهذا حق كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله، ومن أجل قضية الخلوة بالله، وأهمية الخلوة بالله شرع الاعتكاف؛ لقطع النفس عن العلائق والانشغالات الدنيوية حتى يصحو القلب ويتهذب، لكنها ليست خلوة صوفية في كهف من الكهوف، أو برية من البراري، ينقطع الإنسان بها عن المجتمع وعن المسجد، وعن الجمعة والجماعة، وعن تعليم الناس، وإنكار المنكر، كلا، بل هي خلوة وقتية، يخلو في بيته، يخلو في بيت الله معتكفاً، ونحو ذلك، يحاسب نفسه. لا بد من خلوة، (وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ) [1]، فهو من السبعة الذين يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

وجرب يا عبد الله مسألة الخلوة هذه، في مكتب أغلق عليك، أو في حجرة في بيتك أغلق عليك، اعبد ربك، واذكر ذنبك، وحاسب نفسك، واستغفر الله تعالى ستجد لها أثراً ولا بد.

مراقبة الله: قال تعالى: "وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ" التغابن.

سئل بعض السلف بم يستعان على غض البصر؟ -وما أحوجنا إليه في هذا الزمان، ما أكثر النساء المتبرجات، ما أكثرهن، ما أكثر العيون المكحلة، ما أكثر هذا النقاب الفاضح والشفاف من اللباس والقصير والضيق والصور المتحركة الحقيقية في الشوارع والمطبوعة على الأغلفة، ما أكثرها-.

فقال: بعلمك أن نظر الله إليك أسبق من نظرك إلى المنظور، فإذا علمت أن نظر الله إليك أسرع وأسبق من نظرك إلى المرأة ربما استحيت وأطرقت ، وغضضت من بصرك، أن تعلم أن نظر الله إليك أسرع من نظرك إلى المرأة.

وإذا خلوت بريبة في ظلمة *** والنفس داعية إلى الطغيان

فاستح من نظر الإله وقل لها *** إن الذي خلق الظلام يراني

---

(١) متفق عليه

إن الاستحياء من الله عز وجل إذا ذكره العبد دافع لترك المعصية، إنه يصلح القلب، وأن يتذكر العبد المساءلة بين يدي الله عز وجل، هذه الوظائف، وهذه الشهادات، وهذه الجامعات، وهذه القصور، هذه البيوت، هذا النعيم إنما هو زائل ونغادر، والنبي عليه الصلاة والسلام شبهه برجل استظل في ظل شجرة ثم راح وتركها، هو ظل زائل، وفي الجنة ظل ممدود لا يزول ولا ينحسر.

السلامة من الشرك صغيره وكبيره : قال ابن القيم رحمه الله: ولا صلاح له – أي للقلب – إلا بتوجيه محبته وعبادته وخوفه ورجائه.

السلامة من البدعة ومخالفة السنة: فإن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار فإذا امتلأ القلب بالبدع أظلم وإذا أظلم مرض ولم يصح.

السلامة من الشبهات التي تزيغها وتحملها على اتباع الهوى والتكذيب بالحق.

السلامة من الشهوات التي تمرضها وتفسدها: عن حُذَيْفَةُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ « تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا فَأَىُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ وَأَىُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ »[(١)]، فقلب لا يعرف معروفًا ولا يُنكر منكرًا وربما اشتبه عليه المعروف بالمنكر والمنكر بالمعروف وأصبحت السنة بدعة والبدعة سنة والحق باطلًا والباطل حقًّا وهذا هو قلب المنافق وهو أشر قلوب الخلق فقد حكم هواه وانقياده للهوى.

وقلبٌ عرف الحق وقبله وأحبه وآثره على غيره، قلبٌ قد أشرق فيه نور الإيمان ينكر فتن الشهوات والشبهات ولا يقبلها البتة.

فبين هذا الحديث أثر الذنوب على القلب وأنه يطمسها ويختم عليها كما قال ابن المبارك رحمه الله.

رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل إدمانها ** وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها

التوبة الي الله من كل الذنوب التي يفعلها العبد: فأكثروا أيها المؤمنون من التوبة والاستغفار فإن التوبة تجلو القلب وتزيل عنه أوضار المعاصي والسيئات فعَنِ الأَغَرِّ الْمُزَنِىِّ - وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ « إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِى وَإِنِّى لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِى الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ » [(٢)] ومعنى يغان : يغطى.

---

(١) صحيح مسلم (٢) صحيح مسلم

قال ابن القيم رحمه الله: (فإذا عزمت التوبة وصحت ونشأت من صميم القلب أحرقت ما مرت عليه من السيئات حتى كأنها لم تكن فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له).

الدعاء والتضرع الي الله ان يصرف قلوبنا الي طاعته وان يثبت قلوبنا على دينه

قال تعالى: { رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٨)} آل عمران

وعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يَقُولُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ « إِنَّ قُلُوبَ بَنِى آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ » [١].

وعن أنس قال : كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول : " يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك " فقلت : يا نبي الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا ؟ قال : " نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء " [٢]. فأكثروا من سؤال الله التثبيت وإصلاح القلوب.

ذكر الله تعالى: قال تعالى: (الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨)) الرعد، عن أَبي موسى الأشعري - ﷺ - ، عن النبيّ - ﷺ - ، قَالَ : ((مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لا يَذْكُرُهُ مَثَلُ الحَيّ وَالمَيّتِ)) [٣].

الأخذُ بالقرآنِ العظيمِ، تلاوةً وحفظاً وتدبراً وتعلُّماً: فإن الله -سبحانه وتعالى -أنزلَه شفاءً لما في الصدورِ وهدى، ورحمةً للمؤمنين، قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) يونس.

فالقرآنُ أبلغُ موعظةٍ لمن كانَ له قلبٌ أو ألقى السمعَ وهو شهيدٌ، وهو أنفعُ الأدوية شفاء لما في الصدورِ من أمراضِ الشبهاتِ والشهواتِ، قال ابن القيم رحمه الله: "جماعُ أمراضِ القلوبِ هي أمراضُ الشبهاتِ والشهواتِ، والقرآنُ شفاءٌ للنوعين، فأقبلوا على كتابِ الله يا عبادَ اللهِ، فإنه لا صلاحَ لكم، ولا سعادةَ إلا بالتمسُّكِ به، فاعتصموا به ومن يعتصمْ باللهِ فقد هُدي إلى صراطٍ مستقيمٍ

الحرص على البعد عن أسباب فسادها وخرابها: قال تعالى:(وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ) الأحزاب، ومعنى:{ من وراء حجاب } : أي ستر كباب ورداء ونحوه ، { أطهر لقلوبكم وقلوبهن } : أي من الخواطر الفاسدة [٤].

قال الشيخ عبدُ الرحمنِ السِّعدي رحمه الله: "وكلما بعد الإنسانُ عن الأسبابِ الداعيةِ إلى الشرِّ فإنه

---

(١) صحيح مسلم (٢) صحيح سنن ابن ماجة (٣) صحيح البخاري (٤) أيسر التفاسير

أسلمُ له وأطهرُ لقلبه"[١]

تعظيم الله تعالى الذي ينشأ عنه تعظيم أمره ونهيه : قال الله تعالى: (ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) الحج، وشعائر الله هي أوامره ونواهيه فعظموا الله سبحانه وتعالى يصلح لكم قلوبكم ويغفر لكم ذنوبكم.

حب الله تعالي وحب نبيه ﷺ وحب اولياء الله وحب الجنة وكراهية الكفر : عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ « ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِى الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِى النَّارِ »[٢]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فالمحبة أعظم واجبات الدين وأكثر أصوله وأجل قواعده بل هي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين).

فحب العبد الي الله يجعله يتقرب الي الله عز وجل بقلبه وجوارحه حتى يحصل على القلب السليم فيحبه الله عز وجل فيعينه على فعل الطاعات كما في الحديث القدسي: ((وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحبَبتُهُ كُنْتُ سَمعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَني أَعْطَيْتُهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ)) [٣]

(كنت سمعه . .) أحفظه كما يحفظ العبد جوارحه من التلف والهلاك وأوفقه لما فيه خيره وصلاحه وأعينه في المواقف وأنصره في الشدائد . (استعاذني) استجار بي مما يخاف.

رابعاً: نماذج من أحوال السلف

لما وصف عمر ﷺ أبا بكر الصديق قال: اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته، وأنه ليس فينا مثله. سريرته خير من علانيته، هذه إذن المنزلة العالية.

طلحة ﷺ رأى عمر في سواد الليل يخرج، يدخل بيتاً ويخرج منه، فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت لينظر إلى أين دخل عمر بالليل، وماذا كان يفعل؟ فإذا بعجوز عمياء مقعدة، فقال لها: ما بال هذا الرجل الذي يأتيك بالليل؟ قالت: إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا. يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى، قال طلحة: ثكلتك أمك يا طلحة، أعثرات عمر تتبع.

ولما وصف أحمد بن حنبل رحمه الله عبد الله بن المبارك قال: ما رفعه الله إلا بخبيئة كانت له، كان

(١) تفسير السعدي. (٢) صحيح مسلم (٣) صحيح البخاري

يخفي أعماله الصالحة، فرفع الله قدره، وكانوا في جميع الميادين من الحريصين على إخفاء الأعمال.

قال عبدة بن سليمان المروزي: كنا في سرية مع عبد الله بن المبارك في بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو ودعا إلى المبارزة، فخرج إليه رجل من المسلمين قد تلثم فلا يعرف، فطارده ساعة فطعنه فقتله، ثم خرج من الكفار رجل آخر ودعا إلى المبارزة، فخرج له نفس الرجل من المسلمين، فطارده ساعة فطعنه فقتله، فازدحم المسلمون على ذلك الرجل يريدون معرفة شخصيته، وكنت فيمن ازدحم عليه، فإذا هو ملثم وجهه بكمه، فأخذت بطرف كمه، فمددته فإذا هو عبد الله بن المبارك، فقال ابن المبارك لهذا الذي كشف وجهه: وأنت يا أبا عمرو ممن يشنع علينا، قالها تواضعاً لله تعالى.

عن أبي حمزة الثمالي: أن علي بن الحسين كان يحمل الخبز بالليل على ظهره يتبع به المساكين في الظلمة، ويقول: إن الصدقة في الليل تطفئ غضب الرب.

فكان ناس في المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم، يأتون إلى بيوتهم يجدون عندها الطعام، يخرج أحدهم من الباب يجد عنده صدقة، لا يدرون من وضعها، فلما مات علي بن الحسين رحمه الله فقدوا ذلك، ولم يعودوا يجدون الطعام الذي كانوا يجدونه عند أبواب بيوتهم، فعلموا من الذي كان يأتيهم بالليل.

وعن عمرو بن ثابت قال: لما مات علي بن الحسين وجدوا بظهره أثراً مما كان ينقل من الجرب بالليل إلى منازل الأرامل، فمن ثقلها على ظهره أثرت فيه، فصارت أثراً مستمراً، وجدوه في بدنه عند تغسيله رحمه الله تعالى، وأما الصلاة والدعاء فحدث عنهم ولا حرج في أخبارهم رحمهم الله تعالى.

قال سلام بن أبي مطيع: كان أيوب يقوم الليل يخفي ذلك، فإذا كان قبيل الصبح رفع صوته كأنه قام في تلك الساعة، لم يكن يشعرهم أنه كان قد قام قبلها بوقت طويل.

وكان مسروق رحمه الله يرخي الستر بينه وبين أهله ثم يقبل على صلاته، ويخليهم ودنياهم، وكان حسان بن أبي سنان، يفتح باب حانوته، يفتح باب الحانوت فيضع الدوات ويفرش الحساب، ويرخي ستره داخل الدكان ثم يصلي، فإذا أحس بإنسان قد جاء، -زبون قادم-، يقبل على الحساب يريه أنه كان يحسب ميزانية المحل، وما دخل وما خرج، رحمه الله تعالى.

وعن الأعمش قال: كنت عند إبراهيم النخعي وهو يقرأ في المصحف واستأذن عليه رجل فغطى

المصحف وقال: لا يرى هذا أنني أقرأ فيه كل ساعة.

قال محمد بن واسع رحمه الله: لقد أدركت رجالاً، كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته على وسادة واحدة، قد بل ما تحت خده من الدموع وزوجته لا تشعر به، ولقد أدركت رجالاً يقوم أحدهم في الصف فتسيل دموعه على خده ولا يشعر به الذي بجانبه.

وكان محمد بن سيرين رحمه الله يسمع بكاؤه بالليل وضحكه بالنهار، وكانت البيوت متجاورة متلاصقة.

قال الإمام البصري رحمه الله: كان الرجل يتعبد عشرين سنة لا يشعر به جاره، وأحدهم يصلي ليلة أو بعض ليلة، فيصبح وقد استطال على جاره.

هذا الفرق، بعض الناس يقولون: تصدقنا وأنفقنا، واعتمرنا وحججنا، وفعلنا وفعلنا، لمرة واحدة، والصالحون يفعلونه سنين ولا يحدثون به. بل لا يدري عنه ولكن الله يكشفه. ويرفع قدر صاحبه، ولذلك بلغ السلف والصالحون ما بلغوا، وإن كانت أعمالهم مستورة، لكن الله يحببهم إلى العباد، ويغرس في قلوب العباد محبتهم، هذا من نتيجة طاعة الله تعالى.

أقام عمرو بن قيس رحمه الله عشرين سنة يصوم، ويكثر الصيام، لا يعلم به أهله، يأخذ إفطاره في الصباح وهو ذاهب إلى دكانه، يغدو إلى الحانوت فيتصدق بغدائه على المساكين، ويصوم وأهله لا يدرون ويرجع إليهم قبيل المغرب حيث كان ينتهي وقت العمل في ذلك المجتمع، ثم يأكل بعد ذلك كأنه يتغدى غداءه العادي.

قال سفيان بن عيينة رحمه الله: إذا وافقت السريرة العلانية فذلك العدل، وإذا كانت السريرة أفضل من العلانية، فذلك الفضل، وإذا كانت العلانية أفضل من السريرة فذلك الجور، وهذا الظلم.

هكذا كانوا رحمهم الله تعالى، هكذا كانوا في إخفائهم لأعمالهم، فإذا أردت يا عباد الله أن يصلح قلبك فاعمل وأخفي العمل، فإن في ذلك إصلاحاً عظيماً للقلب.

فاللهم يا مثبت القلوب والأبصار ثبت قلوبنا على دينك وطاعتك في كل وقت وحين اللهم آمين.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

۞۞۞۞۞۞۞۞۞

حق الجار في الإسلام

الحمد لله الذي خلق خلقه أطواراً، وصرفهم كيف شاء عزة واقتداراً، وأرسل الرسل إلى الناس إعذارا منه وإنذارا، فأتم بهم نعمته السابغة، وأقام بهم حجته البالغة، فنصب الدليل، وأنار السبيل، وأقام الحجة، وأوضح المحجة، فسبحان من أفاض على عباده النعمة، وكتب على نفسه الرحمة، أحمده والتوفيق للحمد من نعمه، وأشكره على مزيد فضله وكرمه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة قامت بها الأرض والسموات، وفطر الله عليها جميع المخلوقات، وعليها أسست الملة، ونصبت القبلة، ولأجلها جردت سيوف الجهاد، وبها أمر الله سبحانه جميع العباد.

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله رحمة للعالمين، وقدوة للعالمين، أرسله بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، وأمده بملائكته المقربين، وأيده بنصره وبالمؤمنين، وأنزل عليه كتابه المبين، أفضل من صلى وصام، وتعبد لربه وقام، ووقف بالمشاعر وطاف بالبيت الحرام.

العناصر

أولًا: المقصود بالجار وأنواعه ثانيًا: أهمية الجار في الإسلام

ثالثًا: حقوق الجار على جاره رابعًا: عقوبة إيذاء الجار وبعض صور إيذائه

الموضوع

أولًا: المقصود بالجار وأنواعه

المقصود بالجار: قال ابن حجر -رحمه الله-: وَاسْمُ الْجَارِ يَشْمَلُ الْمُسْلِمَ وَالْكَافِرَ وَالْعَابِدَ وَالْفَاسِقَ وَالصَّدِيقَ وَالْعَدُوَّ وَالْغَرِيبَ وَالْبَلَدِيَّ وَالنَّافِعَ وَالضَّارَّ وَالْقَرِيبَ وَالْأَجْنَبِيَّ وَالْأَقْرَبَ دَارًا وَالْأَبْعَدَ وَلَهُ مَرَاتِبُ بَعْضُهَا أَعْلَى مِنْ بَعْضٍ فَأَعْلَاهَا مَنِ اجْتَمَعَتْ فِيهِ الصِّفَاتُ الْأُولُ كُلُّهَا ثُمَّ أَكْثَرُهَا وَهَلُمَّ جَرًّا إِلَى الْوَاحِدِ ، وَعَكْسُهُ مَنِ اجْتَمَعَتْ فِيهِ الصِّفَاتُ الْأُخْرَى كَذَلِكَ فَيُعْطَى كُلٌّ حَقَّهُ بِحَسَبِ حَالِهِ وَقَدْ تَتَعَارَضُ صِفَتَانِ فَأَكْثَرُ فَيُرَجِّحُ أَوْ يُسَاوِي.

وقَالَ الْقُرْطُبِيُّ :الْجَارُ يُطْلَقُ وَيُرَادُ بِهِ الدَّاخِلُ فِي الْجِوَارِ وَيُطْلَقُ وَيُرَادُ بِهِ الْمُجَاوِرُ فِي الدَّارِ وَهُوَ الْأَغْلَبُ.

أنواع الجيران

فالجيران نوعان من حيث الصفة:

١ ـ جار صالح ، وهو الذي يقوم بحق الجوار ويعرف ما له وما عليه ، وهذا النوع من الجيران رزقٌ ونعمةٌ مِن الله تستحق الشكر لله جل وعلا ،فعَنْ نَافِعِ بْنِ عَبْدِ الْحَارِثِ -ﷺ-، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- : ((مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ الْجَارُ الصَّالِحُ ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ)) (١)

٢ـ جار سوء وهذا الصنف من الجيران ، ابتلاء وعذاب ، لذلك كان النبي -ﷺ- يستعيذ بالله منه ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -ﷺ- ،قَالَ: كَانَ مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ -ﷺ-: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَارِ السُّوءِ فِي دَارِ الْمُقَامِ، فَإِنَّ جَارَ الدُّنْيَا يَتَحَوَّلُ)) (٢).

حد الجيرة: قيل: "من صلى معك الصبح في المسجد، فهو جار لك" ، وعن على أنه قال: "من سمع النداء، فهو جار" (٣) ، وكان الأوزاعي يقول: إن حدَّ الجار أربعون دارًا من كل ناحية، ونقل هذا الكلام عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أيضًا، وكذا الحسن.

وقد توسع البعض في حد الجوار، فجعل كل مَن ساكَن رجلاً في محلة أو في مدينة، فهو جار، واستدلوا بقوله ـ تعالى ـ: (لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا) [الأحزاب: ٦٠]، فجعل الله ـ تعالى ـ اجتماعَهم في المدينةِ جوارًا.

ثانياً: أهمية الجار في الإسلام

الأمر بالإحسان إلى الجار: قال تعالى{وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا} [النساء: ٣٦]، ومعنى{ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى } أي: الجار القريب الذي له حقان حق الجوار وحق القرابة، فله على جاره حق وإحسان راجع إلى العرف. { وَ } كذلك { الْجَارِ الْجُنُبِ } أي: الذي ليس له قرابة. وكلما كان الجار أقرب بابًا كان آكد حقًّا، فينبغي للجار أن يتعاهد جاره بالهدية والصدقة والدعوة واللطافة بالأقوال والأفعال وعدم أذيته بقول أو فعل. (٤) ، قال القرطبي -رحمه الله-: أَمَّا الْجَارُ فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِحِفْظِهِ وَالْقِيَامِ بِحَقِّهِ وَالْوَصَاةِ بِرَعْيِ ذِمَّتِهِ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ. أَلَا تَرَاهُ سُبْحَانَهُ أَكَّدَ ذِكْرَهُ بَعْدَ الْوَالِدَيْنِ

(١) صحيح الترغيب والترهيب (٢) السلسلة الصحيحة (٣) الفتح" (١٠/ ٤٤٧) (٤) تفسير السعدي

وَالْأَقْرَبِينَ..... فَالْوَصَاةُ بِالْجَارِ مَأْمُورٌ بِهَا مَنْدُوبٌ إِلَيْهَا مُسْلِمًا كَانَ أَوْ كَافِرًا، وَهُوَ الصَّحِيحُ. وَالْإِحْسَانُ قَدْ يَكُونُ بِمَعْنَى الْمُوَاسَاةِ، وَقَدْ يَكُونُ بِمَعْنَى حُسْنِ الْعِشْرَةِ وَكَفِّ الْأَذَى دُونَهُ. (١)

وقال ابن رجب -رحمه الله-: فَجَمَعَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ بَيْنَ ذِكْرِ حَقِّهِ عَلَى الْعَبْدِ وَحُقُوقِ الْعِبَادِ عَلَى الْعِبَادِ أَيْضًا، وَجَعَلَ الْعِبَادَ الَّذِينَ أُمِرَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ خَمْسَةَ أَنْوَاعٍ: منها: مَنْ لَهُ حَقُّ الْقُرْبِ وَالْمُخَالَطَةِ، وَجَعَلَهُمْ ثَلَاثَةَ أَنْوَاعٍ: جَارٌ ذُو قُرْبَى، وَجَارٌ جُنُبٌ، وَصَاحِبٌ بِالْجَنْبِ. (٢)

أنَّ الإسلامَ أنْزَله منزلةَ الوارثِ في المكانَةِ والبِرِّ والصلةِ: عَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها-، عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ: (مَا زَالَ يُوصِينِي جِبْرِيلُ بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ)(٣)

قال الذهبي -رحمه الله-:يفهم من الحديث المذكور عنه -ﷺ- هو تعظيم حق الجار من الإحسان إليه وإكرامه وعدم الأذى له وإنما جاء الحديث في هذا الأسلوب للمبالغة في حفظ حقوق الجار وعدم الإساءة إليه حيث أنزله الرسول -ﷺ- منزلة الوارث تعظيماً لحقه ووجوب الإحسان إليه وعدم الإساءة إليه بأي نوع من أنواع الأذى.

من علامات الإسلام: عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ كن ورعا تكن أعبد الناس وكن قنعا تكن أشكر الناس وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وأقل الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب" (٤)

جَعَلَ الشرعُ إكرامَ الجارِ علامةً على كمالِ الإيمان : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -ﷺ-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- : (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ،) وفي لفظٍ (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ) وفي لفظٍ (فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ) (٥) ، وعَنْ أَبِي شُرَيْحٍ العَدَوِيِّ -ﷺ-، قَالَ: سَمِعَتْ أُذُنَايَ، وَأَبْصَرَتْ عَيْنَايَ، حِينَ تَكَلَّمَ النَّبِيُّ -ﷺ- فَقَالَ: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ) (٦) ، قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ -رحمه الله- : مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ مَنِ الْتَزَمَ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ لَزِمَهُ إِكْرَامُ جَارِهِ وَضَيْفِهِ وَبِرِّهِمَا وَكُلُّ ذَلِكَ تَعْرِيفٌ بِحَقِّ الْجَارِ وَحَثٌّ عَلَى حِفْظِهِ. (٧)

جُعِلَ إكرامُ الجارِ علامة ظاهرة على صلاح العبد: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو -ﷺ- ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: (خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ). (٨)

وَقَالَ عُمَر بْن الْخَطَّاب -ﷺ-: إذَا حَمِدَ الرَّجُلَ جَارُهُ، وَذُو قَرَابَتِهِ، وَرَفِيقُهُ، فَلا تَشُكُّوا فِي صَلاحِهِ. (٩)

---

(١) تفسير القرطبي (٥/ ١٨٣)
(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٣٤٦)
(٣) متفق عليه
(٤) صحيح الترغيب والترهيب
(٥) متفق عليه
(٦) صحيح البخاري
(٧) شرح النووي على مسلم
(٨) صحيح سنن الترمذي
(٩) شرح السنة للبغوي

تعمير الديار وزيادة الأعمار: عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها "إنه من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة وصلة الرحم وحسن الجوار أو حسن الخلق يعمران الديار ويزيدان في الأعمار "[١]

الجار شاهد على جاره: عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رجل لرسول الله ﷺ: كيف لي أن أعلم إذا أحسنتُ وإذا أسأت؟ قال النبي ﷺ:(إذا سمعت جيرانك يقولون أن قد أحسنتَ فقد أحسنتَ، وإذا سمعتهم يقولون: قد أسأتَ فقد أسأت) [٢].

مغفرة الذنوب: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ عز وجل قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَشْهَدُ لَهُ ثَلاثَةُ أَبْيَاتٍ مِنْ جِيرَانِهِ الأَدْنَيْنَ بِخَيْرٍ إِلاّ قَالَ اللَّهُ عز وجل: قَدْ قَبِلْتُ شَهَادَةَ عِبَادِي عَلَى مَا عَلِمُوا وَغَفَرْتُ لَهُ مَا أَعْلَمُ» [٣]

لا تحقر أي معروف تقدمه لجارك: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -ﷺ-، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ -ﷺ- يَقُولُ: (يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لاَ تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ) [٤] ، (فرسن شاة) ما دون الرسغ من يدها وقيل هو عظم قليل اللحم والمقصود المبالغة في الحث على الإهداء ولو في الشيء اليسير وخص النساء بالخطاب لأنهن يغلب عليهن استصغار الشيء اليسير والتباهي بالكثرة وأشباه ذلك]

ثالثاً: حقوق الجار على جاره

ذَكَرَ الإمام الغزالي -رحمه الله-حقوق الجار جملة فقال : وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ حَقُّ الْجِوَارِ كَفَّ الْأَذَى فقط بل احتمال الأذى، ولا يكفي احتمال الأذى بل لابد من الرفق وإسداء الخير والمعروف..... وجملة حق الجار أن يبدأه بالسلام ولا يطيل معه الكلام وَلَا يُكْثِرَ عَنْ حَالِهِ السُّؤَالُ وَيَعُودَهُ فِي الْمَرَضِ وَيُعَزِّيَهُ فِي الْمُصِيبَةِ وَيَقُومَ مَعَهُ فِي الْعَزَاءِ وَيُهَنِّئَهُ فِي الْفَرَحِ وَيُظْهِرَ الشَّرِكَةَ فِي السرور معه ويصفح عن زلّاته ولا يتطلع مِنَ السَّطْحِ إِلَى عَوْرَاتِهِ وَلَا يُضَايِقُهُ فِي وضع الجذع على جداره ولا في مصب الماء في ميزابه ولا في مطرح التراب في فنائه ولا يضيق طرقه إِلَى الدَّارِ وَلَا يُتْبِعُهُ النَّظَرَ فِيمَا يَحْمِلُهُ إِلَى دَارِهِ وَيَسْتُرُ مَا يَنْكَشِفُ لَهُ مِنْ عَوْرَاتِهِ وَيُنْعِشُهُ مِنْ صَرْعَتِهِ إِذَا نَابَتْهُ نَائِبَةٌ وَلَا يَغْفُلُ عَنْ مُلَاحَظَةِ دَارِهِ عِنْدَ غَيْبَتِهِ وَلَا يَسْمَعُ عَلَيْهِ كَلَامًا وَيَغُضُّ بَصَرَهُ عَنْ حُرْمَتِهِ وَلَا يُدِيمُ النَّظَرَ إِلَى خَادِمَتِهِ وَيَتَلَطَّفُ بولده فِي كَلِمَتِهِ وَيُرْشِدُهُ إِلَى مَا يَجْهَلُهُ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ. [٥]

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب
(٢) صحيح سنن ابن ماجة
(٣) صحيح الترغيب والترهيب
(٤) صحيح البخاري
(٥) احياء علوم الدين للغزالي

ابتداء الجار بالسلام إذا لقيه، مع السؤال عن حاله، والبشاشة في وجهه: فالسلام من الحقوق العامة لكلّ مسلم والأولى بذلك الجار المسلم ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: (لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ)(١)

وكذلك بشاشة الوجه وطلاقته فهي من حقوق إخوة الإسلام والأولى بذلك الجار المسلم ، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ -ﷺ-، قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ -ﷺ-: (لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ) (٢)

عيادته في مرضه، والمسارعة الى إسعافه عند الحاجة: فعيادة المريض من حقوق أُخوة الإسلام ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -ﷺ- ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- قَالَ: (حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ) قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ: (إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَسَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ) (٣)

بل تكون العيادة للجار الكافر لتأليفه ودعوته للإسلام ، وانظر إلى هذا المثال الرائع ، فعَنْ أَنَسٍ -ﷺ-، قَالَ: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ -ﷺ-، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ -ﷺ- يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: (أَسْلِمْ)، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ -ﷺ-، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ -ﷺ- وَهُوَ يَقُولُ: (الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ) (٤)

مُوَاسَاتُهُ عِنْدَ حَاجَتِهِ: فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -ﷺ-، عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ: ((لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ – أَوْ قَالَ: لِجَارِهِ - مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)) (٥)

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -ﷺ- ، عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ-: (لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالَّذِي يَشْبَعُ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ) (٦)

وعَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ -ﷺ- قَالَ: لَقَدْ أَتَى عَلَيْنَا زَمَانٌ ، وَمَا أَحَدٌ أَحَقُّ بِدِينَارِهِ وَدِرْهَمِهِ مِنْ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، ثُمَّ الآنَ الدِّينَارُ وَالدِّرْهَمُ أَحَبُّ إِلَى أَحَدِنَا مِنْ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ -ﷺ- يَقُولُ: ((كَمْ مِنْ جَارٍ مُتَعَلِّقٌ بِجَارِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ: يَا رَبِّ، هَذَا أَغْلَقَ بَابَهُ دُونِي، فَمَنَعَ مَعْرُوفَهُ)). (٧)

وانظر إلى هذا المثال الجميل ، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ: ابْنَ أُخْتِي إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الهِلاَلِ، ثُمَّ الهِلاَلِ، ثَلاَثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- نَارٌ، فَقُلْتُ يَا خَالَةُ: مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: " الأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- جِيرَانٌ مِنَ الأَنْصَارِ، كَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- مِنْ أَلْبَانِهِمْ، فَيَسْقِينَا)) (٨)

---

(١) صحيح مسلم (٢) صحيح مسلم (٣) صحيح مسلم (٤) صحيح البخاري (٥) صحيح مسلم (٦) صحيح الترغيب والترهيب (٧) صحيح الأدب المفرد (٨) صحيح البخاري

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ -رضي الله عنه-، قَالَ: إِنَّ خَلِيلِي -ﷺ- أَوْصَانِي: (إِذَا طَبَخْتَ مَرَقًا فَأَكْثِرْ مَاءَهُ، ثُمَّ انْظُرْ أَهْلَ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِكَ، فَأَصِبْهُمْ مِنْهَا بِمَعْرُوفٍ)[١]

قال القرطبي -رحمه الله- : فَحَضَّ عليه السلام عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، لِمَا رَتَّبَ عَلَيْهَا مِنَ الْمَحَبَّةِ وَحُسْنِ الْعِشْرَةِ وَدَفْعِ الْحَاجَةِ وَالْمَفْسَدَةِ، فَإِنَّ الْجَارَ قَدْ يَتَأَذَّى بِقُتَارِ {رائحة الشواء والمرق} قِدْرِ جَارِهِ، وَرُبَّمَا تَكُونُ لَهُ ذُرِّيَّةٌ فَتَهِيجُ مِنْ ضُعَفَائِهِمُ الشَّهْوَةُ، وَيَعْظُمُ عَلَى الْقَائِمِ عَلَيْهِمُ الْأَلَمُ وَالْكُلْفَةُ، لَاسِيَّمَا إِنْ كَانَ الْقَائِمُ ضَعِيفًا أَوْ أَرْمَلَةً فَتَعْظُمُ الْمَشَقَّةُ وَيَشْتَدُّ مِنْهُمُ الْأَلَمُ وَالْحَسْرَةُ.

قَالَ الْعُلَمَاءُ: لَمَّا قَالَ عليه السلام (فَأَكْثِرْ مَاءَهَا) نَبَّهَ بِذَلِكَ عَلَى تَيْسِيرِ الْأَمْرِ عَلَى الْبَخِيلِ تَنْبِيهًا لَطِيفًا، وَجَعَلَ الزِّيَادَةَ فِيمَا لَيْسَ لَهُ ثَمَنٌ وَهُوَ الْمَاءُ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَقُلْ: إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ لَحْمَهَا، إِذْ لَا يَسْهُلُ ذَلِكَ.[٢] ، وسألت عائشة رضي الله عنها رَسُولَ اللَّهِ فقالت: إِنَّ لِي جَارَتَيْنِ فَإِلَى أَيِّهِمَا أُهْدِي؟ قَالَ: «إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكِ بَابًا» [٣].

تعزيته عند إصابته بمصيبة: أو حلول كارثة به، أو وفاة عزيز عليه، وفتح بيته لذلك إن استدعى الأمر والقيام معه في عزائه، وإعانته على شدائده ونوائبه، وانظر إلى هذا المثال :قال الإمام ابن القيم : جِئْتُ يَوْمًا مُبَشِّرًا لَهُ بِمَوْتِ أَكْبَرِ أَعْدَائِهِ، وَأَشَدِّهِمْ عَدَاوَةً وَأَذًى لَهُ. فَنَهَرَنِي وَتَنَكَّرَ لِي وَاسْتَرْجَعَ. ثُمَّ قَامَ مِنْ فَوْرِهِ إِلَى بَيْتِ أَهْلِهِ فَعَزَّاهُمْ، وَقَالَ: إِنِّي لَكُمْ مَكَانَهُ، وَلَا يَكُونُ لَكُمْ أَمْرٌ تَحْتَاجُونَ فِيهِ إِلَى مُسَاعَدَةٍ إِلَّا وَسَاعَدْتُكُمْ فِيهِ. وَنَحْوَ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ. فَسُرُّوا بِهِ وَدَعَوْا لَهُ. وَعَظَّمُوا هَذِهِ الْحَالَ مِنْهُ. [٤]

الحفاظ على عوراته وعدم خيانته في أهله: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ» [٥] وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن عمر قَالَ: سألت رَسُولُ اللَّهِ: أَيُّ الذَّنْبِ عِنْدَ اللَّهِ أَكْبَرُ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ. قُلْت: ثُمَّ أَيّ؟ قَالَ: ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيّ؟ قَالَ: أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ» قَالَ: وَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ: {وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ} [٦].

فلقد كان العرب في الجاهلية يعظمون حق الجار، ويحترمون الجوار، ويعتزون بثناء الجار عليهم، ويفخرون بذلك، وكان منهم من يحفظ عورات جاره ولا ينتهكها، وقد قال عنترة بن شداد في ذلك شعراً: وأغض طرفي إن بدت لي جارتي *** حتى يواري جارتي مثواها

---

(١) صحيح مسلم
(٢) تفسير القرطبي
(٣) صحيح مسلم
(٤) مدارج السالكين
(٥) صحيح مسلم
(٦) صحيح البخاري

مساعدته ماديًا فيما يحتاج إليه : فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «لا يَمْنَعْ أَحَدُكُمْ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَةً فِي جِدَارِهِ»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ للناس لما رأى من تقصيرهم في حقوق جيرانهم: مَا لِي أَرَاكُمْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ؟! وَاللَّهِ لأَرْمِيَنَّ بِهَا بَيْنَ أَكْتَافِكُمْ [١] ، ولقد ضرب أصحاب رسول الله أروع الأمثلة في التعاون والمساعدة فيما بينهم، حتى استحقوا إطراء النبي لهم وثناءه عليهم، فعن أَبي موسى - ﷺ - ، قَالَ : قَالَ رسول الله - ﷺ - : ((إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا في الغَزْوِ ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بالمَدِينَةِ ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ في ثَوْبٍ وَاحِدٍ ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ في إِنَاءٍ وَاحِدٍ بالسَّوِيَّةِ فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ)) [٢]، ((أَرْمَلُوا)) : فَرَغَ زَادُهُمْ أَوْ قَارَبَ الفَرَاغَ .

كف الأذى عنه: وهذا الحق واجب على المسلمين، فلا يجوز لهم بحال إيذاء أحد من الناس ما دام مسالما، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلا يُؤْذِي جَارَهُ» [٣]

وكف الأذى يكون بكف جميع صور الأذى عن الجار كإلقاء القمامة عند بابه او ارتفاع صوت تلفازك او صوت حيواناتك مما يزعجه.....

احتمال أذاه والصبر عليه : وإنها لواحدة من شيم الكرام ذوي المروءات والهمم العالية، إذ يستطيع كثير من الناس أن يكف أذاه عن الآخرين، لكن أن يتحمل أذاهم صابرًا محتسبًا فهذه درجة عالية قال تعالى: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ} [المؤمنون:٩٦]. ويقول الله تعالى: {وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ} [الشورى:٤٣].

قال ابن رجب -رحمه الله- : وعليه أَنْ يَصْبِرَ عَلَى أَذَى جَارِهِ، وَلَا يُقَابِلَهُ بِالْأَذَى قَالَ الْحَسَنُ البصري -رحمه الله- : لَيْسَ حُسْنُ الْجِوَارِ كَفَّ الْأَذَى، وَلَكِنَّ حُسْنَ الْجِوَارِ احْتِمَالُ الْأَذَى. [٤]

عَنْ مُطَرِّفِ بن عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ الغفاري -ﷺ- ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- قَالَ: (إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ ثَلَاثَةً) ومِنْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ يُحِبُّهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (رَجُلٌ كَانَ لَهُ جَارُ سُوءٍ، يُؤْذِيهِ، فَصَبَرَ عَلَى أَذَاهُ، حَتَّى يَكْفِيَهُ اللهُ إِيَّاهُ بِحَيَاةٍ، أَوْ مَوْتٍ) [٥]

ويروى أن رجلاً جاء إلى ابن مسعود -ﷺ-فقال له: إن لي جاراً يؤذيني ويشتمني ويضيق عليَّ. فقال: اذهب فإن هو عصى الله فيك فأطع الله فيه. [٦]

وكان لسهل بن عبدالله التستري - رحمه الله - جار مجوسي، وكان في نفس البيت في الطابق الأعلى، فانفتحت فتحة في كنيف المجوسي، فكان يقع منها الأذى في دار سهل، فكان يضع كل يوم

---

(١) صحيح مسلم
(٢) متفق عليه
(٣) صحيح البخاري
(٤) جامع العلوم والحكم
(٥) صحيح الترغيب والترهيب
(٦) احياء علوم الدين

الجفنة تحت الفتحة، فينزل فيها الأذى، ثم يأخذ ذلك بالليل ثم يَطرحه بعيدًا، فمكث ـ رحمه الله ـ على هذا الحال زمانا طويلاً إلى أن أتى سهلاً المرَضُ، فاستدعى سهل جاره المجوسي، وقال له: ادخل ذلك البيت وانظر ما فيه فرأى الفتحة والقذر، فقال: ما هذا؟

قال سهل: هذا منذ زمن طويل يسقط من دارك، وأنا أتلقاه بالنهار وأُلقيه بالليل، ولولا أنه حضَرني أجلي ما أخبرتك، وأنا أخاف أن لا تتَّسع أخلاق غيري لذلك، فافعل ما ترى، فقال المجوسي: أيها الشيخ، أنت تعاملني بهذه المعاملة منذ زمن طويل، وأنا مقيم على كفري، أيها الشيخ، مد يدك، فأنا أشهد أنْ لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ثم مات سهل ـ رحمة الله عليه.

وقد باع أبو جهم العدوى داره بمائه ألف درهم ثم قال للمشترى : بكم تشترون جوار سعيد بن العاص قالوا : وهل يشترى جوار قط ، قال : إذاً ردوا علىّ دارى وخذوا مالكم فإني والله لا أدع جوار رجل إن قعدت سأل عنى ، وإن رآني رحب بى ، وإن غبت حفظني ، وإن شهدت قربني ، وإن سألته قضى حاجتي ، وإن لم أسأل بدأني ، وإن نابتنى حاجة فرج عنى . فبلغ ذلك سعيداً فبعث إليه بمائة ألف درهم.

وهذا هو الإمام الجليل أبو حنيفة النعمان ، كان له جار فاسق سكير عواد ومغنٍ إذا جن الليل أقبل على لعبه ولهوه ، وكان إذا أكثر صياحه وغنائه إذا ثمل قال :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا * * * ليوم كريهة وسداد ثغر

حتى حفظ أبو حنيفة كل غنائه لكثرة ما كان يردده . فأخذه الحرس من داره وهو سكران وحبسوه فافتقده أبو حنيفة ، وافتقد صوته ، فقال : ماذا فعل جارنا ؟ لقد فقدنا صوته ، فقيل : أخذه الحرس البارحة وحبسوه ، فقال : قوموا بنا نسعى في خلاصه ، فإن حق الجار واجب ، ولقد أوصى النبي ﷺ بالجار ، فأتى مجلس الأمير فلما بصر به قام إليه وأخذ بيده ، ورفعه مكاناً عليا وقال : ما جاء بك يا أبا حنيفة ؟ قال : جئت لمحبوس عندك من جيراني ، أخذه الحرس البارحة ، وأسألك أن تطلقه ، وتهب لي جرمه ، فقال الأمير : قد فعلت ولجميع من معه في الحبس ، هلا بعثت برسول حتى أقضى به حقك وأخرج من واجبك ! فلما أن أخرج من حبسه قال له أبو حنيفة : هل أضعناك يا فتى ؟ قال : لا يا سيدي ومولاي ، لا تراني اليوم أفعل شيئاً تتأذى به ثم أخرج أبو حنيفة عشرة دنانير وأعطاها له ، وقال : استعن بهذا المال على نقصان دخلك وقت الحبس ، ومتى كان لك حاجة فابسطها إلينا ، واترك الحشمة فيما بينا وبينك ، فقام الرجل وقبل رأس أبى حنيفة ، وكان بعد ذلك

يختلف إلى درسه وتفقه حتى صار من فقهاء الكوفة "

حقّ الشُّفْعة: وقد عدَّه بعض العلماء حقًّا مُلزِمًا، أيْ إذا كنتَ تسْكن في بيتٍ، ولك جار في الطابقِ نفسه، وأراد الجارُ أن يبيعَ بيتهُ يجب أن يسألك قبل كلّ شيءٍ، فهو مُلزمٌ أن يبيعهُ لك بالسّعر الرائج فإذا باعهُ لِغَيرك يمكن أن تُقيم عليه دعْوى، والقاضي يُلزمُه بِفَسْخ البيع وبيْعِهِ لك، هذا هو حقّ الشّفعة في بعض المذاهب حقّ مُلْزم.

حل مشكلاته وقضاء مصالحه: لا بد للجار أن يتعايَش بجسده ورُوحه مع جاره، فيسعى في حل مشكلاته وقضاء مصالحه؛ وذلك من باب: (وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [الحج: ٧٧].

ومن باب قوله ـ تعالى ـ: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) المائدة:

فينبغي للجار أن يكون في حاجة أخيه؛ ليكون الله في حاجته؛ عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـﷺـ قَالَ « الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ مَنْ كَانَ فِى حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِى حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ». (١)

أن تنصره ظالمًا أو مظلومًا: عن أنس ـ ﷺ ـ ، عن النَّبيّ ـ ﷺ ـ قال : ((انْصُرْ أخَاكَ ظَالماً أَوْ مَظْلُوماً)) فَقَالَ رجل : يَا رَسُول اللهِ ، أنْصُرُهُ إذَا كَانَ مَظْلُوماً ، أرَأيْتَ إنْ كَانَ ظَالِماً كَيْفَ أنْصُرُهُ ؟ قَالَ : ((تحْجُزُهُ ـ أَوْ تمْنَعُهُ ـ مِنَ الظُّلْمِ فَإنَّ ذلِكَ نَصرُهُ)) (٢) ، فإذا أحب الجار أن يَبطش بجاره أو أي إنسان أو يَظلمهم، فعلى الجار الآخر أن يمنعه من ذلك ويسعى في الإصلاح بينهم.

فواجب على الجار أن يسعى في الإصلاح بين جيرانه، وأن يكون أداة صُلح وخير، لا أداة إفساد وتدمير، وإلى كل هذا يشير ربنا ـ سبحانه ـ في قرآنه، وحبيبنا ـ ﷺ ـ في سنته، فيقول ـ تعالى ـ: (لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) [النساء: ١١٤].

ويقول ـ تعالى ـ: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) [الحجرات:].

إحسان الظن بهك فإذا رأى الجار ما يريبه من جاره، فليحسن به الظن، وإذا تكلَّم معه فليحمل كلامه محملاً حسنًا؛ لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ) فعلى الجار دائمًا أن يحسن الظنَّ بأخيه الجار؛ لأن إساءة الظن بالآخرين تُورث الشحناء والبغضاء بين أفراد المجتمع، وقد يكون هذا الذي تسيء الظن به وتُبغضه، أفضل منك بكثير وأنت لا تدري.

---

(١) متفق عليه (٢) صحيح البخاري

مشاركته في فرحه، وتهنئته عند حلوله ومحبة الخير له، والسرور لسروره.

الصفح عن زلاته وسقطاته، والتغاضي عن تقصيره وسيئاته، ومعاتبته برفق وأدب على هفواته.

التلطف في معاملة أبنائه، والإحسان إليهم، والرفق بهم ونصيحتهم بالمعروف.

غض البصر عن أهله، وتجنب متابعة أسراره، والحفاظ على حرمته، وملاحظة داره عند غيبته.

وإن هذه لمن أوكد الحقوق، فبحكم الجوار قد يطَّلع الجار على بعض أمور جاره فينبغي أن يوطن نفسه على ستر جاره مستحضرًا أنه إن فعل ذلك ستره الله في الدنيا والآخرة، أما إن هتك ستره فقد عرَّض نفسه لجزاء من جنس عمله: {وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ}

أَنْشَدَ مِسْكِينٌ الدَّارَمِيُّ

مَـا ضُـــرَّ لِـي جَـارٌ أَجَـاوِرُهُ ** أَنْ لَا يَـكُـونَ لِـبَـابِـهِ سِـــتْـرُ
أَعْـمَـى إِذَا مَـا جَـارَتِـي خَـرَجَـتْ ** حَـتَّـى يُـوَارِيَ جَـارَتِـي الْـخِـدْرُ
وَتَصُـــمُّ عَـمَّـا بَـيْـنَـهُـمْ أُذُنِـي ** حَـتَّـى يَصِـــيـرَ كَـأَنَّـهُ وَقَـرُ

غض الصوت تجنبا لمضايقته. وخفض صوت المذياع والرائي خصوصا في أوقات راحته.

تجنب إيذائه بتضييق الطريق عليه، أو طرح الأقذار قرب داره، أو التجاوز على حدوده أو التطاول عليه في البنيان فتنحجب عنه الشمس والهواء.

رابعاً: عقوبة إيذاء الجار وبعض صور إيذائه

نَفيُ كمالِ الإيمانِ عن الذي يُؤذي جارَه: عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الخزاعي -رضي الله عنه-، أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- قَالَ: (وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ) قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ) [١] (بوايقه) جمع بائقة وهي الظلم والشر والشيء المهلك.

قَالَ ابن بَطَّالٍ -رحمه الله-: فِي هَذَا الْحَدِيثِ تَأْكِيدُ حَقِّ الْجَارِ لِقَسَمِهِ -ﷺ- عَلَى ذَلِكَ وَتَكْرِيرِهِ الْيَمِينَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَفِيهِ نَفْيُ الْإِيمَانِ عَمَّنْ يُؤْذِي جَارَهُ بِالْقَوْلِ أَوِ الْفِعْلِ ، وَمُرَادُهُ الْإِيمَانُ الْكَامِلُ. [٢]

تعظيم الخطيئة في حق الجار: وعَنِ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ -رضي الله عنه-قَالَ: سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- أصحابه عن الزنى؟ قَالُوا: حرامٌ؛ حَرَّمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ. فَقَالَ ((لِأَنْ يَزْنِيَ الرَّجُلُ بِعَشْرِ نِسْوَةٍ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنِيَ بِامْرَأَةِ جَارِهِ)) وَسَأَلَهُمْ عَنِ السرقة؟ قالوا: حرام؛ حرمه اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولُهُ. فَقَالَ: " لِأَنْ يَسْرِقَ مِنْ عَشَرَةِ أَهْلِ أبياتٍ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَسْرِقَ مِنْ بَيْتِ جَارِهِ))[٣]

(١) صحيح البخاري (٢) فتح الباري (٣) صحيح الترغيب والترهيب

قال المناوي -رحمه الله- :قوله ((لِأَنْ يَزْنِيَ الرَّجُلُ بِعَشْرِ نِسْوَةٍ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنِيَ بِامْرَأَةِ جَارِهِ)) يقاس بها نحو أمته وبنته وأخته وذلك لأن من حق الجار على الجار أن لا يخونه في أهله فإن فعل ذلك كان عقاب تلك الزنية يعدل عذاب عشر زنيات.

قال الذهبي في الكبائر : فيه أن بعض الزنا أكبر إثما من بعض قال : وأعظم الزنا بالأم والأخت وامرأة الأب وبالمحارم وبامرأة الجار. (١)

التحذير من أذى الجار بأيّ لونٍ مِن ألوان الأذى : قال الصنعاني -رحمه الله- : فَالْأَذِيَّةُ لِلْمُؤْمِنِ مُطْلَقًا مُحَرَّمَةٌ قَالَ تَعَالَى {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا} ، وَلَكِنَّهُ فِي حَقِّ الْجَارِ أَشَدُّ تَحْرِيمًا فَلَا يُغْتَفَرُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَهُوَ كُلُّ مَا يُعَدُّ فِي الْعُرْفِ أَذًى. (٢)

إيذاء الجار من الكبائر: * فَأَمَّا أَذَى الْجَارِ، فَمُحَرَّمٌ فَإِنَّ الْأَذَى بِغَيْرِ حَقٍّ مُحَرَّمٌ لِكُلِّ أَحَدٍ، وَلَكِنْ فِي حَقِّ الْجَارِ هُوَ أَشَدُّ تَحْرِيمًا. فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعودٍ -رضي الله عنه- قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ -ﷺ-: " أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: (أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ). قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: (وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ). قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: (أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ) (٣)

نزع صفة الإيمان عنه: عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الخزاعي -رضي الله عنه-، أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- قَالَ: (وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ) قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ) (٤)

قال القرطبي -رحمه الله- : وَهَذَا عَامٌّ فِي كُلِّ جار. وقد أكد عليه السلام ترك إذايته بِقَسَمِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَأَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ الْإِيمَانَ الْكَامِلَ مَنْ آذَى جَارَهُ. فَيَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَحْذَرَ أَذَى جَارِهِ، وَيَنْتَهِيَ عَمَّا نَهَى اللَّهُ ورسوله عنه، ويرغب فيما رضياه حضا الْعِبَادَ عَلَيْهِ. (٥) ، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ،)(٦)

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ -رحمه الله- : مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ مَنِ الْتَزَمَ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ لَزِمَهُ إِكْرَامُ جَارِهِ وَضَيْفِهِ وَبِرّهِمَا وَكُلُّ ذَلِكَ تَعْرِيفٌ بِحَقِّ الْجَارِ وَحَثٌّ عَلَى حِفْظِهِ. (٧)

وقال الصنعاني -رحمه الله- : الْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى عِظَمِ حَقِّ الْجَارِ، وَأَنَّ مَنْ آذَى الْجَارَ فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَهَذَا وَإِنْ كَانَ يَلْزَمُهُ مِنْهُ كُفْرُ مَنْ آذَى جَارَهُ إِلَّا أَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى الْمُبَالَغَةِ لِأَنَّ مِنْ حَقِّ الْإِيمَانِ ذَلِكَ فَلَا يَنْبَغِي لِمُؤْمِنٍ الِاتِّصَافُ بِهِ، وَقَدْ عُدَّ أَذَى الْجَارِ مِنْ الْكَبَائِرِ فَالْمُرَادُ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ إِيمَانًا كَامِلًا. (٨)

---

(١) فيض القدير للمناوي
(٢) احياء علوم الدين
(٣) صحيح البخاري
(٤) صحيح البخاري
(٥) تفسير القرطبي
(٦) صحيح البخاري
(٧) شرح النووي على مسلم
(٨) سبل السلام (٢/ ٢٠٤)

إيذاء الجار سبب اللعنة : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي جَارًا يُؤْذِينِي، فَقَالَ: (انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَتَاعَكَ إِلَى الطَّرِيقِ) ، فَانْطَلَقَ فَأَخْرَجَ مَتَاعَهُ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَقَالُوا: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: لِي جَارٌ يُؤْذِينِي، فَذَكَرْتُ لِلنَّبِيِّ -ﷺ-، فَقَالَ: (انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَتَاعَكَ إِلَى الطَّرِيقِ) ، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ الْعَنْهُ، اللَّهُمَّ أَخْزِهِ. فَبَلَغَهُ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى مَنْزِلِكَ، فَوَاللَّهِ لَا أُؤْذِيكَ. (١)

وفي لفظٍ : فَجَعَلَ كُلُّ مَنْ مَرَّ بِهِ يَلْعَنُهُ، فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ -ﷺ- فَقَالَ: مَا لَقِيتُ مِنَ الناس؟ فقال" إِنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ فَوْقَ لَعْنَتِهِمْ". ثُمَّ قَالَ لِلَّذِي شَكَا: "كُفيت" أو نحوه.

الجار هو أول من سيخاصم صاحبه يوم القيامة: عن عقبة بن عامر عن النبي - ﷺ - قال: ((أول خصمين يوم القيامة جاران))(٢)، فاحذر أخي الحبيب من أذى الجار؛ حتى لا يشكوك إلى الله يوم القيامة.

عدم دخول الجنة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- قَالَ: (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ)(٣) ، وعن أبي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ -ﷺ-: إِنَّ فُلَانَةَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ، وَتَفْعَلُ، وَتَصَدَّقُ، وَتُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: ((لَا خَيْرَ فِيهَا هِيَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ)) قِيلَ: وَفُلَانَةُ تُصَلِّي الْمَكْتُوبَةَ، وَتَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ وَلَا تُؤْذِي أَحَدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: ((هِيَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ)) (٤) ، (أتوار : جمع تور بالمثناة : إناء من صفر وأثوار بالمثلثة وهو الصواب جمع ثور : وهي قطعة من الأقط وهو لبن جامد مستحجر)

ومن صور إيذاء الجار

حسده وتمني زوال النعمة عنه، أو السخرية به واحتقاره، أو إشاعة أخباره وأسراره بين الناس أو الكذب عليه وتنفير الناس منه، أو تتبّع عثراته والفرح بزلاته، أو مضايقته في المسكن أو موقف السيارة، أو إلقاء الأذى عند بابه، أو التطلّع إلى عوراته ومحارمه، أو إزعاجه بالصراخ والأصوات المنكرة، أو إيذائه في أبنائه، و الوقوع في عرضه من سَبٍّ، أو لعْن، أو شتم، أو غيبة، أو نميمة.

سوء الظن به والتجسس عليه: وقد نهى الله - تعالى - عن ذلك، فقال - سبحانه وتعالى -: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ) [الحجرات: ١٢].

تشغيل المِذياع أو التلفاز بصوت عالٍ: وهذا مما يؤذي الجار، فلا يستطيع المُتعَب أن يرتاح، ولا المريض أن يهنأ بمنام، ولا الطالب أن يستذكر دروسه، فرفع الصوت مخالف لتعاليم الإسلام.

أن يغلق بابه دون جاره، ويمنعه فضله: أن يزرع شجرة أو نخلة بجوار جداره، ثم يسقيها بالماء،

(١) صحيح الأدب المفرد (٢) صحيح الترغيب والترهيب (٣) صحيح مسلم (٤) السلسلة الصحيحة

فيتضرَّر الجدار بذلك، أو أن يبني جدارًا - دون إذنه - يحجب عنه الشمس، ويمنع عنه الهواء.

، أن يفرح وجاره مهموم: فهناك من يقيم الأفراح والليالي الملاح، والبيت الذي بجواره مات فيه إنسان، نشر الملابس دون عصرها، فيتساقط الماء على ملابس الجار الذي يسكن تحته.

أو إلقاء القمامة والكناسة حول داره وأمام بابه، أو التضييق عليه عند الدخول أو الخروج، أو الدق في وقت الليل، أو عدم نُصرته إذا كان مظلومًا، أو عدم إغاثته إذا كان ملهوفًا، أو إفشاء سره، وغير ذلك من صور الإيذاء، ينبغي أن يكون لسان حالك:

أَقولُ لجاري إذ أتاني مُعاتبًا ** مُدِلاّ بحقٍ أو مُدِلاّ ببـاطلِ
إذا لم يَصلْ خيري وأنت مُجاورٌ ** إليكَ فما شرّي إليك بواصِلِ

كيفية التعامل مع بعض الجيران: إذا كان الجار صاحب كبيرة، فلا يخلو: إما أن يكون متستِّرًا بها، ويغلق بابه عليه، فليعرض عنه ويتغافل عنه، وإن أمكن أن ينصحه في السر ويعظه، فحسَنٌ.

وإن كان متظاهرًا بفِسقه؛ فتَهجره هجرًا جميلاً، وإن كان تاركًا للصلاة في كثير من الأوقات، فمُره بالمعروف، وانْهَه عن المنكر مرة بعد مرة، وإلا فاهجره في الله.

وإن رأيته متمردًا عاتيًا بعيدًا عن الخير، فأعرِض عنه واجتهد أن تتحول من جواره، فقد تقدَّم أن النبي - ﷺ - تعوذ من جار السوء في دار الإقامة، وإن كان جارك دَيُّوثًا، أو قليل الغَيرة، أو حريمه على غير الطريق المستقيم؛ فتحوَّل عنه، أو فاجتهد ألا يُؤذوا زوجتك؛ فإن في ذلك فسادًا كثيرًا.

وخَف على نفسك المسكينة، ولا تدخل منزله، واقطع الود بكل ممكن.

وإن كان جارك رافضيًّا أو صاحب بدعة كبيرة، فإن قدرتَ على تعليمه وهدايته، فاجتهد، وإن عجزت، فانجمع عنه ولا تواده ولا تصافه، ولا تكن له مصادقًا ولا معاشرًا، والتحول عنه أَوْلى.

وإن كان جارك يهوديًّا أو نصرانيًّا في الدار أو السوق أو البستان، فجاوره بالمعروف ولا تؤذه.

"فيجوز زيارته في مرضه فإن انضاف إلى جواره كونه من قرابتك أو ذا رحمك، فهذا حقه آكَدُ.

وكذا إن كان أحد أبويك ذميًّا، فإن للأبوين وللرحم حقًّا فوق حقوق الجوار، فأعط كل ذي حق حقَّه.

فعلينا ان نراعي حق جيراننا التزاما بما امر به ربنا سبحانه وتعالى ونبينا ﷺ .

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

فضل الأضحية وأحكامها

الحمد لله المؤمِّن لكل من ارتاع وخاف، اللطيف في بلائه ولو كان من العبد إسراف، القريب المحب لمن دعاه بإلحاح وإلحاف، نحمده تبارك وتعالى ونسـأله النجاة مما نخشـى ونخاف، ونعوذ بنور وجهه الكريم من الجدل والإسفاف، ونرجوه الصلاح والاستقامة دون مواربة أو التفاف، وأن يُجنِّبنا بفضله الفساد والإتلاف.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة حق وإنصاف، شهادة شهدت بها شخوصنا وظلالنا والأعضاء منا والأطراف، شهادة أقرت بها الطيور، والأسماك في البحور، وكذا اللآلئ والأصداف، هي نشيد الموجودات، ومن أجلها قامت السماوات، والإقرار بها كافٍ وشاف.

وأشـهد أن سـيدنا محمدًا عبده ورسـوله، المتحقِّق بكمال الأوصـاف، عفيف اللسـان، فائق الحنان، سـريع الانعطاف، سـامق القمم، متعدد الهمم، موطأ الأكناف، عظيم خُلقه، وحْيٌ نطقه، جعل رزقه تحت ظل الرمح والأسـياف، وطيء الفراش، بسـيط اللباس، عيشـه الكفاف، مركبه البعير، سـريره الحصير، يلبس النعل والخفاف.

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الأشراف، فوق ما خطه قلم مادح أو أضاف، وكلما سعى عبد إلى البيت أو طاف، وطالما كان في الكون أضواء وأطياف .

العناصر

أولاً: فضل الأضحية والدليل على مشروعيتها ثانيًا: الواجب على المُضَحِّي

ثالثًا: شروطها رابعًا: أحكام أخرى

الموضوع

الأضحية: هي ما يذبح يوم عيد الأضحى من بهيمة الأنعام تقرّبا إلى الله تعالى، قال النّووي رحمه الله : قيل أنها سمّيت بذلك لأنّها تُفعل في الضّحى، وهو ارتفاع النّهار [١]

أولاً: فضل الأضحية والدليل على مشروعيتها

اتباع أمر الله وسنة النبي ﷺ: قال تعالى:" فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ " سورة الكوثر. وقال تعالى" قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" سورة الأنعام

---

(١)المجموع " (٣٨٢/٨)

وعَنْ أَنَسٍ قَالَ ضَحَّى النَّبِيُّ -ﷺ- بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ وَسَمَّى وَكَبَّرَ وَوَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى صِفَاحِهِمَا. ومعنى املح أي لونه أبيض ويخالط بياضه حمرة، والصفاح هو جانب الاضحية.

سنة عن سيدنا إبراهيم عليه السلام: قال تعالى" فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إنا كذلك نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ" الصافات ، لما امر الله تعالى نبيه إبراهيم بذبح ولده إسماعيل واستسلما لأمر الله وقاما بتنفيذ امر الله تعالى جاء الفرج من الله بفداء سيدنا إسماعيل بكبش كبير كان يرعى في الجنة ذبحه سيدنا إبراهيم بأمر الله فداءًا لولده إسماعيل ومن هنا أصبحت سنة عن الخليل عليه السلام.

أفضل الحج: عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ: أَيُّ الْحَجِّ أَفْضَلُ ؟ قَالَ: ((الْعَجُّ وَالثَّجُّ)) [١]، والعج يعني رفع الصوت بالتلبية ،والثّجّ هو: إراقة الدمّ.

الحِكَم العظيمة من مشروعيّتها، من ذلك:

أ) التقرّب إلى الله بالذّبح من بهيمة الأنعام.

ب) التصدّق على الفقراء والمحتاجين.

ت) التودّد إلى الأصدقاء بالهديّة من لحوم الأضاحي.

ث) الأكل منها والتّوسعة على النّفس والعيال، قال تعالى:{ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ }.

وعَنْ نُبَيْشَةَ الْهُذَلِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: ((أَيَّامُ التَّشْرِيقِ: أَيَّامُ أَكْلٍ، وَشُرْبٍ، وَذِكْرٍ لله تعالى)) [٢].

ج) إظهار شعائر الله تعالى من صلاة، وتضحية، وإعلاء كلمة الله تعالى بها.

خ) التشبّه بالحجّاج، والشّوق إلى ما هم فيه من الخير العميم، والأجر العظيم، وقد سنّ الله لنا أن نكبّر كما يكبّرون، فقال:" وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ".

الأدلة على مشروعيتها: قال تعالى "فصلِّ لربك وانحر" فقد فسرها ابن عباس رضي الله عنه بقوله: والنحر: النسك والذبح يوم الأضحى، وعليه جمهور المفسرين كما حكاه ابن الجوزي [٣]

وعَنْ أَنَسٍ قَالَ " ضَحَّى النَّبِيُّ -ﷺ- بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ وَسَمَّى وَكَبَّرَ وَوَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى صِفَاحِهِمَا" [٤]. ومعنى الصفاح : جمع صفحة وهي الجانب

واجمع العلماء على مشروعية الأضحية.

---

(١) صحيح سنن ابن ماجة (٢) صحيح مسلم (٣) زاد المسير (٢٤٩/٩) (٤) متفق عليه

حكمها: سنة مؤكدة، وقيل واجب على الموسر.

ثانياً: الواجب على المُضَحِّي

الإخلاص: ، فلا يُضحّي لأجل التّباهي أمام النّاس، ولا لأجل الأولاد، فمن العيب أن يقول المضحّي: اللهمّ هذا منك ولك، وهو غير مخلص في قوله ذلك، والله تعالى يقول" وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ" سورة البينة ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِى غَيْرِى تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ » [١].

فلابد أن تكون النية خالصة لوجه الله وحده.

أن يعلم أن الله لن يناله شيء من اللحم ولا الدم وإنما التقوى من عبده فحسب : كما قال تعالى " لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ" سورة الحج

ترك شعره وأظفاره إذا أهلَّ هلال شهر ذي الحجة: من أراد التّضحية ودخل عليه هلال ذي الحِجَّة فعليه ألا يقلع شيئاً من أظفاره، أو يحلق شيئاً من شعره [شعر رأسه أو إبطِه أو عانته أو جسده]، فعن أمّ سلمة أنّ النبيّ ﷺ قال: ((مَنْ كَانَ لَهُ ذِبْحٌ يَذْبَحُهُ، فَإِذَا أُهِلَّ هِلَالُ ذِي الْحِجَّةِ فَلَا يَأْخُذَنَّ مِنْ شَعْرِهِ وَلَا مِنْ أَظْفَارِهِ شَيْئًا حَتَّى يُضَحِّيَ)) [٢]، ومن تعمد الأخذ من شعره وأظفاره فهو آثم، وعليه التوبة والاستغفار، ويضحي وليس عليه كفارة، كمن تعمد فعل محرم فإن أصل العبادة لا يبطل ويلزمه التوبة، ومن نسي فأخذ من شعره أو أظفاره فلا شيء عليه ويضحي ولا حرج؛ لعموم رفع الحرج عن الناسي، وأهل البيت لا يلزمهم ذلك

اختيار الأسمن والأفضل: كما بينا سابقا أن النبي ﷺ ضحى بكبشين أملحين أقرنين، وكان الصحابة يختارون أسمن الأضحية وأفضلها لأنه يتقرب بها إلى الله تعالى، وهذا من تعظيم شعائر الله تعالى كما قال سبحانه" ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ " سورة الحج

أن يتولى الذبح بنفسه إن استطاع وإلا وكَّل غيره لذبح الأضحية وأن يسمي ويكبر عند الذبح

ثالثاً: شروطها:

القدرة: بأن يكون صاحبها قادراً على ثمنها ويجوز أن يقترض ليضحي إن كان قادرا على سداد الدين فيما بعد.

أن تكون من بهيمة الأنعام وهي الإبل والبقر والمعز والضأن، وعلى هذا فلا يجوز أن يضحي بغير

---

(١) صحيح مسلم

(٢) صحيح مسلم

ذلك من الدجاج والخيل والضباء وغيرها من الحيوانات.

أن تكون خالية من العيوب: فعن البراء قال: قال رسول الله ﷺ: "أربع لا تجوز في الأضاحي: العوراء البيّن عَوَرها، والمريضة البين مَرَضها، والعرجاء البين ظَلَعها ، والكسيرة التي لا تُنقِي" [١]، ومن هذا الحديث اتفق العلماء على العيوب التالية:

أ- **العور البين:** وهو الذي تنخسف به العين، أو تبرز حتى تكون كالزر، أو تبيض ابيضاضاً يدل دلالة بينة على عورها، ومن باب أولى العمياء لا تصح أن يضحى بها.

ب- **المرض البين:** وهو الذي تظهر أعراضه على البهيمة، كالحمى التي تقعدها عن المرعى وتمنع شهيتها، والجرب الظاهر المفسد للحمها أو المؤثر في صحته، والجرح العميق المؤثر عليها في صحتها ونحوه.

ج- **العرج البين:** وهو الذي يمنع البهيمة من مسايرة السليمة في ممشاها، وكذلك مكسورة اليد أو الرِّجل.

د- **الكسيرة التي لا تنقى:** هي الشاة الهزيلة التي لا مخ في عظمها المجوف، مثل عظم الساق والعضد والفخذ، فإن الشاة إذا أكلت وقويت فإنه يتولد في عظمها المجوف نخاع، فالتي لا تنقي هي التي من شدة ضعفها ونحافتها لا يوجد مخ في عظمها المجوف، فهذه لا تجزئ، وهذا يعرفه أهل الخبرة، وعلامة ذلك بأن الشاة لا يوجد عندها رغبة في الأكل.

فهذه العيوب السابقة لا يجوز ان توجد في الأضحية وإلا كانت غير مقبولة عند الله تعالى.

وهناك عيوب أخرى تكره في الأضحية لكنها لا تمنع من كون الأضحية صحيحة كمن بها عيب في الأذن أو مكسورة القرن وغيرها.

وعلى المسلم أن يأتي بأفضل الأضاحي لأنه يتقرب بها إلى الله والصحابة رضوان الله عليهم كانوا يختارون أحسنها وأسمنها فعن أبي أمامة بن سهل قال" كنا نسمن الأضحية بالمدينة وكان المسلمون يسمنون" [٢]

مراعاة السن المعتبر : فعَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (لا تَذْبَحُوا إلا مُسِنَّةً إلا أَنْ يَعْسُرَ عَلَيْكُمْ فَتَذْبَحُوا جَذَعَةً مِنْ الضَّأْنِ) [٣]

قال النووي في "شرح مسلم" : " قَالَ الْعُلَمَاء : الْمُسِنَّة هِيَ الثَّنِيَّة مِنْ كُلّ شَيْء مِنْ الإِبِل وَالْبَقَر وَالْغَنَم فَمَا فَوْقهَا، وَهَذَا تَصْرِيح بِأَنَّهُ لا يَجُوز الْجَذَع مِنْ غَيْر الضَّأْن فِي حَال مِنْ الأَحْوَال " ، وقال

(١) صحيح الجامع (٢) صحيح البخاري (٣) صحيح مسلم

الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في " أحكام الأضحية" : " فالثني من الإبل : ما تم له خمس سنين ، والثني من البقر : ما تم له سنتان . والثني من الغنم : ما تم له سنة ، والجذع : ما تم له نصف سنة ، فلا تصح التضحية بما دون الثني من الإبل والبقر والمعز ، ولا بما دون الجذع من الضأن " .

أن تكون في الوقت المحدد شرعا: والوقت المحدد للذبح هو بعد صلاة عيد الأضحى ويمتد الوقت الى غروب شمس رابع يوم العيد وهو نهاية أيام التشريق الثلاثة كما قال النبي ﷺ " كل أيام التشريق ذبح " [١] ، ومن يذبح في غير هذا الوقت فلا تكون أضحية وإنما صدقة عادية لا يأخذ عليه أجر الأضحية وإنما أجر الصدقة فحسب، فعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « إِنَّ أَوَّلَ مَا نَبْدَأُ بِهِ فِى يَوْمِنَا هَذَا نُصَلِّى ثُمَّ نَرْجِعُ فَنَنْحَرُ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ أَصَابَ سُنَّتَنَا وَمَنْ ذَبَحَ فَإِنَّمَا هُوَ لَحْمٌ قَدَّمَهُ لأَهْلِهِ لَيْسَ مِنَ النُّسُكِ فِى شَىْءٍ ». وَكَانَ أَبُو بُرْدَةَ بْنُ نِيَارٍ قَدْ ذَبَحَ فَقَالَ عِنْدِى جَذَعَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُسِنَّةٍ فَقَالَ « اذْبَحْهَا وَلَنْ تَجْزِىَ عَنْ أَحَدٍ بَعْدَكَ » [٢].

رابعاً: أحكام أخرى

عدد المشتركين في الأضحية: إن كانت الأضحية من الإبل أو البقر فيجوز أن يشترك فيها سبعة فهي تقسم إلى سبعة أسهم لكل واحد سهم واحد فقط ، فإن أخذ أحدهم سهمين فلا يبقى إلا خمسة أسهم لخمسة أشخاص وهكذا ، وأما إن كانت من المعز أو الضأن فهي لواحد فقط لا يشترك فيها معه أحدن،فعَنْ جَابِرٍ قَالَ "خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- مُهِلِّينَ بِالْحَجِّ فَأَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- أَنْ نَشْتَرِكَ فِى الإِبِلِ وَالْبَقَرِ كُلُّ سَبْعَةٍ مِنَّا فِى بَدَنَةٍ" [٣]، ويجوز أن يشترك فيها من يريد الأضحية ومن يريد اللحم وغير ذلك ، والأضحية تكون للشخص وآل بيته.

أفضل الأضاحي: اختلف العلماء في أفضل الأضاحي من حيث النوع، والراجح أن: أفضل الأضاحي البدنة، ثم البقرة، ثم الشاة، ثم شرك في بدنة ـ ناقة أو بقرة فعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ....." [٤]

كيفية الذبح: عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- أَمَرَ بِكَبْشٍ أَقْرَنَ يَطَأُ فِى سَوَادٍ وَيَبْرُكُ فِى سَوَادٍ وَيَنْظُرُ فِى سَوَادٍ فَأُتِىَ بِهِ لِيُضَحِّىَ بِهِ فَقَالَ لَهَا « يَا عَائِشَةُ هَلُمِّى الْمُدْيَةَ »، ثُمَّ قَالَ « اشْحَذِيهَا بِحَجَرٍ ». فَفَعَلَتْ ثُمَّ أَخَذَهَا وَأَخَذَ الْكَبْشَ فَأَضْجَعَهُ ثُمَّ ذَبَحَهُ ثُمَّ قَالَ « بِاسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنْ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ

---

(١) السلسلة الصحيحة (٢) صحيح مسلم (٣) صحيح مسلم (٤) صحيح البخاري

وَمِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ». ثُمَّ ضَحَّى بِهِ.

سن أن يذبحها بيده، فإن كانت من البقر أو الغنم أضجعها على جنبها الأيسر، موجهة إلى القبلة، ويضع رجله على صفحة العنق، ويقول عند الذبح: بسم الله والله أكبر، اللهم هذا منك ولك، اللهم هذا عني (أو اللهم تقبل مني) وعن أهل بيتي.

وعليه أن يسن السكين ويسرع الذبح رحمة بالحيوان فعن أَبي يعلى شَدَّاد بن أوسٍ - ﷺ - ، عن رسول الله - ﷺ - ، قَالَ : ((إنَّ الله كَتَبَ الإحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإذَا قَتَلْتُم فَأحْسِنُوا القِتْلَة ، وَإذَا ذَبَحْتُمْ فَأحْسِنُوا الذِّبْحَةَ ، وَليُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَه ، وَلْيُرِح ذَبِيحَتَهُ)) (١)

التقسيم: جاء في ذلك عدة أقوال، منها: - ورد عن ابن عباس "يأكل هو الثلث، ويطعم من أراد الثلث، ويتصدق على المساكين بالثلث "، - وقيل: يأكل النصف ويتصدق بالنصف.

- والراجح أن يأكل ويهدي ويتصدق ويفعل ما يشاء، وكلما تصدق أكثر فهو أفضل.

بيع جلد الأضحية: لا يجوز للمضحي أن يبيع جلد أضحيته؛ لأنها بالذبح تعينت لله بجميع أجزائها، وما تعيّن لله لم يجز أخذ العوض عنه، ولهذا لا يعطى الجزار منها شيئا على سبيل الأجرة ، وإنما يتصدق به لهيئة الأوقاف مثلاً كما حدث بأن جمعت الجلود واشترت بها عدد من سيارات الإسعاف أو يتصدق بثمنه كما يحب، فعَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَقُومَ عَلَى بُدْنِهِ، وَأَنْ أَتَصَدَّقَ بِلَحْمِهَا وَجُلُودِهَا وَأَجِلَّتِهَا، وَأَنْ لَا أُعْطِيَ الْجَزَّارَ مِنْهَا. قَالَ: نَحْنُ نُعْطِيهِ مِنْ عِنْدِنَا" (٢).

وقال الشوكاني رحمه الله في ": "اتفقوا على أن لحمها لا يباع فكذا الجلود. وأجازه الأوزاعي وأحمد وإسحاق وأبو ثور، وهو وجه عند الشافعية قالوا: ويصرف ثمنه مصرف الأضحية (٣).

شراء لحوم والتصدق بها: لا يجوز ان يشتري لحوم ويتصدق بدلا من الأضحية أو التصدق بثمنها لا يجوز لأن الأضحية لا تكون قربة لله إلا بذبحها.

من لم يستطع الأُضحية لفقر أو عجز: فلا يحزن، لأنّ النبيّ ﷺ ضحّى عمّن لم يضحّ من أمّته ممّن شهد لله تعالى بالتّوحيد، ولنبيّه ﷺ بالتّبليغ.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) صحيح مسلم (٢) صحيح مسلم (٣) نيل الأوطار" (١٥٣/٥)

علو الهمة

الحمد لله الذي وصف المؤمنين بعمل الصالحات، وأمرهم باستباق الخيرات، والمسارعة إلى مغفرة منه وجنة عرضها الأرض والسماوات، أحمده سبحانه، يهدي من استهداه، ويجيب من دعاه، ويوفق لفعل الخير من تحراه، ويضاعف المثوبة لمن فعله يبتغي رضاه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب العالمين، وإله المؤمنين، هو الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين، وما يفعلوا من خير فلن يكفروه، والله عليم بالمتقين.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين وسيد المرسلين، المخصوص بالقرآن المبين، المعجزة الباهرة المستمرة على تكرر السنين، صاحب الشفاعة العظمى ولواء الحمد والمقام المحمود، يوم يقوم الناس لرب العالمين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأزواجه وأصحابه الطيبين الطاهرين؛ الذين كانوا يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون.

العناصر

أولاً: تعريف علو الهمة
ثانياً: فضل علو الهمة
ثالثاً: درجات علو الهمة
رابعاً: نماذج من علو الهمة
خامساً: كيفية الارتقاء بالهمم
سادساً: أسباب انحطاطها وضعفها

الموضوع

أولا: تعريف علو الهمة:

معنى العلو لغةً : العلوُّ مصدر من علا الشيءُ عُلُوًّا فهو عَليٌّ وعَلِيَ وتَعَلَّى، ويقال: عَلا فلانٌ الجبل إذا رَقِيَه وعَلا فلان فلانًا إذا قَهَره، والعَليُّ الرَّفيعُ، وتَعالَى تَرَفَّع، وأصل هذه المادة يدلُّ على السموِّ والارتفاع

معنى الهمَّة لغةً : الهِمَّةُ :ما هَمَّ به من أمر ليفعله، تقول: إنه لعظيمُ الهَمِّ، وإنه لَصغيرُ الهِمَّة، وإنه لَبَعيدُ الهِمَّةِ والهَمَّةِ بالفتح

وقال ابن القيم في تعريف الهمة: والهمة فعلة من الهمّ، وهو مبدأ الإرادة، ولكن خصوها بنهاية الإرادة، فالهمُّ مبدؤها، والهمَّة نهايتها

معنى علو الهمَّة اصـــطلاحًا : هي: توجه القلب وقصـــده بجميع قواه الروحانية إلى جانب الحق؛ لحصول الكمال له أو لغيره، وقال المناوي: عظم الهمة عدم المبالاة بسعادة الدنيا وشقاوتها

وأما علو الهمة فهو: استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور، وطلب المراتب السامية.

وقال الراغب الأصـــفهاني: والكبير الهمة على الإطلاق: هو من لا يرضـــى بالهمم الحيوانية قدر وسعه، فلا يصير عبد رعاية بطنه، وفرجه، بل يجتهد أن يتخصص بمكارم الشريعة.

الفرق بين الهمَّة والهمّ

الهمَّة: اتســاع الهم وبعد موقعه، ولهذا يمدح بها الإنســان، فيقال :فلان ذو همة وذو عزيمة. وأما قولهم: فلان بعيد الهمة وكبير العزيمة، فلأنَّ بعض الهمم يكون أبعد من بعض وأكبر من بعض، والهمُّ: هو الفكر في إزالة المكروه، واجتلاب المحبوب، ومنه يقال: أهمُّ بحاجتي

ثانيا: فضل علـــو الهمـة:

الأمر بالمســارعة: قال تعالى :وَسَــارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُــهَا السَّــمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (آل عمران: ١٣٣).

وقال تعالى (فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون)

وقال تعالى (سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) الحديد

وقال تعالى (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) الأنبياء

وعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها) [١]

اثني الله تعالى على أصحاب الهمم العالية: قال تعالى(:فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ)الأحقاف

فهذه الآية فيها ثناء على أصــحاب الهمم العالية، وفي طليعتهم الأنبياء والمرســلون وفي مقدمتهم أولو العزم من الرســل، وعلى رأســهم خاتمهم محمد ﷺ... وقد تجلت همتهم العالية في مثابرتهم، وجهادهم، ودعوتهم إلى الله عزَّ وجلَّ، كما أوضــحه الله عزَّ وجلَّ في قصــص الأنبياء: كنوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

الرجال حقا هم أصحاب الهمم العالية : قال تعالى: (فيه رجال يحبون أن يطهروا والله يحب المطهرين)

---

(١) صحيح الادب المفرد

وقال تعالى (:مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا)الأحزاب ن فوصف الله سبحانه وتعالى المؤمنين بوصف الرجال، الذين هم أصحاب الهمم العالية، فصدقوا ما عاهدوا الله عليه، و(وفوا به، وأتموه، وأكملوه، فبذلوا مهجهم في مرضاته، وسبلوا أنفسهم في طاعته .فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ أي: إرادته ومطلوبه، وما عليه من الحقّ، فقتل في سبيل الله، أو مات مؤديًا لحقه، لم ينقصه شيئًا .وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ تكميل ما عليه، فهو شارع في قضاء ما عليه، ووفاء نحبه ولما يكمله، وهو في رجاء تكميله، ساع في ذلك، مجدٌّ

وقال سبحانه(رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ) النور ٣٧

فهؤلاء الرجال هم أصحاب الهمم العالية، (ليسوا ممن يؤثر على ربه دنيا ذات لذات، ولا تجارة ومكاسب، مشغلة عنه، لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وهذا يشمل كلَّ تكسب يقصد به العوض، فيكون قوله :وَلَا بَيْعٌ من باب عطف الخاص على العام، لكثرة الاشتغال بالبيع على غيره، فهؤلاء الرجال، وإن اتجروا، وباعوا، واشتروا، فإن ذلك، لا محذور فيه. لكنه لا تلهيهم تلك، بأن يقدموها ويؤثروها على ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ بل جعلوا طاعة الله وعبادته غاية مرادهم، ونهاية مقصدهم، فما حال بينهم وبينها رفضوه، وقال تعالى (فيه رجال يحبون أن يطهروا والله يحب المطهرين).

فضل الله المجاهدين أصحاب الهمم العالية، على القاعدين المُؤثِرين للراحة والدَّعَة: قال تعالى:(لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً) النساء.

وقال تعالى:(لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى)الحديد

الحض على معالي الأمور: عن حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ ﷺ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي؛ ثُمَّ قَالَ: يَا حَكِيمُ إِنَّ هذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ، الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى (قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لاَ أَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ، يَدْعُو حَكِيمًا إِلَى الْعَطَاءِ، فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُ ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ ﷺ دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي أُشْهِدُكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حَكِيمٍ، أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ

حَقَّهُ مِنْ هذَا الْفَيْءِ فَيَأْبَى أَنْ يَأْخُذَهُ) [١] ، قال ابن بطال: (فيه ندب إلى التعفف عن المسألة، وحض على معالي الأمور، وترك دنيئها، والله يحب معالي الأمور).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ:(سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ) [٢]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا)؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا. قَالَ: (فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً)؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا .قَالَ: (فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا)؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا. قَالَ: (فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا)؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ) [٣]

الترغيب في اعلي الدرجات: فعن أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَفِّ الأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلاَّ أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاَسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لاَسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا) [٤]

وعن عبد اللهِ بن عمرو بن العاص ﷺ، عن النبيِّ -ﷺ -، قَالَ:)يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا) [٥]

همَّة المؤمن قد تكون أبلغ من عمله: عن ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيما يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: (قَالَ إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً) [٦]

وعن سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ-قَالَ (مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ) [٧]

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ رَجُلٍ عِنْدَهُ رِضًا أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ (مَا مِنْ امْرِئٍ تَكُونُ لَهُ صَلَاةٌ بِلَيْلٍ يَغْلِبُهُ عَلَيْهَا نَوْمٌ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَجْرَ صَلَاتِهِ وَكَانَ نَوْمُهُ

---

(١) صحيح البخاري
(٢) صحيح البخاري
(٣) صحيح مسلم
(٤) متفق عليه
(٥) صحيح سنن الترمذي "حسن"
(٦) صحيح البخاري
(٧) صحيح مسلم

عَلَيْهِ صَدَقَةً) [١]

قد يتفوق المؤمن بهمته العالية : عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:(سبق درهم مائة ألف قالوا: يا رسول الله كيف يسبق درهم مائة ألف؟ قال: رجل له درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به وآخر له مال كثير فأخذ من عرضها مائة ألف) [٢]

محبة الله لمعالي الأمور: عن الحسين بن علي قال قال رسول الله ﷺ لأصحابه: (إن الله تعالى يحب معالي الأمور، ويكره سفاسفها) [٣]

سؤال الله بمعالي الأمور : عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة جاهد في سهل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها). قالوا: أفلا نبشر الناس؟ قال: (إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة) [٤]

ذم ساقطي الهمة وتصويرهم في أبشع صورة: قال تعالى: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) الأعراف.

ويقول ابن القيّم في دنيءِ الهمَّةِ :عياذاً باللهِ ممن دنتْ همَّتُهُ وقصر في العلم والدين باعه! وطال في الجهل وآذى عبادك ذراعه! فهو لجهله يرى الإحسان إساءة! والسنة بدعة! والعرف نكرا! ولظلمه يجزى بالحسنة سيئة كاملة وبالسيئة الواحدة عشرا قد اتخذ بطر الحق وغمط الناس سلما إلى ما يحبه من الباطل! ويرضاه ولا يعرف من المعروف ولا ينكر من المنكر! الا ما وافق إرادته أو حالف هواه يستطيل على اولياء الرسول وحزبه بأصغريه! ويجالس اهل الغي والجهالة ويزاحمهم بركبتيه قد ارتوى من ماء آجن ونضلع واستشرف إلى مراتب ورثة الانبياء وتطلع يركض في ميدان جهله مع الجاهلين ويبرز عليهم في الجهالة فيظن انه من السابقين وهو عند الله ورسوله والمؤمنين عن تلك الوراثة النبوية بمعزل وإذا انزل الورثة منازلهم منها فمنزلته منها أقصى وابعد منزل.....

وفي الجهلِ قبلَ الموتِ موتٌ لأهلِهِ ** وأجسامُهُمْ قبلَ القبورِ قبورُ

---

(١) صحيح سنن أي داود
(٢) صحيح الترغيب والترهيب "حسن"
(٣) السلسلة الصحيحة "حسن"
(٤) صحيح البخاري

وأرواحهُمْ في وجشــةٍ من جســومهمْ ** وليسَ لهمْ حتَّـــى النشورِ نشورُ

ثالثا: درجات علو الهمة

قَسَّم الهروي درجات علو الهمة على ثلاث:

الدرجة الأولى: همة تصـون القلب عن وحشــة الرغبة في الفاني، وتحمله على الرغبة في الباقي، وتصفيه من كدر التواني.

يقول ابن القيم: الفاني الدنيا وما عليها. أي: يزهد القلب فيها وفي أهلها. وســمى الرغبة فيها وحشة؛ لأنها وأهلها توحش قلوب الراغبين فيها، وقلوب الزاهدين فيها.

أما الراغبون فيها: فأرواحهم وقلوبهم في وحشـــة من أجســامهم. إذ فاتها ما خلقت له. فهي في وحشة لفواته.

وأما الزاهدون فيها: فإنهم يرونها موحشـــة لهم. لأنها تحول بينهم وبين مطلوبهم ومحبوبهم. ولا شـــيء أوحش عند القلب، مما يحول بينه وبين مطلوبه ومحبوبه .ولذلك كان من نازع الناس أموالهم، وطلبها منهم أوحش شيء إليهم وأبغضه.

وأيضًـــا: فالزاهدون فيها: إنما ينظرون إليها بالبصـــائر. والراغبون ينظرون إليها بالأبصـــار، فيستوحش الزاهد مما يأنس به الراغب. كما قيل:

وإذا أفـاق القلـب واندمـل (الهوى) ** رأت القلوب ولم تر الأبصـــار

وكذلك هذه الهمة تحمله على الرغبة في الباقي لذاته. وهو الحق سبحانه. والباقي بإبقائه: هو الدار الآخرة، وتصـفيه من كدر التواني. أي: تخلصـه وتمحصـه من أوسـاخ الفتور والتواني، الذي هو سبب الإضاعة والتفريط.

الدرجة الثانية: همة تورث أنفة من المبالاة بالعلل، والنزول على العمل، والثقة بالأمل يقول ابن القيم: (العلل هاهنا: هي علل الأعمال من رؤيتها، أو رؤية ثمراتها وإرادتها. ونحو ذلك. فإنها عندهم علل ، فصاحب هذه الهمة: يأنف على همته، وقلبه من أن يبالي بالعلل؛ فإنَّ همته فوق ذلك. فمبالاته بها، وفكرته فيها نزول من الهمة.

وعدم هذه المبالاة: إما لأنَّ العلل لم تحصـــل له؛ لأنَّ علوَّ همته حال بينه وبينها. فلا يبالي بما لم يحصل له؛ وإما لأنَّ همته وسعت مطلوبه، وعلوه يأتي على تلك العلل، ويستأصلها. فإنَّه إذا علَّق همته بما هو أعلى منها، تضمنتها الهمة العالية؛ فاندرج حكمها في حكم الهمة العالية، وهذا موضع

غريب عزيز جدًّا. وما أدري قصده الشيخ أو لا؟

وأما أنفته من النزول على العمل: فكلام يحتاج إلى تقييد وتبيين. وهو أن العالي الهمة مطلبه فوق مطلب العمال والعباد، وأعلى منه، فهو يأنف أن ينزل من سماء مطلبه العالي، إلى مجرد العمل والعبادة، دون السفر بالقلب إلى الله؛ ليحصل له ويفوز به؛ فإنَّه طالب لربه تعالى طلبًا تامًّا بكلِّ معنى واعتبار في عمله، وعبادته ومناجاته، ونومه ويقظته، وحركته وسكونه، وعزلته وخلطته، وسائر أحواله؛ فقد انصبغ قلبه بالتوجه إلى الله تعالى أيما صبغة، وهذا الأمر إنما يكون لأهل المحبة الصادقة؛ فهم لا يقنعون بمجرد رسوم الأعمال، ولا بالاقتصار على الطلب حال العمل فقط.

وأما أنفته من الثقة بالأمل: فإنَّ الثقة توجب الفتور والتواني، وصاحب هذه الهمة: ليس من أهل ذلك، كيف؟ وهو طائر لا سائر

الدرجة الثالثة: همة تتصاعد عن الأحوال والمعاملات. وتزري بالأعواض والدرجات. وتنحو عن النعوت نحو الذات.

يقول ابن القيم: (أي: هذه الهمة أعلى من أن يتعلق صاحبها بالأحوال التي هي آثار الأعمال والواردات، أو يتعلق بالمعاملات، وليس المراد تعطيلها. بل القيام بها مع عدم الالتفات إليها، والتعلُّق بها ووجه صعود هذه المهمة عن هذا: ما ذكره من قوله: تزري بالأعواض والدرجات، وتنحو عن النعوت نحو الذات، أي: صاحبها لا يقف عند عوض ولا درجة؛ فإنَّ ذلك نزول من همته، ومطلبه أعلى من ذلك؛ فإنَّ صاحب هذه الهمة قد قصر همته على المطلب الأعلى، الذي لا شيء أعلى منه، والأعواض والدرجات دونه، وهو يعلم أنَّه إذا حصل له فهناك كل عوض ودرجة عالية، وأما نحوها نحو الذات، فيريد به :أنَّ صاحبها لا يقتصر على شهود الأفعال والأسماء والصفات، بل الذات الجامعة لمتفرقات الأسماء والصفات والأفعال .

رابعا: نماذج من علو الهمة

النبي ﷺ: الرسول ﷺ هو الأسوة الحسنة، والقدوة الرائعة، في علو الهمة والشَّجَاعَة والإقدام، وقد ثبت أنه ﷺ كان إذا حمي الوطيس في الحرب ، كان أكثر الناس شجاعة، وأعظمهم إقدامًا، وأعلاهم همة

أ-قاد صلوات الله عليه بنفسه خلال عشر سنين سبعًا وعشرين غزوة: وكان يتمنى أن يقوم بنفسه كل البعوث التي بعثها والسرايا التي سيرها، ولكن أقعده عن ذلك أنه كان لا يجد ما يزود به جميع أصحابه للخروج معه في كل بعث، وكان أكثرهم لا تطيب نفسه أن يقعد ورسول الله قد خرج إلى الجهاد.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-(تَضَمَّنَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِى سَبِيلِهِ لاَ يُخْرِجُهُ إِلاَّ جِهَادًا فِى سَبِيلِى وَإِيمَانًا بِى وَتَصْدِيقًا بِرُسُلِى فَهُوَ عَلَىَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِى خَرَجَ مِنْهُ نَائِلاً مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ. وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ إِلاَّ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كُلِمَ لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ وَرِيحُهُ مِسْكٌ وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلاَ أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلاَفَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَبَدًا وَلَكِنْ لاَ أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ وَلاَ يَجِدُونَ سَعَةً وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّى وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّى أَغْزُو فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلُ ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ) [١].

ب-كان ﷺ القدوة في الهمة العالية في العبادة:

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفَطَّرَ رِجْلاَهُ قَالَتْ عَائِشَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ فَقَالَ (يَا عَائِشَةُ أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا). [٢] ، ,

عَنْ أَبِى وَائِلٍ قَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَأَطَالَ حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سَوْءٍ قَالَ قِيلَ وَمَا هَمَمْتَ بِهِ قَالَ هَمَمْتُ أَنْ أَجْلِسَ وَأَدَعَهُ) [٣]. وغير ذلك الكثير والكثير.

وعَنْ عُقْبَةَ ابن الحارث، قَالَ: صَلَّيْتُ وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ الْعَصْرَ، فَسَلَّمَ ثُمَّ قَامَ مُسْرِعًا فَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ إِلَى بَعْضِ حُجَرِ نِسَائِهِ، فَفَزِعَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَتِهِ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ فَرَأَى أَنَّهُمْ عَجِبُوا مِنْ سُرْعَتِهِ، فَقَالَ: (ذَكَرْتُ شَيْئًا مِنْ تِبْرٍ عِنْدَنَا فَكَرِهْتُ أَنْ يَحْبِسَنِي فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ)[٤]

الصحابة رضي الله عنهم: الصحابة رضي الله عنهم قد ضربوا لنا أروع الأمثلة في الهمة العالية، سواء كان في الجهاد في سبيل الله، والتضحية في سبيل هذا الدين، أو في طلب العلم، وغير ذلك، وكذا سار التابعون على منوالهم، وإليك بعضًا من النماذج التي تدل على علو همتهم .

أ-علو الهمة في طلب العلم :

أبو هريرة ﷺ : عن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ:(إِنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَاللهُ الْمَوْعِدُ إِنِّي كُنْتُ امْرَءًا مِسْكِينًا، أَلْزَمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى مِلْءِ بَطْنِي وَكَانَ الْمُهَاجِرونَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ وَكَانَتِ الأَنْصَارُ يَشْغَلُهُمُ الْقِيَامُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ فَشَهِدْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَقَالَ: مَنْ يَبْسُطْ رِدَاءَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي، ثُمَّ يَقْبِضْهُ فَلَنْ يَنْسَى شَيْئًا سَمِعَهُ مِنِّي فَبَسَطْتُ بُرْدَةً كَانَتْ عَلَيَّ فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا نَسِيتُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْهُ) [٥]

---

(١) صحيح مسلم
(٢) متفق عليه
(٣) متفق عليه
(٤) متفق عليه
(٥) متفق عليه

زيد بن ثابت: عن زيد بن ثابت قال (أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم له كلمات من كتاب يهود قال إني والله ما آمن يهود على كتابي قال فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له قال فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم) (١)

عبد الله بن عباس ﷺ: عن ابن عباس ﷺ قال: (لما قبض رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ فإنهم اليوم كثير، فقال: واعجبًا لك يا ابن عباس! أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ من فيهم؟ قال: فتركت ذاك وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله ﷺ، وإن كان يبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل فأتوسد ردائي على بابه يسفي الريح علي من التراب، فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله ﷺ ما جاء بك؟ هلا أرسلت إلى فآتيك؟ فأقول: لا، أنا أحقُّ أن آتيك، قال: فأسأله عن الحديث، فعاش هذا الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي يسألوني، فيقول: هذا الفتى كان أعقل مني) (٢)

عمر بن الخطاب: عنْ عُمَرَ قَالَ :كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنَ الأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَهْيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ) (٣)

ب-في الطاعات: وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -ﷺ-أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ الله -ﷺ-فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَى وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، فَقَالَ: (وَمَا ذَاكَ؟) قَالُوا :يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلَا نَتَصَدَّقُ، وَيُعْتِقُونَ وَلَا نُعْتِقُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ--: (أَفَلَا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ) قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: (تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمَدُونَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً). (٤) ، وعن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قال: أَمَرَنَا رَسُولُ الله -ﷺ-يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالًا عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: (مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟) قُلْتُ: مِثْلَهُ، قَالَ :وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ--: (مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟) قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: لَا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا) (٥) ،

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو -رضى الله عنهما -أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-قَالَ لَهُ (صُمْ يَوْمًا وَلَكَ أَجْرُ مَا بَقِىَ). قَالَ إِنِّى أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ (صُمْ يَوْمَيْنِ وَلَكَ أَجْرُ مَا بَقِىَ). قَالَ إِنِّى أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ (صُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ

---

(١) صحيح سنن الترمذي "حسن"
(٢) المستدرك على الصحيحين "تعليق الذهبي: صحيح"
(٣) صحيح البخاري
(٤) متفق عليه
(٥) صحيح سنن الترمذي "حسن"

وَلَكَ أَجْرُ مَا بَقِيَ). قَالَ إِنِّي أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ (صُمْ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ وَلَكَ أَجْرُ مَا بَقِيَ). قَالَ إِنِّي أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ (صُمْ أَفْضَلَ الصِّيَامِ عِنْدَ اللَّهِ صَوْمَ دَاوُدَ -عليه السلام-كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا) (١).

ج-في الجهاد: عن أنس -رضي الله عنه-، قَالَ: انْطَلَقَ رسولُ الله -ﷺ -وَأصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا المُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ، وَجَاءَ المُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسولُ اللهِ ﷺ:)لاَ يَقْدمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أكُونَ أنَا دُونَهُ). فَدَنَا المُشْرِكُونَ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ:)قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماوَاتُ وَالأرْضُ) قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بن الحُمَامِ الأنْصَارِيُّ -رضي الله عنه -: يَا رسولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّماوَاتُ وَالأرْضُ؟ قَالَ:)نَعَمْ) قَالَ: بَخٍ بَخٍ؟ فَقَالَ رسولُ الله -ﷺ -:)مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَولِكَ بَخٍ بَخٍ؟) قَالَ: لاَ وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ إِلاَّ رَجَاءَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ:)فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا) فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَييتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هذِهِ إِنَّهَا لَحَياةٌ طَوِيلَةٌ، فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ) (٢)

وكذلك كان الصحابة في كل المجالات رضي الله عنهم جميعا.

خامسا: كيفية الارتقاء بالهمة

إن علو الهمة يحتاج إلى جهد ومجاهدة وصبر ومصابرة، وتلمس الأسباب التي توصل إليه، وسلوك الطرق التي تؤدي إليه، وفيما يلي بعض أسباب علو الهمة:

العلم: العلم أحد أسباب علو الهمة، فهو يرشد من طلبه إلى مصالحه، ويدفعه إلى العمل، ويعرفه بآفات الطريق ومخاطره، ويورث صاحبه فقها بالأولويات ويعرفه بمراتب الأعمال. وكلما ازداد الإنسان من العلم النافع علت همته، وازداد عمله؛ ونماذج العلماء الصادقين الذين علت هممهم أكبر برهان على ذلك.

الدعاء: وهو سلاح المؤمن الذي يلجأ إليه إذا فترت الهمة وضعفت العزيمة، فعلى المسلم ألا يغفل هذا الباب فهو من أعظم الأسباب لتحصيل الهمة العالية، والعاجز من عجز عن الدعاء.

تذكر اليوم الآخر: فلا شك أن تذكر الموت، وفتنة القبر، وأهوال القيامة، يبعث في القلب الهمة ويوقظه من غفلته، وتبعثه من رقدته؛ وتدبر قوله عز وجل وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ آل عمران: ١٣٣، وكان ﷺ يذكر أصحابه بالجنة والنار، فالحث على العمل وبعث الهمم يكون بالتذكير باليوم الآخر والجنة والنار.

طبيعة الإنسان: من الناس من جبل على علو الهمة، فلا يرضى بالدون، ولا يقنع بالقليل، ولا يلتفت

---

(١) متفق عليه (٢) صحيح مسلم

إلى الصغائر ولهذا قيل: ذو الهمة إن حط فنفسه تأبى إلا علوًّا، كالشعلة في النار يصوبها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعًا، قال عمر بن عبد العزيز: إنَّ لي نفسًا تواقة؛ لم تزل تتوق إلى الإمارة، فلما نلتها تاقت إلى الخلافة، فلما نلتها تاقت إلى الجنة

أثر الوالدين، ودورهما في التربية الصحيحة: فأثر الوالدين في التربية عظيم، ودورهما في إعلاء همم الأولاد خطير وجسيم؛ فإذا كان الوالدان قدوة في الخير، وحرصا على تربية الأولاد، واجتهدا في تنشئتهم على كريم الخلال وحميد الخصال، مع تجنيبهم ما ينافي ذلك من مساوئ الأخلاق ومرذول الأعمال فإن لذلك أثرًا عظيمًا في نفوس الأولاد؛ لأن الأولاد سيشبون – بإذن الله – عاشقين للبطولة، محبين لمعالي الأمور، متصفين بمكارم الأخلاق، مبغضين لسفاسفها، نافرين عن مساوئ الأخلاق.

النشأة في مجتمع مليء بالقمم: فمن بواعث الهمة، أن ينشأ الصغير في مجتمع تكثر فيه النماذج المشرقة من الأبطال المجاهدين، والعلماء العاملين؛ والتي تمثل القدوة، فهذا مما يحرك همته؛ كي يقتدي بهم، ويسير على طريقهم، ومن لم يتهيأ له ذلك فليتحول عن البيئة المثبطة، الداعية إلى الكسل والخمول وإيثار الدون.

وجود المربين الأفذاذ، والمعلمين القدوة: الذين يستحضرون عظم المسؤولية، ويستشعرون ضخامة الأمانة، والذين يتسمون ببعد النظرة، وعلو الهمة، وسعة الأفق وحسن الخلق، والذين يتحلون بالحلم والعلم، والصبر والشَّجَاعَة، وكرم النفس والسماحة.

مصاحبة أصحاب الهمم ومطالعة سيرهم: فلا شك أنَّ الصحبة لها تأثير كبير، لذا من أراد تحصيل الهمة العالية فليصحب أصحاب الهمم العالية، فإنه يستفيد من أفعالهم قبل أقوالهم، ومن لم يوفق لصحبة هؤلاء فليكثر من مطالعة سيرهم، وقراءة أخبارهم فإن ذلك مما يبعث الهمة، ويدعو إلى علوها، يقول ابن الجوزي: فسبيل طالب الكمال في طلب العلم الاطلاع على الكتب، التي قد تخلفت من المصنفات، فليكثر من المطالعة؛ فإنه يرى من علوم القوم، وعلو هممهم ما يشحذ خاطره، ويحرك عزيمته للجد، وما يخلو كتاب من فائدة...

وعليكم بملاحظة سير السلف، ومطالعة تصانيفهم وأخبارهم، فالاستكثار من مطالعة كتبهم رؤية لهم .إلى أن قال: فاستفدت بالنظر فيها من ملاحظة سير القوم، وقدر هممهم، وحفظهم وعباداتهم، وغرائب علومهم: ما لا يعرفه من لم يطالع، فصرت أستزري ما الناس فيه، وأحتقر همم الطلاب.

استشعار المسؤولية: وذلك بأن يستشعر الإنسان مسؤوليته، ويعمل ما في وسعه ومقدوره، ويحذر كل الحذر من التهرب من المسؤولية، والإلقاء باللائمة والتبعة على غيره؛ ذلك أن المسؤولية في الإسلام عامة، تشمل كل فرد من المسلمين؛ فهم جميعًا داخلون في عموم قوله ﷺ (كلكم راع وكلم مسؤول عن رعيته....) [١]، فالمسؤولية مشتركة، كل امرئ بحسبه، هذا بتعليمه وكلامه، وهذا بوعظه وإرشاده، وهذا بقوته وماله، وهذا بجاهه وتوجيهه إلى السبيل النافع وهكذا .

سادسا: أسباب انحطاط الهمم وضعفها

المعاصي: إن المعاصي أحد أسباب انحطاط الهمم، إذ كيف ينطلق الإنسان إلى المعالي وهو مكبل بالشهوات، مثقل بالذنوب، منهك القوى بالمعاصي

يقول ابن قيم الجوزية: فالذنب يحجب الواصل، ويقطع السائر، وينكس الطالب، والقلب إنما يسير إلى الله بقوته، فإذا مرض بالذنوب ضعفت تلك القوة التي ستسيره، فإذا زالت بالكلية انقطع عن الله انقطاعًا يبعد تداركه، فالله المستعان.

الخوف والهم والحزن: وهذه الثلاثة من الآفات التي توهن الهمة، وتضعف العزيمة، وتدفع إلى الفتور؛ ولهذا كان النبي ﷺ كثيرًا ما يستعيذ بالله منها، فعن انس قال: كان النبي ﷺ يقول (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وضلع الدين وغلبة الرجال) [٢]

فاستعاذ من ثمانية أشياء، كلُّ اثنين منها قرينان، فالهم والحزن قرينان وهما من آلام الروح ومعذباتها، والفرق بينهما أن الهم توقع الشر في المستقبل، والحزن التألم على حصول المكروه في الماضي أو فوات المحبوب، وكلاهما تألم وعذاب يرد على الروح فإن تعلق بالماضي سمي حزنًا، وإن تعلق بالمستقبل سمي همًّا.

الغفلة: الغفلة من أسباب ضعف الهمة، فكيف يرتقي الإنسان معالي الأمور، وهو في غفلة عن مصالحه وأسباب سعادته، والغفلة والجهل قرينان، فـ (شجرة الغفلة تُسْقَى بماء الجهل الذي هو عدو الفضائل كلِّها.

هل علمتم أمة في جهلها ** ظهرت في المجد حسناءَ الرداء؟

قال عمر ﷺ: الراحة للرجال غفلة، وقال شعبة بن الحجاج: لا تقعدوا فراغًا فإنَّ الموت يطلبكم.

وسئل ابن الجوزي: أيجوز أن أفسح لنفسي في مُباح الملاهي؟ فقال: عند نفسك من الغفلة ما يكفيها.

---

(١) متفق عليه (٢) صحيح البخاري

إهدار الوقت: فالوقت هو رأس مال الإنسان، فإذا أهدره فهو في الحقيقة يضيع عمره، فيبوء بالخسران، وما أفدحها من خسارة، فينبغي تجنب (إهدار الوقت الثمين في الزيارات والسمر وفضول المباحات: عن ابن عباس ﷺ قال: قال النبي ﷺ (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ) (١)

والوقت أنفس ما عُنيت بحفظه ** وأراه أسهلَ ما عليك يضيع

ودخلوا على رجل من السلف، فقالوا: لعلنا شغلناك؟، قال: أصدقكم، كنت أقرأ فتركتُ القراءة لأجلكم، وجاء عابدٌ إلى السَّرِيِّ السَّقَطي، فرأى عنده جماعة، فقال: صِرتَ مُناخَ البطالين! ثم مضى ولم يجلس، وقعد جماعة عند معروف الكرخي، فأطالوا، فقال: إن مَلَك الشمس لا يفتر عن سوقها، فمتى تريدون القيام؟

الوهن: عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: (يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها). فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: (بل أنتم يومئذ كثير ولكن غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن). قال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: (حب الدنيا وكراهية الموت) (٢).

أمَّا حب الدنيا: فرأس كلِّ خطيئة كما في الحكمة المشهورة، وهو أصل التثاقل إلى الأرض، وسبب الاستئسار للشهوات، والانغماس في الترف، والتنافس على دار الغرور التي: تفانى الرجال على حبِّها٠٠٠ وما يحصلون على طائل

ويقول -أي ابن الجوزي-واعلم أنَّ زمان الابتلاء ضيف قِراهُ الصبر، كما قال أحمد بن حنبل :إنما هو طعام دون طعام، ولباس دون لباس، وإنها أيام قلائل، فلا تنظر إلى لذة المترفين، وتَلَمَّحْ عواقبهم، ولا تضق صدرًا بضيق المعاش، وعلل الناقة بالحدْو تسِرْ:

طاوِلْ بها الليلَ مالَ النجمُ أم جَنحَا ** وماطِلِ النومَ ضَنَّ الجَفْنُ أمْ سَمَحا

فإن تَشَكَّتْ فَعَلِّلْها المجَرَّةَ مِن ** ضوءِ الصباحِ وعِدْها بالرواحِ ضحَى

وأما كراهية الموت فثمرة حب الدنيا والحرص على متاعها مع تخريب الآخرة، فيكره أن ينتقل من العمران إلى الخراب، قال الطغرائي مبينا أثر حب السلامة في الانحطاط بالهمة: حبُّ السلامة يثني عزم صاحبه *عن المعالي ويغري المرء بالكسل.

---

(١) صحيح البخاري (٢) صحيح سنن أي داود

التسويف والتمني: وهما صفة بليد الحس، عديم المبالاة، الذي كلما همت نفسه بخير، إما يعيقها بـ (سـوف) حتى يفجأه الموت، (فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ). المنافقون: ١٠، وإما يركب بها بحر التمني، وهو بحر لا ساحل له، يُدمن ركوبه مفاليس العالم، كما قيل:

إذا تمنيت بتَّ الليلَ مغتبطًا ** إن المنى رأسُ أموال المفاليس

مجالسة البطالين والمثبطين: مجالس البطالين والقاعدين توهن العزائم وتضعف الهمم بما يعلق في القلب من أقوالهم من الشبه، وما يحصل بمجالستهم من ضياع للوقت، وإشغال بتوافه الأمور. وكلما أردت العمل ثبطك وقال: أمامك ليل طويل فارقد.

إياك إياك ومجالسة البطالين فإن طبعك يسرق منهم، وأنت لا تدري، وليس إعداء الجليس جليسة بمقاله وفعاله فقط، بل بالنظر إليه، والنظر في الصور يورث في النفوس أخلاقًا مناسبة لخلق المنظور إليه، فإن مَن دامت رؤيته للمسرور سرَّ، أو للمحزون حزن... ومن المشاهد أن الماء والهواء يفسدان بمجاورة الجيفة فما الظن بالنفوس البشرية التي موضعها لقبول صور الأشياء خيرها وشرها؟

المناهج التربوية والتعليمية الهدامة: هذه المناهج (التي تثبط الهمم وتخنق المواهب، وتكبت الطاقات وتخرب العقول، وتنشئ الخنوع وتزرع في الأجيال ازدراء النفس، وتعمق فيه احتقار الذات والشعور بالدونية

توالي الضربات وازدياد اضطهاد العاملين للإسلام: وينتج عنه الشعور بالإحباط في نفوس الذين لا يفقهون حقيقة البلاء، وسنن الله عز وجل في خلقه، كما ينتج عنه استطالة الطريق فيضعف السير إلى الله عز وجل .وقد كان ﷺ يعزي أصحابه المضطهدين في مكة بتبشيرهم بأن المستقبل للإسلام، وبأن العاقبة للمتقين، فلا ينبغي أن يستولي اليأس والتشاؤم على الدعاة، فعندما يرى بعضهم (تفوق الأعداء، وتفرق الأصدقاء، والتضييق على الدعاة، وتشريدهم، والزج بهم في السجون، ونحوها من الابتلاءات، ييأسوا ويتشاءموا ويدب الوهن إلى قلوبهم؛ فتضعف هممهم، ويقعدوا عن العمل، ويفقدوا الأمل. على الرغم من انتصارات الدعوة والبشائر التي تبدو في الأفق؛ ولكن يأبى بعضهم إلا النظرة المتشائمة.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

مكانة المرأة في الإسلام ودورها في تنمية المجتمع

الحمد لله الذي رسم في جميع مصنوعاته على وجوده وكماله دليلا، الحي العليم السميع البصير الملك الكبير لا يدركه الوهم ولا يحده الفكر تمثيلا، تعالى ذو الملك والملكوت، لم يزل ولا يزال عظيما مقتدرا جليلا، تقدس ذو العزة والجبروت، فلا تستطيع الأوهام إليه وصولا.

واشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير شهادة أعدها من أكبر نعمه وعطائه، وأعدها وسيلة إلى يوم لقاءه

يا رب

أنا العبد الذي كسب الذنوب ** وصدته المعاصي أن يتوبا
أنا المضطر أرجو منك عفوا ** ومن يرجو رضاك فلن يخيبا
فيا مولاي جود بالعفو وارحم ** عبدا لم يزل يشكو الذنوبا
وسامح هفوتي وأجب دعائي ** فانك لم تزل أبدا مجيبا

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه

الله زاد محمدا تكريما ** وحباه فضلا من لدنه عظيما
واختاره في المرسلين كريما ** ذا رأفة بالمؤمنين رحيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

عناصر الخطبة

أولًا: حال المرأة قبل الإسلام ثانيًا: المرأة من وجهة نظر الأديان والملل الأخرى

ثالثًا: تكريم الإسلام للمرأة رابعًا: دور المرأة في تنمية المجتمع الإسلامي

الموضوع

إن الإسلامَ يخاطب الرجال والنساء على السواء ويعاملهم بطريقةٍ شبه متساويةٍ، وتهدفُ الشريعةُ الإسلاميةُ بشكلٍ عامٍ إلى غايةٍ متميزةٍ هي الحمايةُ، ويقدم التشريع للمرأة تعريفات دقيقة عما لها من حقوق ويُبدي اهتماماً شديداً بضمانها، فالقرآنُ والسنةُ يحُضَّان على معاملة المرأة بعدلٍ ورِفقٍ وعَطفٍ.

أولًا: حال المرأة قبل الإسلام

وأد البنات: في الجاهلية كانوا يقتلون البنات وهنَّ أحياء، ولمَّا جاء الإسلام حثَّ على تحريم وَأْد البنات، فقال عز وجل:(وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ)سورة التكوير.

وقال تعالي(وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ)الأنعام: ١٥١

الزواج في الجاهلية: عن عروة بن الزبير أنَّ عائشة زوْج النبي - ﷺ - أخبرتْه: أنَّ النِّكاح في الجاهلية كان على أربع أنحاء، فنِكاح منها نِكاح الناس اليوم: يخطُب الرجلُ إلى الرجلِ وليتَه أو ابنتَه، فيُصدقها ثُم ينكحها، ونكاح آخَر: كان الرجل يقول لامرأتِه إذا طهرتْ مِن طمثها أرْسِلي إلى فلان فاستبْضِعي منه، ويعتزلها زوجُها ولا يمسها أبدًا حتى يتبيَّنَ حملُها مِن ذلك الرجل الذي تستبضِع منه، فإذا تبيَّن حملُها أصابها زوجُها إذا أحبَّ، وإنما يفعل ذلك رغبةً في نجابة الولد، فكان هذا النِّكاح نِكاحَ الاستبضاع، ونكاح آخر: يجتمع الرَّهْطُ ما دون العشرة فيدخلون على المرأة، كلُّهم يصيبها فإذا حملتْ ووضعتْ ومرَّ عليها ليالٍ بعد أن تضَع حملها أرسلتْ إليهم، فلمْ يستطع رجلٌ أن يمتنع حتى يجتمعوا عندَها تقول لهم: قد عرفتُم الذي كان مِن أمركم، وقد ولدت فهو ابنُك يا فلان، تُسمِّي مَن أحبَّتِ باسمه، فيلحق به ولدُها لا يستطيع أن يمتنع منه الرَّجُل، ونِكاح رابع: يجتمع الناسُ كثيرًا فيدخلون على المرأة لا تَمتنع ممَّن جاءَها وهنَّ البغايا، كن ينصبْنَ على أبوابهنَّ راياتٍ تكون عَلَمًا، فمَن أراد دخَل عليهنَّ، فإذا حملتْ إحداهنَّ، ووضعَتْ حملَها، جمعوا لها ودَعوا القافة ثم ألْحقوا ولدَها بالذي يرون، فالْتاط به ودُعِي ابنه، لا يمتنع مِن ذلك، فلمَّا بعث النبي - ﷺ -بالحقِّ هدَم نكاح الجاهلية كلَّه إلا نكاح الناس اليوم)(١)

[ش (أنحاء) أنواع. (وليته) من في ولايته. (فيصدقها) يجعل لها مهرا معينا. (طمثها) حيضها. (فاستبضعي منه) اطلبي منه المباضعة وهي المجامعة مشتقة من البضع وهو الفرج. (يمسها) يجامعها. (نجابة الولد) أي ليكون نفيسا في نوعه وكانوا يطلبون ذلك من أشرافهم ورؤسائهم وأكابرهم جهلا منهم وضلالا. (الرهط) ما دون العشرة من الرجال. (يصيبها) يجامعها. (البغايا) جمع بغي وهي الزانية. (رايات) جمع راية وهي شيء يرفع ليلفت النظر. (علما) علامة. (القافة) جمع قائف وهو الذي ينظر في الملامح ويلحق الولد بمن يرى أنه والده. (فالتاط به) فالتحق به والتصق. (هدم) أبطل]

(١) صحيح البخاري

عِدَّتها في الجاهلية: يقول الإمام القرطبيُّ عند تفسير قولِ الله تعالى :(الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ) البقرة: ، قد ثبت أنَّ أهل الجاهلية لم يكنْ عندَهم للطلاق عدد، وكانت عندَهم العِدَّة معلومة مقدورة، وكان هذا في أوَّل الإسلام برهة، يُطلِّق الرجل امرأته ما شاء مِن الطلاق، فإذا كادتْ تحل مِن طلاقه راجعَها متى شاء، فقال رجلٌ لامرأته على عهْد النبي - ﷺ -: (لا أُويك ولا أَدعك تحلّين، قالت: وكيف؟ قال: أُطلِّقك فإذا دَنا مُضيُّ عِدتك راجعتُك، فشكَتِ المرأة ذلك إلى عائشةَ، فذكرت ذلك للنبيِّ - ﷺ - فأنْزل الله تعالى هذه الآية بيانًا لعدد الطلاق)[1].

كان العرب لا يورثون المرأة: ويرون أن ليس لها حق في الإرث وكانوا يقولون: لا يرثنا إلا من يحمل السيف ويحمي البيضة.

ينظرون إلى المرأة على أنها متاع من الأمتعة التي يمتلكونها مثل الأموال والبهائم، ويتصرفون فيها كيف شاءوا، وغير ذلك من مظاهر اهانة للمرأة

ثانياً: المرأة من وجهة نظر الأديان والملل الأخرى

إذا كان الإسلام قد أعطى للمرأة كامل حقوقها فان النظم الأرضية لا ترعى للمرأة كرامتها، حيث يتبرأ الأب من ابنته حين تبلغ سن الثامنة عشرة أو أقل؛ لتخرج هائمة على وجهها تبحث عن مأوى يسترها، ولقمة تسد جوعتها، وربما كان ذلك على حساب الشرف، ونبيل الأخلاق.

وأين إكرامُ الإسلام للمرأة، وجَعْلُها إنساناً مكرماً من الأنظمة التي تعدها مصدر الخطيئة، وتسلبها حقها في الملكية والمسؤولية، وتجعلها تعيش في إذلال واحتقار، وتعدها مخلوقاً نجساً؟

وأين إكرام الإسلام للمرأة ممن يجعلون المرأة سلعة يتاجرون بجسدها في الدعايات والإعلانات؟

وأين إكرام الإسلام لها من الأنظمة التي تعد الزواج صفقة مبايعة تنتقل فيه الزوجة؛ لتكون إحدى ممتلكات الزوج؟ حتى إن بعض مجامعهم انعقدت؛ لتنظر في حقيقة المرأة وروحها أهي من البشر أو لا؟ ! ، وهكذا نرى أن المرأة المسلمة تسعد في دنياها مع أسرتها وفي كنف والديها، ورعاية زوجها، وبر أبنائها سواء في حال طفولتها، أو شبابها، أو هرمها، وفي حال فقرها أو غناها، أو صحتها أو مرضها، وإن كان هناك من تقصير في حق المرأة في بعض بلاد المسلمين أو من بعض المنتسبين إلى الإسلام-فإنما هو بسبب القصور والجهل، والبُعد عن تطبيق شرائع الدين، والوزر في ذلك على من أخطأ والدين براء من تبعة تلك النقائص.

---

(١) تفسير القرطبي

وعلاج ذلك الخطأ إنما يكون بالرجوع إلى هداية الإسلام وتعاليمه.

هذه هي منزلة المرأة في الإسلام على سبيل الإجمال: عفة، وصيانة، ومودة، ورحمة، ورعاية، وتذمم إلى غير ذلك من المعاني الجميلة السامية.

أما الحضارة المعاصرة فلا تكاد تعرف شيئاً من تلك المعاني، وإنما تنظر للمرأة نظرة مادية بحتة، فترى أن حجابها وعفتها تخلف ورجعية، وأنها لابد أن تكون دمية يعبث بها كل ساقط؛ فذلك سر السعادة عندهم، وما علموا أن تبرج المرأة وتهتكها هو سبب شقائها وعذابها.

وإلا فما علاقة التطور والتعليم بالتبرج والاختلاط وإظهار المفاتن، وإبداء الزينة، وكشف الصدور، والأفخاذ، وما هو أشد؟ !، وهل من وسائل التعليم والثقافة ارتداء الملابس الضيقة والشفافة والقصيرة؟!. ثم أي كرامة حين توضع صور الحسناوات في الإعلانات والدعايات؟!

ولماذا لا تروج عندهم إلا الحسناء الجميلة، فإذا استنفذت السنوات جمالها وزينتها أهملت ورميت كأي آلة انتهت مدة صلاحيتها؟ !.

وما نصيب قليلة الجمال من هذه الحضارة؟ وما نصيب الأم المسنة، والجدة، والعجوز؟ ن إن نصيبها في أحسن الأحوال يكون في الملاجئ، ودور العجزة والمسنين؛ حيث لا تُزار ولا يُسأل عنها.

وقد يكون لها نصيب من راتب تقاعد، أو نحوه، فتأكل منه حتى تموت؛ فلا رحم هناك، ولا صلة، ولا ولي حميم.

أما المرأة في الإسلام فكلما تقدم السن بها زاد احترامها، وعظم حقها، وتنافس أولادها وأقاربها على برها-كما سبق-لأنها أدَّت ما عليها، وبقي الذي لها عند أبنائها، وأحفادها، وأهلها، ومجتمعها.

أما الزعم بأن العفاف والستر تخلف ورجعية-فزعم باطل، بل إن التبرج والسفور هو الشقاء والعذاب، والتخلف بعينه، وإذا أردت الدليل على أن التبرج هو التخلف فانظر إلى انحطاط خصائص الجنس البشري في الهمج العراة الذين يعيشون في المتاهات والأدغال على حال تقرب من البهيمية؛ فإنهم لا يأخذون طريقهم في مدارج الحضارة إلا بعد أن يكتسوا.

ويستطيع المراقب لحالهم في تطورهم أن يلاحظ أنهم كلما تقدموا في الحضارة زادت نسبة المساحة الكاسية من أجسادهم، كما يلاحظ أن الحضارة الغربية في انتكاسها تعود في هذا الطريق القهقري درجة درجة حتى تنتهي إلى العري الكامل في مدن العراة التي أخذت في الانتشار بعد الحرب العالمية الأولى، ثم استفحل داؤها في السنوات الأخيرة.

وهكذا تبين لنا عظم منزلة المرأة في الإسلام، ومدى ضياعها وتشردها إذا هي ابتعدت عن الإسلام

ثالثاً: تكريم الإسلام للمرأة

أمرها أن تلتزم بيتها: وإنْ خرجت تخرج في إطار ما سمح لها به الشرع، فقال الله تعالى:(وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)سورة الأحزاب

الوصية بالنساء خيرا: فعن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ:(مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِي جَارَهُ، وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا)[١]

مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة : من بين المبادئ السامية التي واجه بها الإسلام عرب الجاهلية، فلكل من الذكر والأنثى جزاءه الخاص في الآخرة كما في الدنيا قال تعالي:(فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض)سورة آل عمران

وقال -تعالى:- (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) الحجرات

وقال تعالى (:(وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ)البقرة

وقال تعالى):(أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ) آل عمران

كرم الإسلام المرأة بنتا وأختاك عن عَائِشَةَ، قَالَتْ: دَخَلَتِ امْرَأَةٌ، مَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا، تَسْأَلُ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا، غَيْرَ تَمْرَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ، عَلَيْنَا، فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: مَنِ ابْتُلِيَ مِنْ هذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ، كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ) [٢]

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: (البنون نعم، والبنات حسنات، والله عز وجل يحاسب على النعم، ويجازي على الحسنات، وعن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من كان له ثلاث بنات، وصبر عليهن، وكساهن من جدته كن له حجابا من النار). [٣]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ وَضَمَّ أَصَابِعَهُ)[٤]

(١) متفق عليه (٢) متفق عليه (٣) السلسلة الصحيحة (٤) صحيح مسلم

تكريم الإسلام للمرأة وهي زوجة

اختيار من تحب وعدم إكراهها: عن أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ:(لاَ تُنْكَحُ الأَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ، وَلاَ تُنْكَحُ الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَكَيْفَ إِذْنُهَا قَالَ: أَنْ تَسْكُتَ) (١)

لها صَداقها كاملاً، جعَله الشرعُ لها: وهي مالكةٌ له لا يُشارِكها فيه أحَد، قال ربُّنا -جلَّ ذِكْرُه:- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا)، وقال تعالي(فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) النساء

حرَّم الله تعالى فيما يسمى بزواج المتعة حديثاً: وحَمْل الإماء على البغاء فقال عز وجل:(... وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ) النور ، وذلك حرصاً على سلامة المرأة من المخاطر التي تتعرض لها في شخصها، والفتك بالمجتمع إذا سلكت هذا السبيل الذي نهي عنه ربنا، ونهي عنه نبيُّنا ﷺ.

جعل الله للمرأة من الحقوق مثل ما للرجل مع قوامة الرجل: قال تعالى-: (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ) البقرة: ٢٢٨ ،

وإذا كان أمر الأسرة لا يستقيم إلا برئيس يدبره فأحقهم بالرياسة هو الرجل الذي شأنه الإنفاق عليها، والقدرة على دفاع الأذى عنها.... وهذا ما استحق به الدرجة المشار إليها في قوله-تعالى-: (وللرجال عليهن درجة) وقوله: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ) النساء

وجعلها راعية وسيدة في بيتها : فقال رسول الله: (.... وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ) (٢)

حسن المعاشرة ليس أمراً اختيارياً متروكاً للزوج : إن شاء فعله وإن شاء تركه، بل هو تكليف واجب، فقال تعالى(وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا)النساء ، وعن أنس (أن رسول الله ﷺ كان عند بعض نسائه فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين مع خادمها قصعة فيها طعام قال فضربت بيدها فكسرت القصعة قال ابن المثنى فأخذ النبي ﷺ الكسرتين فضم إحداهما إلى الأخرى فجعل يجمع فيها الطعام ويقول غارت أمكم زاد ابن المثنى كلوا فأكلوا حتى جاءت قصعتها التي في بيتها ثم رجعنا إلى لفظ حديث مسدد قال كلوا وحبس الرسول

(١) متفق عليه (٢) متفق عليه

والقصعة حتى فرغوا فدفع القصعة الصحيحة إلى الرسول وحبس المكسورة في بيته) [١]

نهى الزوج أن يضرب زوجته بلا مسوغ: وجعل لها الحق الكامل في أن تشكو حالها إلى أوليائها، أو أن ترفع للحاكم أمرها؛ لأنها إنسان مكرم داخل في قوله-تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً (٧٠))الإسراء.

أذن الإسلام بضرب الزوجة ضربا غير مبرح ولكن بشروط وجعله آخر الحلول: كما في قوله-تعالى-: (وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ) النساء.

وقال النبي-ﷺ-: (لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد، ثم يضاجعها) [٢]

وكما في قوله -عليه الصلاة والسلام -في حجة الوداع: (ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مُبَرِّح) [٣]، فحينما أذن بضرب الزوجة لم يأذن بالضرب المبرح الذي يقصد به التشفي، والانتقام، والتعذيب، وإهانة المرأة وإرغامها على معيشة لا ترضى بها، وإنما هو ضرب للحاجة وللتأديب، تصحبه عاطفة المربي والمؤدب؛ فليس للزوج أن يضرب زوجته بهواه، وليس له إن ضربها أن يقسو عليها؛ فالإسلام أذن بالضرب بشروط منها:

أ-أن تصر الزوجة على العصيان حتى بعد التدرج معها.

ب-أن يتناسب العقاب مع نوع التقصير؛ فلا يبادر إلى الهجر في المضجع في أمر لا يستحق إلا الوعظ والإرشاد، ولا يبادر إلى الضرب وهو لم يجرب الهجر؛ ذلك أن العقاب بأكثر من حجم الذنب ظلم.

ج-أن يستحضر أن المقصود من الضرب العلاجُ والتأديب والزجر لا غير؛ فيراعي التخفيف فيه على أحسن الوجوه؛ فالضرب يتحقق باللكزة، أو بالمسواك ونحوه.

د-أن يتجنب الأماكن المخوفة كالرأس والبطن والوجه.

هـ -ألا يكسر عظماً، ولا يشين عضواً، وألا يدميها، ولا يكرر الضربة في الموضع الواحد.

و-ألا يتمادى في العقوبة قولاً أو فعلاً إذا هي ارتدعت وتركت النشوز.

فالضرب -إذاً -للمصلحة لا للإهانة، ولو ماتت الزوجة بسبب ضرب الزوج لوجبت الدية والكفارة، إذا كان الضرب لغير التأديب المأذون فيه، أما إذا كان التلف مع التأديب المشروع فلا ضمان عليه، هذا مذهب أحمد ومالك، أما الشافعي وأبو حنيفة فيرون الضمان في ذلك، ووافقهم القرطبي -وهو مالكي.

إن الضرب بالمسواك، وما أشبهه أقلُّ ضرراً على المرأة نفسها من تطليقها الذي هو نتيجة غالبة

---

(١) صحيح سنن ابن ماجة (٢) متفق عليه (٣) متفق عليه

لاسترسالها في نشوزها، فإذا طُلِّقت تصدع بنيان الأسرة، وتفرق شملها، وتناثرت أجزاؤها.

وإذا قيس الضرر الأخف بالضرر الأعظم كان ارتكاب الأخف حسناً جميلاً

تكريم الإسلام للمرأة بكونها أماً: لقد كرَّم الإسلام المرأة بكونها أُماً بأنْ أوصى الأبناء بحُسْن معاملة الآباء، وخاصةً الأم، فقد صوَّر القرآن الكريم هذا الأمر في تصويرٍ بليغٍ ومُعجزٍ في أكثر من موضعٍ، فقال الله تعالى:(وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا) الإسراء

وقال تعالى في الموضع الثاني:(وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) العنكبوت

وقال تعالى في الموضع الثالث:(وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ) لقمان

وقال تعالى في الموضع الأخير(وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ) الأحقاف

وقد ورد في سنة النبي -ﷺ- ما يُعَضِّدُ ذلك، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: (أُمُّكَ) قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: (أُمُّكَ) قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: (أُمُّكَ) قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ (ثُمَّ أَبُوكَ). وفي رواية قال: (أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك ثم أدناك أدناك)[1] ، فقد أوصى النبي -ﷺ- بالأم ثلاث مراتٍ، لِما لها من تكريمٍ ومكانةٍ عظيمة، ورفعةً لشأنها، فما كُرِمَتْ المرأةُ في أي شريعةٍ سوى شريعة الإسلام، وعن طلحة بن معاوية السلمي قال :(أتيتُ النبيَّ- ﷺ- ، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ إني أريدُ الجهادَ في سبيلِ اللهِ تعالى، فقال: أُمُّكَ حَيَّةٌ؟ فقلتُ: نعمْ، فقال: الزم رِجْلَها فثمَّ الجنَّة)[2] ، فالأم من أعظم الناس فضلا وأحق الناس بالإكرام والإحسان، ومن لا خير له في أمه فلا خير له فيمن هم دونها

الأم مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعبا طيب الأعراق

الأم أستاذ الأساتذة الأولى ... شغلت مآثرهم مدى الآفاق

أنا لا أقول دعوا النساء سوافرا ... بين الرجال يجلن في الأسواق

(١) متفق عليه (٢) صحيح الجامع

يفعلن أفعال الرجال لواهيـــــــــا عن واجبات نواعـــس الأحـــــداق
كلا ولا أدعوكم أن تســـرفـــــــوا في الحجب والتضـــييق والإرهـاق
ليســت نســاؤكم أثاثا يقتنـــــــــى في الدور بين مخادع وطبـــــاق
فتوســطوا في الحالتين وأنصــفوا فالشــر في التقييد والإطـــــــلاق

تكريم الإســلام للمرأة بكونها أرملةً: لقد رفع رســول الله -ﷺ -قدر الذي يرعى شــئون الأرملة إلى درجة لا يتخيلها أحد ، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ: النَّبِيُّ ﷺ: السَّـــاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْـــكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوِ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ) [١] فأيُّ فضلٍ وأيُّ عظمة هذه، ليس هذا إلا تكريماً وحفاظا على المرأة، فهي كالجوهرة في الإسلام، حيث يدافعُ عنها بكل قوةٍ وشجاعةٍ.

تكريم الإســلام للمرأة بكونها أَمَةً: وهُنَّ الرقيق من النســاء فعن أنس بن مالك ﷺإذ قال:(إِنْ كَانَتْ الأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ) [٢]

وقد علَّق ابن حجر رحمه الله على ذلك فقال: والتعبير بأخذ اليد إشـارة إلى غاية التصـرف، حتى لو كانت حاجتها خارج المدينة، والتمســت منه مســاعدتها على ذلك، وهذا دالٌ على مزيد تواضــعه وبراءته من جميع أنواع الكِبْرِ.

جعل لها نصيباً من الميراث: ما أجملَ قولَ أمير المؤمنين الفاروق عمرَ بن الخطَّاب ﷺ (وَاللهِ إِنْ كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَا نَعُدُّ لِلنِّسَاءِ أَمْرًا حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ فِيهِنَّ مَا أَنْزَلَ، وَقَسَمَ لَهُنَّ مَا قَسَمَ...) [٣]

وقال الله تعالى: (لِلرِّجَالِ نَصِـيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَـاءِ نَصِـيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِـيبًا مَفْرُوضًـا) النساء، وليس ذلك بظلم للمرأة بأنها تأخذ نصف الرجل لأنها تأخذ أكثر من الرجل في مواضع أخرى كثيرة

كما يقول د/ محمد عمارة: إن اسـتعراض حالات الميراث في علم المواريث يكشـف عن حقيقة قد تذهل الكثيرين فيتضـح منها، أن هناك ٤ حالات فقط ترث فيها المرآة نصـف الرجل، وأكثر من ٣٠ حالـة ترث فيهـا المرآة مثل الرجل تمـامـا، وهنـاك ١٠ حـالات ترث فيهـا المرآة أكثر من الرجل، بالإضافة إلى أن هناك حالات ترث فيها المرآة ولا يرث نظيرها من الرجال

ويشرح د/ صلاح الدين سلطان أستاذ الفقه الإسلامي، هذه الحالات بالتفصيل فيقول: أن الحالات التي ترث فيها المرأة نصف الرجل في أربع حالات وهي

---

(١) متفق عليه (٢) صحيح البخاري (٣) صحيح البخاري

الحالة الأولى: وجود البنت مع الابن أي كان الجيل لقوله تعالى (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين)

الحالة الثانية، عند وجود الأب مع الأم ولا يوجد للمتوفى أولاد ولا زوجة لقوله تعالى(فإن لم تكن له ولد وورثه أبواه فالأمة الثلث) فهنا يكون للأم الثلث يتبقى للأب الثلثان

الحالة الثالثة فهي وجود الأخ مع الأخت لقوله تعالى (إن كانوا اخوة رجالا ونساء فالذكر مثل حظ الأنثيين)

أما الحالة الرابعة إذا مات الزوج فالزوجة ترث الربع ان لم يكن لها ولد وإذا كان لها ولد ترث الثمن، أما إذا ماتت الزوجة فيرث الزوج النصف إذا لم يكن له وإذا كان له ولد فيرث الربع، لقوله تعالى: (لكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد، فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين، ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين).

أما الحالات التي ترث فيها المرأة مثل الرجل فهي تعدت ال ٣٠ حالة، من أمثال هذه الحالات: حالة ميراث مع الأم عند وجود ابن او بنت، وكذلك ميراث الأخوة أو الأخوات من جهة وأيضا تتساوى المرأة مع الرجل في حالات انفراد أحدهما بالميراث

والحالات التي ترث فيها المرأة أكثر من الرجل، فيقول د/ صلاح الدين أن نظام المواريث في الشريعة الإسلامية على طريقتين رئيسيتين هما الميراث بالفرض وهو القوانين الواردة في القرآن الكريم، ونظام الميراث بالتعصيب وهو الباقي بعد توزيع الميراث.

وقد ثبت أن المرأة ترث في أكثر من ١٧ حالة بالفرض مقابل ٦ حالات للرجل بالفرض فقط

ويتضح من ذلك كما يشرح د/ صلاح الدين أن أكبر فروض الميراث في القرآن الكريم هو الثلثان، وهذه النسبة لا يحصل عليها رجل، فهي نسبة مخصصة للنساء فقط في ٤ حالات وهي للبنتان أو بنتا الابن أو للأختان، ونسبة النصف في الميراث لا يحصل عليها من الرجال إلا الزوج عند عدم وجود ورثة آخرين، وهذه النسبة تعطى لأربع نساء هن، البنت الواحدة، وبنت الابن الواحدة، الأخت الشقيقة الواحدة والأخت لأب الواحدة.

ونسبة السدس تأخذه ٨ منهم ٣ فقط للرجال وهم الجد والأخ لأم والأب، وتأخذه ٥ من النساء هم الأم والجدة، بنت الابن والأخت لأب، والأخت لأم وبالتالي فليس هناك ظلم للنساء.

ووعد الله بالعقاب لمن خالف حدوده فيها، وجعل هذا التقسيم خاصاً به سبحانه وتعالى، فقال عز وجل:(تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ)النساء

رابعا: دور المرأة في تنمية المجتمع الإسلامي

المرأة اعتنقت الإسلام منذ نزول الوحي: إذ كانت السيدة خديجة-رضي الله عنها-هي أول الناس إسلامًا، وكانت على درجة عالية من الوعي السياسي، ولا ننسى أدوار الصحابيات الجليلات في المرحلة السرية والجهرية من الدعوة الإسلامية، وتحملها للابتلاء والامتحان في سبيل هذا الدين.

هجرة المرأة المسلمة : إلى الحبشة في السنة الخامسة من البعثة، وطبقات المهاجرات، وكفاحهن في الغربة وما تعرضن له من شدة ومعاناة، وصبرهن على الغربة وترك الأوطان والحياة القاسية، ثم هجرة المسلمات إلى المدينة المنورة، ودورهن في تأسيس هذا الوطن الجديد للمسلمين وهناك نماذج مضيئة من هؤلاء المهاجرات مثل (زينب بنت النبي)- ﷺ- و (أم سلمة)، (وأم أيمن)، و(أسماء بنت أبي بكر)، رضي الله عنهن، وتعليق الإمام الزهري على هجرة المسلمات إذ قال: (وما نعلم أحدًا من المهاجرات ارتدت بعد إيمانها)، ومن ثم كانت الهجرة واجبة على الرجال والنساء

المرأة من أسباب إيضاح تعاليم جديدة للمسلمين: ويتضح ذلك من موقف ثعلبة رضي الله عنها مع النبي ﷺ قال تعالى: (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير) المجادلة.

من حق المرأة طلب العلم: فعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: (جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ، تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ فَقَالَ: اجْتَمِعْنَ فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا، فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا فَاجْتَمَعْنَ فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ ثُمَّ قَالَ: مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلَاثَةً، إِلاَّ كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: يَا رَسُولَ اللهِ اثْنَيْنِ قَالَ: فَأَعَادَتْهَا مَرَّتَيْنِ ثُمَّ قَالَ: وَاثْنَيْنِ، وَاثْنَيْنِ، وَاثْنَيْنِ)[1]

دور المرأة في الجهاد على عهد النبي-ﷺ-، ومشاركة الصحابيات في الغزوات مثل:

أ-نسيبة بنت كعب رضى الله عنها: في (ويوم أحد) لما رأت المشركين يتكاثرون حول رسول الله أستلت سيفها وكانت مقاتلة قوية، وشقت الصفوف حتى وصلت إلى رسول الله تقاتل بين يديه

(١) صحيح البخاري

وتضـرب بالسـيف يميناً وشـمالاً حتى هابها الرجال وأثنى عليها النبي وقال: (ما ألتفت يميناً ولا شمالا يوم أحد إلا وجدت نسيبة بنت كعب تقاتل دوني). ولقد قالت يا رسول الله: ادع الله أن أرافقك في الجنـة فقال: (اللهم اجعلهم رفقائي في الجنـة) جرحت يوم أحد جرحاً بليغاً فكان النبي يطمئن عليها ويسـأل (كيف حال نسـيبة). وعندما أخذت تحث ابنها عبد الله بن زيد عندما خرج يوم أحد فقالت: انهض بني وضـارب القوم. فجعل النبي ﷺ يقول: (ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة). وتمضـي الأيام، فشـهدت مع رسـول الله ﷺ بيعة الرضـوان في الحديبية، وهي بيعة المعاهدة على الشـهادة في سـبيل الله كما شـهدت يوم حنين، ولما انتقل رسـول الله ﷺ الرفيق الأعلى ارتدت بعض القبائل عن الإسلام وعلى رأسهم مسيلمة الكذاب، حتى سارعت أم عمارة إلى أبي بكر الصديق-رضي الله عنه- تسـتأذنه بالالتحاق بهذا الجيش لمحاربة المرتدين فأذن لها فخرجت ومعها ابنها عبد الله بن زيد وأبلت بلاء حسنا وتعرضت لكثير من المخاطر.

ولـوْ كـانَ النّسـاءُ كمَنْ فَقَـدْنـا ** لفُضّـلَتِ النّسـاءُ على الرّجالِ
وما التأنيثُ لاسـمِ الشّـمسِ عَيبٌ ** ولا التّـذكـيـرُ فَـخْـرٌ لـلـهِـلالِ

ب-صفية بنت عبد المطلب: وضع النبي محمد النساء والأطفال في الحصون لحمايتهم، فكانت صفية وأمهات المؤمنين في حصن حسان بن ثابت، وكان من أمنع حصون المدينة. وبينما كان المسلمون منشغلون بقتال عدوهم، تسلل يهودي وطاف بالحصن يتجسس أخباره، فأدركت أنه يريد معرفة أفي الحصـن رجال أم إنه لا يضـم غير النسـاء والأطفال. فحملت عمودًا وتلطّفت حتى كانت في موضـع تمكنت فيه من عدوها، ضـربته على رأسـه فوقع فانهالت عليه حتى مات، لكيلا ينقل خبرهم إلى قومه. ثم حزّت رأسـه بسكين، وقذفت بها من أعلى الحصـن، فطفق يتدحرج حتى استقر بين أيدي يهود كانوا يتربصون في أسفله، فلما رأى اليهود رأس صاحبهم؛ قالوا: (قد علمنا إن محمداً لم يكن ليترك النساء والأطفال من غير حماة)، فعادوا أدراجهم.

وغيرهما الكثير والكثير

مشـاركه المسـلمات في الفتوح الإسـلامية: وما تناوله البلاذري في كتباه (فتوح البلدان) من أن جميع الجيوش الإسلامية كانت تخرج ومعها النساء والذراري، إلا أن هذا الدور تعرض لإهمال تاريخي.

بعض المهن والحرف التي عملن بها النسـاء في عهد الرسـول ﷺ: فقد كان عمل النسـاء في العهد النبوي شائعاً معروفاً، ولكنه كان منضبطاً بضوابط الشرع

يمكن تقسيم العمل الذي كان النساء يمارسنه -في ذلك العهد -إلى أربعة أقسام:

أ-عملهن في تطبيب الجرحى، والقيام على المرضى في جيوش المسلمين.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ(كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-يَغْزُو بِأُمِّ سُلَيْمٍ وَنِسْوَةٍ مِنَ الأَنْصَارِ مَعَهُ إِذَا غَزَا فَيَسْقِينَ الْمَاءَ وَيُدَاوِينَ الْجَرْحَى) [١]

عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ الأَنْصَارِيَّةِ قَالَتْ (غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-سَبْعَ غَزَوَاتٍ أَخْلُفُهُمْ فِى رِحَالِهِمْ فَأَصْنَعُ لَهُمُ الطَّعَامَ وَأُدَاوِى الْجَرْحَى وَأَقُومُ عَلَى الْمَرْضَى.) [٢] ولا شك أن خروجهن في الغزو كان مع أزواجهن، أو محارمهن كما لا يخفى.

ب-عملهن في الزراعة: روى الشيخان عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: تزوجني الزبير وماله في الأرض من مال، ولا مملوك، ولا شيء غير ناضح وغير فرسه، فكنت أعلف فرسه، واستقي الماء، وأخرز غربه، وأعجن... وكنت أنقل النوى من أرض الزبير على رأسي، وهي مني على ثلثي فرسخ.

عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ طُلِّقَتْ خَالَتِى فَأَرَادَتْ أَنْ تَجُدَّ نَخْلَهَا فَزَجَرَهَا رَجُلٌ أَنْ تَخْرُجَ فَأَتَتِ النَّبِىَّ -ص-فَقَالَ (بَلَى فَجُدِّى نَخْلَكِ فَإِنَّكِ عَسَى أَنْ تَصَدَّقِى أَوْ تَفْعَلِى مَعْرُوفًا) [٣].

ج-اشتغالهن بالأعمال اليدوية: عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- (أَسْرَعُكُنَّ لَحَاقًا بِى أَطْوَلُكُنَّ يَدًا). قَالَتْ فَكُنَّ يَتَطَاوَلْنَ أَيَّتُهُنَّ أَطْوَلُ يَدًا. قَالَتْ فَكَانَتْ أَطْوَلَنَا يَدًا زَيْنَبُ لأَنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ بِيَدِهَا وَتَصَدَّقُ [٤].

د-اشتغالهن بالتعليم والفتوى: وهذا مشهور بين أزواجه ﷺ، بل نص العلماء على أن من الحكم من تعدد زوجاته -ﷺ -أن يطلع الناس على سيرته في تعامله معهن ليكون قدوة للأزواج في تعاملهم مع أهليهم، وكان أشهرهن عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما.

فهذه هي أهم الأعمال التي كان النساء يقمن بها، ضمن حدود الشريعة وضوابطها، ولا شك أنه ستظل هناك مجالات بحاجة إلى أن تعمل فيها المرأة ضمن ضوابط الشريعة وحدودها.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) صحيح مسلم (٢) صحيح مسلم (٣) صحيح مسلم (٤) صحيح مسلم

آثار إدمان الذنوب والمعاصي

الحمد لله الذي أسعد قلوب الأصفياء بالمجاهدة، وأسعد قلوب الأولياء بالمشاهدة، وحلى ألسنة المؤمنين بالذكر، وجلى خواطر العارفين بالفكر، وحرس سواد العباد عن الفساد، وحبس مراد الزهاد على السداد، وخلص أشباح المتقين من ظلم الشهوات، وصفى أرواح الموقنين عن ظلم الشبهات، وقبل أعمال الأخيار بأداء الصلوات، وأيد خصال الأحرار بإسداء الصلات.

واشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير

يا رب قد تبت فاغفر زلتي كرما ** وارحم بعفوك من أخطأ ومن ندما

لا عدت أفعل ما قد كنت أفعله عمري ** فخذ بيدي يا خير من رحما

هذا مقام ظلوم خائف وجل ** لم يظلم الناس لكن نفسه ظلما

فاصفح بعفوك عمن جاء معتذرا ** واغفر ذنوب مسيء طالما اجترما

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه، بعثه لأصلاب الفسقة والفجرة قاسماً، ولعرى الجاحدين والمارقين قاصمًا، ولباغي الشك والشرك قاهرًا، ولأتباع الحق والإحسان ناصرًا؛ فصلوات الله عليه، وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

العناصر

أولاً: بعض آثار الحسنات ثانيًا: احذر الذنوب والمعاصي

ثالثًا: آثار الذنوب والمعاصي

الموضوع

أولاً: بعض آثار الحسنات

مغفرة السيئات ومضاعفة الحسنات: قال تعالى: "وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ (١١٤) "هود ، وقال تعالى: " إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠)" الفرقان.

قال تعالى: {إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً} {النساء٤٠}

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فِيمَا يَرْوِى عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ « إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً »(١).

ضياء الوجه: يقول ابن عباس: "إن للحسنة ضياءً في الوجه ونوراً في القلب وقوة في البدن وسعةً في الرزق ومحبةً في قلوب الخلق" (٢)

بالله عليك يا أخي عندما تنظر إلى وجه رجل وتقول له: وجهك منير، وقد يكون أسمر اللون، بشرته سمراء ومع ذلك تقول له: أرى في وجهك نوراً، هذا الرجل يقيناً كان يعمل في الليل كان في ذكر وكان في صلاة وكان في طاعة وكان في تسبيح وكان في بكاء وكان في تذلل وتضرع، كان يصلي الفجر، عندما ترى وجهه تقول له: يا أخي وجهك له نور، أي ورب الكعبة أنت صادق، والله وجهه ينير نوراً حقيقياً ببركة الطاعة وبفضل الطاعة، نعم، الله! اللهم لا تحرمنا من هذه كلها.

محبة الله له: قال تعالى: {فَآتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} {آل عمران

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-«إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ إِنِّى أُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبَّهُ - قَالَ - فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِى فِى السَّمَاءِ فَيَقُولُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ. فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ - قَالَ - ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِى الأَرْضِ..." (٣)

محبة الخلق له: قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً "مريم.

أي محبة في قلوب عباده المؤمنين

حسن الجزاء: قال تعالى: {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ} {الزلزلة٧}.

وقال تعالى: {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ} {آل عمران٣٠}

الفوز بالجنة: قال تعالى: " إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ "الحج.

ثانياً: احذر الذنوب والمعاصي

الْحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ : عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ

(١) متفق عليه (٢) روضة المحبين (٣) صحيح مسلم

يَقُولُ: الْحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ؛ فَمَنِ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ؛ أَلاَ وَإِنَّ لِكلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ إِنَّ حِمَى اللهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ" (١)

الله يغار ان يأتي المؤمن ما حرم الله: عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ وَغَيْرَةُ اللَّهِ أَنْ يأتي الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِ» (٢).

لا تجعل الله أهون الناظرين إليك: يتجرأ أحدنا على المعصية ولا يعاقبه الحليم جل جلاله على معصيته في التو واللحظة فينسى، ثم يرتكب معصية أخرى فيمهله الكريم جل وعلا فينسى الذنب الأول والثاني، ثم يرتكب معصية ثالثة فيمهله الحليم جل جلاله فينسى الذنب الأول والثاني والثالث والألف والألفين، وتتراكم الذنوب على العبد حتى تهلكه في الدنيا والآخرة، وأحذر نفسي وإياكم، يبدأ الإنسان بالمعصية في الخلوة وفي الستر حيث لا يراه أحد، يا للعار! لو أغلق على نفسه باب حجرته وأغلق النوافذ وأرخى الستائر وهو يرتكب معصية، والله الذي لا إله غيره لو تحركت قطة لأرتجف قلبه وإضطربت أعضائه، وقام ينظر من ثقب الباب هل استيقظت طفلته هل استيقظ ولده، وهو في حجرته يبارز الملك الذي يعلم السر وأخفى بالمعصية، هو في حجرته يشاهد فلماً داعراً فاضحاً، أو في مكتبه، أو في شقته التي أخرج منها زوجته يرتكب الزنا، أو يشرب الخمر، أو يعمل عمل قوم لوط، أو يأكل الربا، أو يأكل أموال اليتامى، أو يغتاب... إلى آخره، هو في معصية لو سمع صوت قطة أو لو حرك الهواء ستارة نافذته والله لأرتجف قلبه ولارتعدت فرائسه وقام وأغلق الجهاز ثم قام لينظر من ثقب الباب، هل استيقظ ابنه ابن الثالثة؟ هل استيقظن بنته بنت الرابعة، يا مسكين! تخشى من أن تراك ابنتك ولا تخشى أن يراك الملك الذي يعلم السر وأخفى، يا مسكين! جعلت الله أهون الناظرين إليك، تجرأت عليه بالزنا وتجرأت عليه بشرب الخمر، وتجرأت عليه بسب أمك وضرب والدك، وتجرأت عليه بأكل أموال اليتامى، وتجرأت عليه بعري امرأتك على شاطئ من شواطئ البحار، وتجرأت عليه بالظلم في منصبك الذي أنت فيه، وتجرأت عليه بأي صورة من صور الذنوب والمعاصي، وجعلته جل جلاله أهون الناظرين إليك، آهً يا نفس إن كنت تعتقدين أن الملك لا يراكِ -وأنت مصرة ومقيمة على معاصيه- فما أعظم كفرك به جل جلاله، وأنت

(١) متفق عليه (٢) متفق عليه

كنت تعلمين يقيناً أنه يراكِ -وأنت مصرة ومقيمة على الذنوب والمعاصي- فما أقل حيائك منه جل جلاله.

إذا ما قال لي ربي أما استحييت تعصيني ؟ ** وتُخفي الذنبَ عن خلقي وبالعصيانِ تأتيني
فكيف أجيبُ يا ويحي ومن ذا سوف يحميني؟ ** أُسلي النفس بالآمالِ من حينٍ الى حيني
وأنسى ما وراء الموت ماذا سوف تكفيني ** كأني قد ضّمنتُ العيش ليس الموت يكفيني
وجاءت سكرة الموت الشديدة من سيحميني؟ ** نظرتُ الى الوُجوهِ أليس منهُم سيفديني؟
سأُسأل ما الذي قدمت في دُنياي ينجيني ** فكيف إجابتي من بعد ما فرطت في ديني
ويا ويحي ألم أسمع كلام الله يدعوني؟ ** ألم أسمع بما قد جاء في قاف ويسِ
ألم أسمع بيوم الحشر يوم الجمع والدين ** ألم أسمع مُنادي الموت يدعوني يناديني
فيا رباه عبدُ تائبُ من ذا سيأويني ؟ ** سوى رب غفور واسعُ للحقِ يهديني
أتيتُ إليكَ فارحمني وثقّل في موازيني ** وخفّف في جزائي أنتَ أرجى من يجازيني

كان الصالحون إذا نزل البلاء بهم يقول قائلهم: لابد أني قد أذنبت ذنبا، لا بد أني فرطت في جنب الله تعالى، قصرت في حق الله ظلمت عبدا، ضيعت فريضة، انتهكت حرمة فيرجع تائبا مستغفرا متندما كما قال أبوه آدم وأمه حواء(قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [الأعراف: ٢٣]، وبعضهم يقول: (إني لأرى شؤم معصيتي في سوء خلق امرأتي ودابتي)، وشأن المؤمن أن يرد الخير إلى الله وأن أساء يقول فمني ومن الشيطان.

لو آمن الناس واتقوا واستقاموا لتنزلت عليهم بركات من السماء : قال تعالى:(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ)[الطلاق: ٢، ٣]، وقال تعالى(وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا (١٦) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا)[الجن: ١٦، ١٧].

ثالثاً: آثار الذنوب والمعاصي

المعصية سبب كل مصيبة: فالذنوب شؤم علينا في الدنيا والآخرة، وشؤم على الشعوب في الدنيا والآخرة، وشؤم على الأمم في الدنيا والآخرة، أقسم لكم بالله على منبر رسول الله لا تقع مصيبة في الأرض -مهما كان حجمها على المستوى الفردي أو الجماعي أو الأممي- إلا بسبب الذنوب والمعاصي ، حتى ما يحدث ويسموه المتخصصون "بغضب الطبيعة"، حاشا وكلا، يقولون لك "غضب الطبيعة"، زلزال هنا وثلوج هنالك وبرد قارص هنا وحرارة شديدة هنالك، ويسمي بعض

المتخصصون في الوسائل الإعلامية هذه الظواهر الطبيعية بقولهم "غضب الطبيعة"، حاشا وكلا، بل أُصدق وقل غضب الله جل جلاله، وربي الكعبة لو يؤاخذ الله الخلق على الأرض بذنوبهم ما ترك على ظهر الأرض من دابة.

قال تعالى: "ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ"الروم:٤١، وقال تعالى: "وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ"الشورى:٣٠، وقال جل وعلا "ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ"الأنعام:١٤٦

فلا تسقط حبة مطر بل لا تسقط ورقة في نخلة أو شجرة، بل ولا تتزلزل الأرض هنا بل ولا تخسف الأرض هنالك، ولا يسقط جليد أو ثلج ولا ينزل صقيع بارد ولا تنتشر في الأرض حرارة محرقة، ولا تغلو الأسعار ولا تكثر الفتن والمحن إلى آخر هذه الصور إلا بتقديره جل جلاله بسبب ذنوب الخلق ومعاصيهم.

الضنك والضيق: فما تعيش فيه البشرية الآن من ضنك، وما يحياه الأفراد الآن من هم وحزن ونكد وغم وضيق رزق وأمراض وأوبئةٍ وبلاء إلى غير ذلك، لو سألتومني عن كلمة واحدة كسبب رئيس لكل هذه المحن والفتن لأجبتكم بهذه الكلمة إنها الذنوب والمعاصي.

أيها المسلمون: ما الذي طرد إبليس من رحمة الله ولعنه؟، ما الذي أهلك فرعون وقومه؟ ما الذي أهلك قوم ثمود؟ ما الذي أهلك قوم صالح؟ ما الذي أهلك قارون وخسف به الأرض؟ ما هو السبب الرئيسي لما تحياه البشرية الآن من قلق واضطراب وأزمات نفسية واقتصادية مروعة؟ وأظن أن الفضائيات الآن قد حولت العالم كله إلى قرية صغيرة، فما يحدث هنا تراه هنالك، وما يحدث هنالك تراه هنا في التو واللحظة، البشرية الآن تعيش معنى الضنك، قال تعالى: "فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى) (طه)

إنه الضنك، الضنك في الصدور، الضنك في الأموال والأسواق، الضنك في البيوت، الضنك في القلوب، الضنك في المعاملات، كل نعيم بين يدي المبتعد والمعرض عن الله جل وعلا سيتحول إلى شقاء وضنك، وإن رأيته في الظاهر يتقلب في ألوان النعيم، المعصية شؤم على أصحابها من الأفراد والأمم والشعوب، شؤم عليهم في الدنيا والآخرة.

لعن الله تعالى لفاعلها: حينما ينزل شؤم المعصية على الناس يصيب الجميع الصالح والطالح،

الطالح لظلمه والصالح لسكوته على المنكر(لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)[المائدة: ٧٨، ٧٩]

إستدراج الله للعاصي: وان ما تراه الان من كثرة الرزق للعاصين ما هو الا استدراج لهم من الله حتى إذا اخذهم اخذ عزيز مقتدر، فعن عقبة بن عامر ﷺ أنه ﷺ قال: " إذا رأيت الله يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معاصيه فأعلم بأنه إستدراج له من الله عز وجل إقرأوا إن شئتم قوله تعالى " فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"الأنعام:٤٤-٤٥"(١)

الإهانة في الدنيا والآخرة: قال جل وعلا: "وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ"الحج:١٨

يعني من أهانه الله بسبب ذنوبه ومعاصيه لن يكرمه الخلق ولو أجمعوا على إكرامه، بل سيهينك الله على يد طفلك وعلى يد امرأتك، وسيهينك الله على يد قوتك أنت، تخونك قوتك أحوج ما تكون إليها، تدبر مني كل لفظة اليوم ورب الكعبة تخونك قوتك في لحظة تكون أحوج ما تكون إلى قوتك تخونك، لأن القلب فسد وضعفت إرادته وانقطع سيره عن ربه جل جلاله، فهذه القوة قوة البدن إنما هي ثمرة حتمية لقوة القلب ولطاعة الرب.

بغض الله والخلق له: عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « ..... وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ إِنِّى أُبْغِضُ فُلاَنًا فَأَبْغِضْهُ - قَالَ - فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِى فِى أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلاَنًا فَأَبْغِضُوهُ - قَالَ - فَيُبْغِضُونَهُ ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِى الأَرْضِ »(٢).

سواد الوجه: يقول ابن عباس: وإن للمعصية سواداً في الوجه وظلمة في القلب ووهناً في البدن وضيق في الرزق وبغض في قلوب الخلق (٣)، فالعاصي لو رآه واحد من الصالحين لعرفه، والله لو نظر أهل البصائر لأهل المعاصي لعرفوهم ،قد يتصور البعض أن السواد سيصبح سواداً حقيقياً يعني الأبيض يصبح أسود وهذا قد يقع ولا أستبعد ذلك، لكن على البشرة غضب، على الوجه غبرة وقتره، فتنظر إلى وجه العاصي له سحنة معينة، وجه الزاني ووجه شارب الخمر أعوذ بالله عليه غضب وعليه سحنه معينة يعرف بها أهل البصيرة أولئك من أهل الذنوب، عصمني الله وإياكم من الذنوب صغيرها وكبيرها.

(١) السلسلة الصحيحة (٢) صحيح مسلم (٣) روضة المحبين

الوحشة بين العبد وربه: والوحشة أمرها عجيب، ونبأها غريب وسرها ومكمنها أنها تنسي العبد حلاوة الحياة وسعادتها، لا تنعم -والله-بأطفال ولا تهدأ -والله-في بال، ولا تعيش في خير حال، تبدو دائماً قلقاً مشذباً منمدداً مزعزعاً حتى يقول ابن القيم: إن العاصي دائماً إذا سمع نفحة من ريح يظن أن الصوت عليه،قال تعالى: يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ [المنافقون:٤] ولذلك هو في وحشة، العاصي لو تحرك الباب خاف، لو سمع البوليس انتفض، لو أتت دعاية قال: ضدي، ولذلك: كاد المريب أن يقول خذوني فهي وحشة بينه وبين الله لأنه كما قيل: أوصدتم طرق الإجابة والقبول بينكم وبين الله، فكيف تطلبون حلاوة؟

قيل لأبي معاذ الرازي: أيجد العبد حلاوة الطاعة إذا هم بالمعصية؟ قال: لا والله، ولو فكر فيها، أي: إذا عمل معصية هل يجد حلاوة الطاعة؟ قال: لا والله، حتى ولو هم بها، مجرد هم لا يجد حلاوة الطاعة من الوحشة.

ضياع العمر: كل شيء يتعوض إلا العمر، وكل شيء إذا ذهب ربما تستعيده من طريق أو أخرى إلا العمر

ما مضى فات المؤمَّلُ غيب ** ولك الساعة التي أنت فيها

قال سبحانه: أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ [فاطر:٣٧]

وما تذكر فيه من تذكر موصولة بمعنى: الذي يتذكر ما تذكر، أو مصدرية أي: تذكر من يتذكر في هذه الحياة، وقال سبحانه: "قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فاسْأَلِ الْعَادِّينَ [المؤمنون] فلامهم الله عز وجل فقال: قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ [المؤمنون]، وعن ابن عباس ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: ((نِعْمَتَانِ مَغبونٌ فيهما كَثيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، وَالفَرَاغُ)) [1]

وأعظم ما يضيع العمر الغالي المعاصي، وأحرص ما حرص عليه السلف الصالح العمر، وإذا أتت المعاصي ذهبت الدنيا والآخرة والعياذ بالله، إن السلف كانوا يخافون من المباحات على الأوقات، والآن نحن أخذتنا المعاصي لا المباحات في الأوقات، فأسأل الله أن يتوب علينا وعليكم.

نروح ونغدو لحاجاتنا ** وحاجة من عاش لا تنقضي

تموت مع المرء حاجاته ** وتبقى له حاجة ما بقي

---

[1] صحيح البخاري

أشـــاب الصـــغير وأفنى الكبير ** كـر الـغـداة ومـر الـعشـــي
إذا لـيـلـة هـرمـت يـومـهـا ** أتـى بـعـد ذلـك يـوم فـتـي

وقال آخر: دقات قلب المرء قائلة له ** إن الحياة دقائق وثواني

وإن من المآسي التي شهدها كثير من المسلمين -فأنا لا أتحدث عن الكفار، فهؤلاء لا حسبان لهم في هذا الكلام، وهؤلاء في منأى، هؤلاء لا يوجه لهم الكلام؛ لأنهم أبطلوا وصـولهم وضـيعوا اتجاههم مع الله عز وجل، لكن على المسلمين-أعظم ما مني به المسلمون -إلا من رحم ربك-ضياع الوقت، ضياع العمر، فكيف إذا كان في المعاصي؟! كيف إذا كان في الخطايا؟!

حِرْمانُ الطاعة: يقول ابن القيم: حُبُّ الكتابِ وحبُّ ألحانِ الغناء في قلبِ عبدٍ ليس يجتمعـان. وذلك أن الطاعة قُربةٌ إلى الملك الديان، فلا يجد عبدٌ لذة الطاعة إلا بابتعاده عن المعصـية، ولذا قال سـبحانه في المنافقين:(وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ)(التوبة:٤٦).

قال الفضيل: إذا لم تقدر على قيام الليل، وصيام النهار، فاعلم أنك محروم مكبل كبلتك خطيئتك.

وقال شابٌ للحسن البصري: أعياني قيام الليل، فقال: قيدتك خطاياك.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الأخرة.

حرمان العلم : فإن العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تُطفئ ذلك النور.

ولما جلس الشـافعي بين يدي مالك وقرأ عليه الموطأ كاملا وكان قد حفظه في ثلاثة أيام فقط وما زال صغيرا، فرأى فيه قوة الحفظ وتوقُّد ذكائه، وكمال فهمه، فقال: إني أرى الله قد ألقى على قلبك نوراً، فلا تُطفئه بظلمة المعصية.

فقال الإمام الشافعي:

شَـكَوْتُ إلَى وَكِيعٍ سُـوءَ حِفْظِي ** فَأَرْشَـدَنِي إلَى تَرْكِ المعَاصـي
وَأَخْـبَـرَنِـي بـأَنَّ الـعِـلْـمَ نُـورٌ ** ونـورُ الله لا يـهـدى لعـاصـي

ضـياع الحسـنات: وعن ثوبان ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال لأعلمن أقواما من أمتي يأتون يوم القيامة بأعمال أمثال جبال تهامة بيضاء فيجعلها الله هباء منثورا، قال ثوبان يا رسول الله صفهم لنا حلهم لنا لا نكون منهم ونحن لا نعلم قال أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون

ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها" [١]

تحبط هذه الحسنات وتضيع، توحيدي يضيع!، صلاتي تضيع!، صيامي وزكاتي وحجتي وعمرتي ونفقتي وقيامي بالليل وذكري واستغفاري وإحساني وبري كل هذا يضيع! جبال حسنات تضيع تصبح هباءً منثورا لماذا، هل هؤلاء ليسوا من الأمة يا رسول الله، لا يمكن أن يكون هؤلاء من الأمة... لا إنهم من الأمة بل ومن خواص الأمة كيف؟ قال ﷺ: "أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون" -هؤلاء يصلون في الليل، ويقيمون الليل إنهم من الخواص، إذن ما الذي أضاع هؤلاء وجعل حسناتهم هباءً منثورا؟ اسمع ماذا قال الصادق، قال: "ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها"، المنتهك محارم الله مستخف بالملك، -انتبه إلى هذا حتى تعرف خطر الذنب من أين أتى لماذا هذا؟ لماذا هذه العقوبة البشعة؟ لأن المنتهك محارم الله مستخف بقدر الملك، فأنا وأنت لا نستطيع أن نفكر في انتهاك حرمة رئيس جمهورية أو أمير من الأمراء أو ملك من الملوك في قصره أو في مكتبه، لا نجرأ لا يخطر في فكرك أصلاً، فالمنتهك لحرمة الملك وهو يعلم مستخف بقدر الملك وبجلال الملك وبعظمة الملك سبحانه وتعالى، وفرق بين المستخف وبين المذنب الضعيف مثلي الذي يزل في الذنب لبشريته دون استخفاف منه بقدر ربه، قد أزل وقد تزل ولكن فرق بين زلة هذا وزلة ذاك، "قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها" أسألكم بالله كم تنتهك حرمات الملك في الليل والنهار على ظهر الأرض ولولا حلم الله وستره لخسف بأولئك الذين ينتهكون حرماته ويتعدون حدوده، فلا يآخذه الله بالذنب الذي إنتهك به حرمة الملك في الخلوة، يمهله.

فأنت شاهدت فلماً وشاهدت غيره ولك شهر ولك سنة وأنت لا تريد أن ترجع والملك يسترك، هذا أكل الحرام وأخذ الرشوة مرة وعشرة والملك يستره فينسى، والآخر يأكل الربا من سنوات والملك يمهله فينسى، والرابع يزني بزوجة جاره أو صاحبه والملك يسترها ويستره فتنسى وينسى، ويتصور أن الذنب هين على الله وأن الله لا يغار وأن الله لا يغضب، فيتمادى المسكين في الذنب، فيفعل الذنب بعد الذنب في الخلوة، ثم بعد ذلك يصل به الأمر من الجرأة على الله عز وجل وقلة الحياء من سيده ومولاه جل جلاله إلى ارتكاب نفس المعاصي والذنوب في الجلوة فلا يستحيي ولا يتورع بعد ذلك أن يجهر بذنبه ومعصيته، فيبرز من الخلوة إلى الجلوة، يا فلان! تعال يا فلان! ثم

---

[١] صحيح الترغيب والترهيب

يقول بأنه قد زنى بفلانه بالأمس، وقد شـــاهد الفلم الإباحي القذر الفلاني بالأمس، ثم يبدأ يدل الآخرين على الذنب وييسـر على الآخرين فعل الذنب، يا الله! اسـمع ماذا قال النبي ﷺ في حق هذا الصنف الخبيث المخذول المهان في الدنيا والآخرة إن لم يتدارك ويتعجل بالتوبة إلى الله

فعن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى، إِلاَّ الْمُجَاهِرِينَ وَإِنَّ مِنَ الْمَجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً، ثُمَّ يُصْبِحُ، وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ، فَيَقُولُ: يَا فُلاَنُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ "(١)

هذا مخذول وأظنكم تعلمون يقيناً أن هذا الصنف قد كثر، الصنف الذي يتباهى بالمعصية، الصنف الذي يردد المعصـية والذنب، يعتبر المعصـية بطولة ويعتبرها رجولة، هذه بطولة جوفاء ورجولة كذابة، فلا يستحيي بعد ذلك لجرأته على الله بسبب فساد قلبه بسبب الذنب والمعصية.

تفسد القلوب وتقطع سير القلب للرب: والله لو تدبرت هذا لفزع قلبك، فأنت تسير إلى الله بالقلب لا بالبدن، قال ابن القيم رحمه الله: اعلم أن العبد إنما يقطع منازل السير إلى الله تعالى بقلبه وهمته لا ببدنه فالتقوى في الحقيقة تقوى القلوب لا تقوى الجوارح، قال تعالى: "ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ"الحج ، وقال تعالى: "لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ "الحج ، وأشار الحبيب ﷺ يوماً إلى صدره الشريف وقال: "التقوى ها هنا، ثلاثاً"(٢)،

فالعبد إذا انقطع قلبه عن ربه أقبلت سحائب البلاء والشرور عليه من كل ناحية، فيصبح كالأعمى الذي يتخبط في حنادس الظلام، والقلب إن أشـــرق بنور الإيمان أقبلت وفود الخيرات والبركات والرحمات إليه من كل ناحية فينتقل صاحب هذا القلب المشرق بنور الإيمان من طاعة إلى طاعة ومن حسنة إلى حسنة ومن فضل إلى فضل، حتى يسعد بالنظر إلى من تفضل عليه، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

إلف المعصية: يتجرأ على الله في الخلوة ثم يجاهر بالمعصية، ثم يألف المعصية، يألفها، لا تؤثر الذنوب بعد ذلك في قلبه، ولا يستحيي من الله ولا من الخلق أن يراه على المعصية، فهو جالس على المقهى أو في الشارع أو في السوق الآن وأمة محمد تصلي الجمعة وهو منذ أكثر من مئات الجمع لا يستحيي من ربه ولا يستحيي من الخلق ولا من نفسه، فالجمعة بعد الجمعة بعد الجمعة وهو في السوق يبيع ويشتري لا حياء من الله ولا من الخلق، ألف المعصية، صارت عادةً قبيحةً له، يسمع

(١) صحيح البخاري (٢) صحيح مسلم

الآذان يؤذن للظهر والعصر والمغرب والعشاء وهو لا يتحرك ألف المعصية، لا يستحيي من ربه ولا من الخلق، وهذه تخرج عارية كشفت عن صدرها وعن عوراتها ولا تستحيي من ربها ولا من الخلق، ألفت المعصية، وهذا يأكل الربا ويأكل أموال اليتامى ويأكل الحرام ولا يستحيي من ربه ولا من الخلق، ألف المعصية، وهذا يشتم أمه ويسب أباه ويراه الناس من جيرانه ويعرف ذلك أصحابه ولا يستحيي من ربه ولا من الخلق، ألف المعصية، هذا يُخشى عليه أن يختم على قلبه وأن يطبع على قلبه فيهلك في الدنيا والآخرة، إلف المعصية خذلان وخسران في الدنيا والآخرة، ضاع الحياء من هذا العبد، ضاع حياءه من ربه، أولئك الذين ترونهم على المعاصي يكررونها ويفعلونها برتابه، هؤلاء ألفوا المعصية فصارت المعصية بالنسبة إليهم عادة لا تجرح مشاعرهم، المؤمن والله الذي لا إله غيره لو نظر نظرة في الحرام بحيث لا يطلع عليه إلا الله ينكس رأسه في الأرض بعدها خجلاً وحياءً من ربه، لأنه صاحب قلب حي يعرف جلال الله وعظمة الله، فلا تنظر إلى صغر المعصية ولكن انظر في حق من عصيت.

من خان الله في السر هتك الله ستره في العلانية: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ وَمَنْ رَاءَى رَاءَى اللَّهُ بِهِ»[1]. ماذا يعني؟ يعني من عمل عملاً يبغي به السمعة لا يبتغي به وجه الله سيجعل الله نيته وسره علانية وستسمع أنت بأذنيك ألسنة الخلق تردد الحق وتقول: فلان هذه صاحب شهرة، ويبتغي سمعة، ويبتغي مركزاً، ويبتغي كرسياً، ويبحث عن منصب، وهو منافق ونصاب وكذاب، وآخر إذا ذكر اسمه ورُؤي وجهه ذكر الملك هذا ولي من أولياء الله، "أولياء الله الذين إذا رُأوا ذُكر الله" اللهم اجعلنا منهم يا أرحم الراحمين، اعلم يقيناً أن سريرتك إن كانت خيراً سيظهرها ربك، وإن كانت شراً سيظهرها ربك، فألسن الخلق أقلام الحق، "من سَمّع، سَمّع الله به ومن يرائي يرائي الله به"، فمن خان الله في السر هتك الله ستره في العلانية، اللهم استرنا ولا تفضحنا في الدنيا والأخرة وأكرمنا ولا تهنا.

إذا ما خلوْتَ، الدّهرَ، يوْماً، فلا تَقُلْ ** خَلَوْتَ ولكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبُ
ولاَ تحْسَبَنَّ اللهَ يغفِلُ ساعة ** ولا أنَ مَا يخفَى عَلَيْهِ يغيب
لَهَوْنَا، لَعَمرُ اللهِ، حتى تَتَابَعَتْ ** ذُنُوبٌ على آثارهِنّ ذُنُوبُ
فَيا لَيتَ أنّ اللهَ يَغفِرُ ما مضَى ** ويأْذَنُ فِي تَوْباتِنَا فنَتُوبُ

---

(1) متفق عليه

إذَا ما مضَـى القَرْنُ الذِي كُنتَ فيهِمِ ** وخُلّفْتَ في قَرْنٍ فَـأنْـت غَريـبُ
وإنَّ أمرءًا قَدْ سـارَ خمسِـينَ حِجَّة ** إلـى مَـنْـهِـلٍ مِـنْ وردِهِ لـقَـرِيـبُ
نَسِـيبُـكَ مَنْ نـاجـاكَ بِـالوُدِّ قَلبُـهُ ** ولَيسَ لمَنْ تَحـتَ التّرابِ نَسـيـبُ
فـأحْسِـنْ جَزاءً مـا اجْتَهَدتَ فـإنّمـا ** بقرضِـكَ تُجْزَى والقُرُوضُ ضُـروبُ

قلة الرزق ومحق البركة: عن أنس ﷺ قال قال رسول الله ﷺ من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له" (١)

فيا من تعيش في ضنك وضيق من الرزق فتش عن ذنوبك، ويسأل سائل فيقول: لا يوجد مكان أفتحه إلا وأجد الدنيا مغلقه في وجهي، أقول لك أبحث عن ذنوبك، لا يوجد عمل أذهب إليه إلا ويتوقف، أقول لك أبحث عن ذنوبك، لي زمن لا أستطيع أجمع في يدي عشرة آلاف جنيه، أقول لك أبحث عن ذنوبك، أسئلة كثيرة... أقول لك أبحث عن ذنوبك، قال الله تعالى "ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ "الأنفال

أنت الذي غيرت، أنت الذي تركت طريق الطاعة، أنت الذي سلكت سبيل المعصية، أنت الذي شككت في وعد ربك وتسرعت وتعجلت لأخذ رزق قدره لك الله لأكنك صممت أن تأخذه بالمعصية ولو صبرت لأخذته بطاعة، وعن أبي أمامة قال قال رسول الله ﷺ " إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته "(٢)

فهو رزقك لا يأخذه أحد أبداً لكنك تسرعت وحصلت عليه بالحرام، لم تحرص على الحلال قال تعالى:(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)[النحل: ١١٢].

إذا كنت في نعمة فارعها فإن الذنوب تزيل النعم ** وصنها بطاعة الله فإن الإله سريع النقم

وقال آخر

رأيت الذنوب تميت القلوب** وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب** وخير لنفسك عصيانها

(١) صحيح سنن الترمذي (٢) صحيح الجامع

كثرة الأمراض وقلة الأمطار وتسلط العدو عليهم: عن عبد الله بن عمر قال أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم" (١)

فهو يدل على التوعد بالابتلاء بخمس عقوبات إذا حصل بعض المعاصي:

أولاها: الابتلاء بالطاعون والأمراض التي لم تعرف سابقاً إذا انتشرت الفواحش وظهرت ومن ذلك: السيدا -الإيدز -الذي ظهر مؤخراً.

والله أعلن عن الفاحشة وخصص لها فضائيات كاملة، وجند لها جنود، وخصصت لها أكثر من ٣ مليون موقع إباحي على الشبكة العنكبوتية تصور أفلام الزنى، والحليم لا يعجل وهو يغار.

والثانية: الابتلاء بالقحط والجفاف والغلاء وظلم السلاطين، إذا حصل نقص المكيال والميزان.

والثالثة: انقطاع الأمطار إذا تركت الزكاة.

والرابعة: تسليط العدو علينا بأخذ بعض أموالنا أو أراضيناً إذا حصل نقض عهد الله ورسوله.

والخامسة: وقوع الحروب بين المسلمين، وتسلط بعضهم على بعض إذا ترك الولاة الحكم بكتاب الله.

حب الدنيا وكراهية الموت: عن ثوبان قال قال رسول الله ﷺ يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ قال بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن فقال قائل يا رسول الله وما الوهن قال حب الدنيا وكراهية الموت " (٢).

سوء الخاتمة: عن جابر ﷺ قال قال رسول ﷺ " من مات على شيء بعثه الله عليه" (٣)

واحتضر رجل ممن كان يجالس شاربي الخمور، فلما حضره نزع روحه أقبل عليه رجل ممن حوله وقال: قل: لا إله إلا الله، فتغير وجهه وتلبد لونه وثقل لسانه، فردد عليه صاحبه: يا فلان قل: لا إله إلا الله، فالتفت إليه وصاح: لا.. اشرب أنت ثم اسقني، ثم ما زال يرددها حتى فاضت روحه.

---

(١) السلسلة الصحيحة (٢) السلسلة الصحيحة (٣) صحيح الجامع

وذكر ابن القيم الجوزية قصة لأحد الأشخاص عن سوء خاتمته في آخر لحظات من حياته حينما نزل به الموت قيل له: قل لا إله إلا الله، فجعل يقول: أين الطريق إلى حمام منجاب؟ قال: وهذا الكلام له قصة، وذلك أن رجلاً كان واقفاً بإزاء داره، وكان بابها يشبه باب هذا الحمام، فمرت به جارية لها منظر، فقالت: أين الطريق إلى حمام منجاب؟ فقال: هذا حمام منجاب، فدخلت ودخل وراءها، فلما رأت نفسها في داره وعلمت أنه خدعها أظهرت له البشر والفرح باجتماعها معه وقالت خدعة منها له وتخيلاً لتتخلص مما أوقعها فيه وخوفاً من فعل الفاحشة: يصلح أن يكون معنا ما يطيب به عيشنا وتقر به عيوننا، فقال لها: الساعة آتيك بكل ما تريدين وتشتهين، وخرج وتركها في الدار ولم يغلقها، فأخذ ما يصلح ورجع، فوجدها قد خرجت وذهبت، ولم تخنه في
شيء، فهام الرجل وأكثر الذكر لها وجعل يمشي في الطريق والأزقة ويقول:

يا رب قائلة يوماً وقد تعبت ***أين الطريق إلى حمام منجاب؟

ولم يزل كذلك حتى كان هذا البيت آخر كلامه من الدنيا

إذا كانت هذه هي آثار المعاصي فهل من توبة

اعلم ان باب التوبة مفتوح لا يغلق في أي لحظة من ليل أو نهار، ما عليك الآن إلا أن تعاهد ربك وأنت بين يديه على التوية، عاهد ربك بصدق على التوبة من أي ذنب ومن كل كبيرة ومن كل صغيرة -اسمع- وأنت على يقين مطلق بأن الملك سيفرح بتوبتك إليه الآن، الآن سيفرح الملك بك وهو أعلم بك مني وأعلم بك من نفسك، الآن وأنت جالس، منا الآن من صدق الله في التوبة وخرجت أنفاس التوبة ملفوحة بحرارة الصدق والإيمان من قلبه، والله لا يحجبها الآن شيء حتى تصعد إلى الملئ الأعلى ليفرح بها الملك الأعلى، هيا الآن، قال تعالى: " قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣)" الزمر.

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- أَنَّهُ قَالَ « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِى بِى وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِى وَاللَّهِ لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلاَةِ وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَىَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَىَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَىَّ يَمْشِى أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أُهَرْوِلُ » [١].

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهُ قَالَ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- بِسَبْيٍ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ تَبْتَغِى إِذَا وَجَدَتْ

---

(١) صحيح البخاري

صَبِيًّا فِى السَّبْىِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « أَتَرَوْنَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِى النَّارِ». قُلْنَا لاَ وَاللَّهِ وَهِىَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لاَ تَطْرَحَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا» (١).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: عشرة أسباب لمغفرة الذنوب ومحو آثار السيئات، فالمؤمن إذا فعل سيئة فإنّ عقوبته تندفع بعشرة أسباب:

الأول: أن يتوب فيتوب الله عليه، فإنّ التائب من الذنب كمن لا ذنب له

الثاني: أو يستغفر فيغفر الله له

الثالث: أو يعمل حسنات تمحوها فإنّ الحسنات يُذهبن السيئات

الرابع: أو يدعو له إخوانه المؤمنون، ويشفعون له حيّا وميتا

الخامس: أو يهدون له من ثواب أعمالهم لينفعه الله به

السادس: أو يشفع فيه نبيّه محمد ﷺ يوم القيامة

السابع: أو يبتليه الله في الدنيا بمصائب تُكفّر عنه

الثامن: أو يبتليه في البرزخ والصعقة، فيُكفّر بها عنه

التاسع: أو يبتليه في عرصات يوم القيامة من أهوالها بما يُكفّر عنه

العاشر: أو يرحمه أرحم الراحمين

فمن أخطأته هذه العشرة فلا يلومنّ إلاّ نفسه كما قال تعالى كما يرويه عنه رسوله محمّد ﷺ (يَا عِبَادِي! إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فَلاَ يَلُومَنَّ إلا نَفْسَهُ) (٢)

فاللهم إنا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) متفق عليه

(٢) عدة الصابرين ج١ ص٤١

صور المال الحرام وأثره المدمر على الفرد والمجتمع

الحمد لله رب العالمين أحمده حمد من رأى آيات قدرته وقوته، وشـــاهد الشـــواهد من فردانيته ووحدانيته، وطرق طوارق سره وبره، وقطف ثمار معرفته من شجر مجده وجوده، وأشكره شكر من اخترق واغترف من نهر فضـــله وإفضـــاله، وأومن به إيمان من آمن بكتابه وخطابه، وأنبيائه وأصفيائه، ووعده ووعيده، وثوابه وعقابه.

واشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير، سبحان من خلق الأشياء وقدرها ومن يجود على العاصي ويستره، يخفي القبيح ويبدي كل صالحة ويغمر العبد إحسانـا ويشكره، ويغفر الذنب للعاصي ويقبلـه إذا أنـاب وبالغفران يجبـره، ومن يلوذ به في دفع نـائبة يعطيه من فضله عزا وينصره.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه كاشف الظلم ورافع التهم وموضح الطريق للأمم، المخصوص بجوامع الكلم والمبعوث إلى جميع العرب والعجم.

ليس لدي من شفيع إلا النبي المصطفى ** ومن لدنك اصطفيته دون الأنـــام حبيب

صـــلى عليه وســـلم رب الســـماوات العلا ** ما ســـار ســـائـــر إليه بـــنـــاقة ونجـــيب

وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

العناصر

أولاً: أسباب أخذ المال الحرام ثانيًا: صور المال الحرام

ثالثًا: أضرار الكسب الحرام رابعًا: كيفية الابتعاد عن الحرام

الموضوع

أولاً: أسباب أخذ المال الحرام

الطمع وعدم الرضا بالقليل: وهو الذي يُفسِد على المرء دينَه ودنياه وأخراه، فالناظر إلى ما تعيشه البشرية في الحقبة الأخيرة من حروبٍ طاحنة، وظلم واستبداد، يرى الطمعَ هو الذي يجعل الدول يقتلُ بعضها بعضًا من أجل الاستيلاء على ثروات ومدَّخرات الأمم.

فعن كعب بن مالك - ﷺ - ، قَالَ : قَالَ رسول الله - ﷺ - : ((مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ المَرْءِ عَلَى المَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ)) (١).

قال المناوي: (فمقصودُ الحديث أن الحرص على المال والشرف أكثر إفسادًا للدِّين من إفساد الذئبينِ للغنم؛ لأن ذلك الأشر والبَطَر يستفزُّ صاحبه ويأخُذُ به إلى ما يضرُّه، وذلك مذمومٌ؛ لاستدعائه العلوَّ في الأرض والفساد المذمومينِ شرعًا)(٢).

وقال ابن عبد القدوس

لا تَحرِصَنَّ فَالحِرص لَيسَ بِزائِدٍ ** في الرِزقِ بَل يَشقى الحَريص وَيَتعَب
وَيَظَل مَلهوفاً يَروح تحيلا ** وَالرِزقُ لَيسَ بِحيلَةٍ يُستَجلَب
كَم عاجِزٍ في الناسِ يَأتي رِزقَه ** رَغداً وَيحرم كيس وَيَخيب

عدم الخوف والحياء من الله: وعن أبي مسعودٍ الأنصاري - ﷺ - قال : قال النبيّ - ﷺ - : ((إنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلاَمِ النُّبُوَّةِ الأولَى : إذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ)) . (٣)

إذا لم تخش عاقبة الليالي ** ولم تستح فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير ** ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير ** ويبقى العود ما بقي اللحاء

وقال آخر

ورب قبيحة ما حال بيني ** وبين ركوبها إلا الحياء
فكان هو الدواء لها ولكن ** إذا ذهب الحياء فلا دوا

قَالَ أَبُو حَسَّانٍ عِيْسَى بنُ عَبْدِ اللهِ البَصْرِيُّ: سَمِعْتُ الحَسَنَ بنَ عَرَفَةَ يَقُوْلُ: قَالَ لِي ابْنُ المُبَارَكِ: اسْتَعَرتُ قَلَماً بِأَرْضِ الشَّامِ، فَذَهَبتُ عَلَى أَنْ أَرُدَّهُ، فَلَمَّا قَدِمْتُ مَرْوَ، نَظَرْتُ، فَإِذَا هُوَ مَعِي، فَرَجَعتُ إِلَى الشَّامِ حَتَّى رَدَدْتُهُ عَلَى صَاحِبِهِ. (٤) ، وروي عن امرأة صالحة أنه قد أتاها نعي زوجها (خبر وفاته) وهي تعجن العجين فرفعت يدها ، وقالت : هذا طعام قد صار لنا فيه شريك (تعني الورثة).

الحرص على المكسب السريع : بعض الناس يستعجلون في قضية الرزق فهم يريدون الحصول على المال من أي جهة وبأي طريق حتى لو كان من حرام ، فالمكسب السريع عندهم هو الغاية المرجوة والهدف المنشود ، وقد يتأخر الرزق عن بعض الناس لحكمة يعلمها مقدر الأرزاق

(١) صحيح سنن الترمذي (٢) فيض القدير (٥/ ٤٤٥) (٣) صحيح البخاري (٤) الزهد لابن المبارك ١٩

ومقسمها ؛ فيحمله استبطاء الرزق على أن يطلبه بمعصية الله و ولقد حزر النبي ﷺ من ذلك فقال فيما رواه عنه ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " ليس من عمل يقرب من الجنة إلا قد أمرتكم به ولا عمل يقرب من النار إلا وقد نهيتكم عنه فلا يستبطئن أحد منكم رزقه فإن جبريل ألقى في روعي أن أحدا منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه فاتقوا الله أيها الناس وأجملوا في الطلب فإن استبطأ أحد منكم رزقه فلا يطلبه بمعصية الله فإن الله لا ينال فضله بمعصيته "(١)

فلا يبع العاقل دينه من أجل نعيم زائل يزول مع أول صبغة في النار أعاذنا الله منها فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا ، مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : يَا ابْنَ آدَمَ ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لاَ ، وَاللهِ ، يَا رَبِّ ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا ، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَيُصْبَغُ فِي الْجَنَّةِ صَبْغَةً ، فَيُقَالُ لَهُ : يَا ابْنَ آدَمَ ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لاَ ، وَاللهِ ، يَا رَبِّ ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ ، وَلاَ رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ. (٢)

الجهل بخطورة الكسب الحرام وحكمه : كثير من الناس يجهل خطورة الكسب الحرام وحكمه وأثره السيئ عليه ، ويتهاون في معرفة ما يحصله من أموال ، وما يتناوله من طعام .

عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : كَانَ لأبي بَكر الصديق - ﷺ - غُلاَمٌ يُخْرِجُ لَهُ الخَرَاجَ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ ، فَجَاءَ يَوْماً بِشَيءٍ ، فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَ لَهُ الغُلاَمُ : تَدْرِي مَا هَذَا ؟ فَقَالَ أَبُو بكر : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لإِنْسَانٍ فِي الجَاهِلِيَّةِ وَمَا أُحْسِنُ الكَهَانَةَ ، إِلاَّ أَنِّي خَدَعْتُهُ ، فَلَقِيَنِي ، فَأَعْطَانِي لِذلِكَ ، هَذَا الَّذِي أَكَلْتَ مِنْهُ ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ (٣) ((الخَرَاجُ)) : شَيْءٌ يَجْعَلُهُ السَّيِّدُ عَلَى عَبْدِهِ يُؤَدِّيهِ كُلَّ يَومٍ ، وَبَاقِي كَسْبِهِ يَكُونُ لِلْعَبْدِ .

وأوصت إحدى الصالحات زوجها وقالت له: يا هذا، اتق الله في رزقنا، فإنا نصبر على الجوع ولا نصبر على النار.

ثانياً: صور المال الحرام

الربا: عن سَمُرة بن جُندب قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلَّى أقبل علينا بوجهه، فقال: ((هل رأى أحدٌ منكم الليلةَ رؤيا؟))؛ الحديث، قال رسول الله ﷺ: ((رأيتُ الليلةَ رجلينِ أتَيَاني فأخَذا بيدي، فأخرَجاني

(١) السلسلة الصحيحة (٢) صحيح مسلم (٣) صحيح البخاري

إلى أرض مستوية أو فضاء))؛ الحديث، وقال فيه: ((فانطلَقْنا حتى انتهَيْنا إلى نهرٍ مِن دمٍ، فيه رجال قيام، ورجل قائم على شط النهر، بين يديه حجارة، فيقبل الذي في النهر فإذا أراد أن يخرُجَ منه، رماه الرجل بحجرٍ في فِيهِ، فردَّه حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرجَ رماه في فيه بحجرٍ فردَّه حيث كان، فقلتُ لهما: ما هذا؟ فقالا: الذي رأيته في النهر آكلُ الربا))(١)، وهذا إشارةٌ إلى ما يقع فيه من الطمع، كلما أراد الخروج منه طمِع، فرجَع لحبِّ المال.

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [البقرة: ٢٧٨]، وربما سمى الناس الربا بغير اسمه؛ كأن يقال: "الفائدة"، و"الفوائد"، أو "أذون الخزانة"، أو غير ذلك! وهذا كله لا يُخرِجُه عن كونه محرَّمًا، وقد أخبر النبيُّ ﷺ عن صنوفِ أهل آخِرِ الزمان بأنهم يأكلون الربا ويسمُّونه بغير اسمه، ويشربون الخمر ويسمونها بغير اسمها.

وما نُشاهِده اليوم من الفقر والفاقة إنما هو بسببِ محق البركة الناتج عن التعامل بالربا والله تعالى قد قال: (يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ) [البقرة: ٢٧٦]، بل إن الرِّبا أبلغ من كثير من الفواحش، ولكن الناس قلَّ أن يلتَفِتوا لذلك!

فعن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: ((اجتَنِبُوا السبعَ المُوبِقات))، قيل: يا رسولَ الله، وما هُنَّ؟ قال: ((الشركُ بالله، والسِّحرُ، وقتلُ النَّفْس التي حرَّم الله إلا بالحق، وأكلُ مال اليتيم، وأكلُ الرِّبا، والتولِّي يوم الزحف، وقذفُ المُحصَنات الغافلات المؤمنات)) (٢).

فالربا حرام بكل أشكاله ، وجميع تعاملاته ، قليله وكثيره سواء ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : " وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا " ، ولقد جاء التحذير من خطورة الربا أو التعامل به في سنة المصطفى ﷺ ، عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ : " لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ آكِلَ الرِّبَا ، وَمُؤْكِلَهُ ، وَكَاتِبَهُ ، وَشَاهِدَيْهِ ، وَقَالَ : هُمْ سَوَاءٌ " (٣)

الغش والخداع: وإخفاء العيوب، وتغيير تاريخ الصلاحية، ونسبة المنتَج إلى غير مُنتجِه، وغير ذلك من صورٍ تُسوِّل للإنسان نفسُه بها، وخاصة في ظل غياب الرقابة على المواصفات والمقاييس والمصانع والسلع ونحوها، وهذا كثير وكثير، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ. أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلاً فَقَالَ « مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ ». قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ « أَفَلاَ جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَىْ يَرَاهُ النَّاسُ مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّى »(٤)، والمقصود بالسماء : المطر ومعنى الصبرة : الكومة المجموعة بلا كيل ولا وزن .

(١) صحيح البخاري (٢) صحيح البخاري (٣) صحيح مسلم (٤) صحيح مسلم

الرشوة: قد انتشرت في شتى المصالح والدوائر - إلا مَن رحم ربك - وسمَّوها بغير اسمها، فهذا يقول: عمولته، وآخر يقول: دخانه، وثالث يقول: قهوته، وأصبحت المصالحُ لا تُقضَى إلا بها، وهذا من كبائر الذنوب التي لا يبالي بها كثيرٌ من أبناء الأمة!

عن عبد الله بن عمرو، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: ((لعَن الله الراشي والمرتشي)) (١).

قال الذهبي: "فيه أن الرشوة كبيرةٌ، قال: والناس في القضاء على مراتب في الجودة والرداءة، والقاضي مكشوف للناس لا يمكنه التستر، والناس شهداء الله في أرضه، فمَن ارتشى منهم وجار وتضرر به الخلق، فقد رأيناه جهارًا"(٢).

التعدي على المالِ العامّ: ومِن أخطر صور الجشع والطمعِ التعدّي على المالِ العامّ بالسرقة، أو النهب، أو الاختلاس، أو التفريط ، ولقد رأينا مَن يتخوضون في مالِ الله ويُضيّعونه، فرأينا مَن يسرق المليارات ويهربونها إلى خارج البلاد، ويسوي أموره - كما يقولون - ويظنون أنهم بذلك قد أمَّنوا مستقبلهم، وما علِموا أن ما فعَلوه من كبائر وعظائم الذنوب، فليس لهم في الآخرة إلا الفضيحة على الملأ، يوم الفضيحة الكبرى.

وعن أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ اسْتَعْمَلَ عَامِلاً، فَجَاءَهُ الْعَامِلُ حِينَ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هذَا لَكُمْ، وَهذَا أُهْدِيَ لِي فَقَالَ لَهُ: "أَفَلاَ قَعَدْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ فَنَظَرْتَ أَيُهْدَى لَكَ أَمْ لاَ ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَشِيَّةً، بَعْدَ الصَّلاَةِ، فَتَشَهَّدَ وَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَمَا بَالُ الْعَامِلِ نَسْتَعْمِلُهُ فَيَأْتِينَا فَيَقُولُ هذَا مِنْ عَمَلِكُمْ، وَهذَا أُهْدِيَ لِي، أَفَلاَ قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَنَظَرَ هَلْ يُهْدَى لَهُ أَمْ لاَ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَغُلُّ أَحَدُكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إِلاَّ جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ، إِنْ كَانَ بَعِيرًا جَاءَ بِهِ لَهُ رُغَاءٌ، وَإِنْ كَانَتْ بَقَرَةً جَاءَ بِهَا لَهَا خُوَارٌ، وَإِنْ كَانَتْ شَاةً جَاءَ بِهَا تَيْعَرُ، فَقَدْ بَلَّغْتُ، فَقَالَ أَبُو حُمَيْدٍ: ثُمَّ رَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ حَتَّى إِنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى عُفْرَةِ إِبْطَيْهِ" (٣)

فهم يسرقون ويُبرِّرون ذلك بأن أموال الدولة أموالٌ للشعب، وهذا أمرٌ في غايةِ الفساد والبطلان، فمالُ الدولة يُسمَّى مالًا عامًّا، وهذا يُصرَفُ في مصارف المسلمين العامَّة، ويُطعَم منه جائعُهم، ويُواسَى منه فقيرهم ومنكوبهم، وتُصرَف منه رواتب العاملين في الدولة، أما أخذُه مِن أي فرد بدون مسوّغٍ، فهو من أكل أموال الناس بالباطل، ويكفي في احترام المال العامّ مالِ الدولة أن سارقه

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب (٢) فيض القدير (٥/ ٢٦٨). (٣) متفق عليه

يُحَدُّ، والمال العام ليس أخفَّ من المال الخاص في التحريم، بل هو أشدُّ منه حرمة؛ لأن لكل فرد من أفراد المجتمع الحقَّ فيه، بخلاف المال الخاص.

عن عَدِيّ بن عَمِيْرَةَ - ﷺ - ، قَالَ : سمعت رَسُول الله - ﷺ - ، يقول : ((مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَل ، فَكَتَمَنَا مِخْيَطاً فَمَا فَوْقَهُ ، كَانَ غُلُولاً يَأتِي به يَومَ القِيَامَةِ)) فَقَامَ إليه رَجُلٌ أسْوَدُ مِنَ الأنْصَارِ ، كَأنِّي أنْظُرُ إلَيْهِ ، فَقَالَ : يَا رَسُول الله ، اقْبَلْ عَنِّي عَمَلَكَ ، قَالَ : ((وَمَا لَكَ ؟)) قَالَ : سَمِعْتُكَ تَقُولُ كَذَا وكَذَا، قَالَ : ((وَأَنَا أقُولُه الآنَ : مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ عَلَى عَمَلٍ فَلْيَجِيءْ بقَليله وَكَثيره ، فَمَا أُوتِيَ مِنْهُ أخَذَ ، وَمَا نُهِيَ عَنْهُ انْتَهَى)) (١)

وقال تعالى: (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) [آل عمران: ١٦١]

اقتراض المال وفي نيته عدم آدائه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ ، وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ " (٢) .

إن أكل المال بمثل هذه الصورة من صور المال الحرام هو ظلم وتعد على الأموال المعصومة ، فمن كانت لديه أموال لأناس أسدوا له معروفاً ، وقدموا له إحساناً فعليه أن يرد المال لأصحابه ، والإحسان إحساناً ، يقول الله جل وعلا : " هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (٦٠) " الرحمن.

وقال تعالى : " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا " النساء، واعلموا أيها الناس أن من يأكل أموال الناس بطريقة خسيسة ، وحيلة ملتوية ، لا إسلام ، ولا إيمان له ، ويصدق ذلك قول رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ " (٣) ، فأين الإسلام ممن لم يسلم الناس من يده ، وأين الإيمان ممن لم يرع أموال الناس ، فاتقوا الله عباد الله ، وردوا الأمانات إلى أهلها ، وتوبوا إليه قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، وإنما هي الحسنات والسيئات.

بيع المسلم على بيع أخيه ، وشرائه على شرائه: كمن يشتري سلعة من شخص ، ثم يأتي آخر ، فيعرض مبلغاً أكثر من الأول بقصد الإضرار أو بلا قصد ، فهذا بيع وشراء محرم ، وكذلك بيع المسلم على بيع أخيه ، كمن يبيع سلعة على شخص ثم يأتي بائع آخر ، فيعرض سلعته على المشتري بقصد الإضرار بالبائع الأول ، أو بغير قصد ، فهذا بيع وشراء حرام ، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ

(١) صحيح مسلم (٢) صحيح البخاري (٣) صحيح البخاري

النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ « لاَ يَبِعِ الرَّجُلُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ وَلاَ يَخْطُبْ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ إِلاَّ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ »(١) . ، فلا يجوز للمسلم إذا رأى أخيه المسلم أقدم على شراء سلعة أن يقدم على شرائها ، حتى يتم البيع أو يترك المشتري السلعة ، ولا يجوز للمسلم أن يبيع سلعة على مسلم قد باعها إياه بائع آخر ، حتى يتم البيع أو يترك المشتري ، وكذلك لا يجوز أن يسوم المسلم على سوم أخيه ، لقوله ﷺ : " لَا يَسُومُ الرَّجُلُ عَلَى سَوْمِ أَخِيهِ " (٢) هذه من محاسن الإسلام ، وخصاله الحميدة ، وصفاته النبيلة ، التي فقدها كثير من التجار ، ولم يرمها كثير من الناس اليوم ، لا سيما في بيعهم وشرائهم ، فعليكم بتقوى الله ، وتحري الكسب الحلال في أموالكم ، فالله طيب لا يقبل إلا طيباً .

بيع النجش: وهو أن يزيد أو ينقص في ثمن السلعة من لا يريد شراءها ، وإنما يريد الإضرار بالبائع أو المشتري ، سواءً كان متواطئاً مع البائع أم المشتري أم لم يكن ، فكل ذلك من أكل المال الحرام ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ : " نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ النَّجْشِ " (٣) ، فاحذروا عباد الله أسباب سخط الله تعالى ، وكلوا الرزق الحلال الطيب ، ليبارك لكم فيما رزقكم ربكم .

بيوع أخرى محرمة: بعض العمال والأجراء يتفق مع الزبون لبيع السلعة بسعر ، ويخفي السعر الحقيقي عن صاحب العمل ، ويأخذ الفرق بين السعرين ، وهذا حرام لما فيه من الغش والكذب والخيانة.

ومن الأموال المحرمة بيع سلعة تقليدية أو تجارية على أنها سلعة أصلية ، ولا يخفى على كل مسلم ما لهذا العمل المشين من خيانة للمسلمين ، وأكل أموالهم بالباطل ، وهذا لا شك أنه يأكل هذا المال ظلماً وعدواناً ، إنما يأكل في بطنه ناراً ، فليتق الله ويسلم ، أو ليعصه فيندم .

ويدخل في ذلك أيضاً بيع آلات اللهو والطرب ، وبيع أشرطة الغناء ، وأشرطة الفيديو التي تحوي مسلسلات هابطة ، وأفلام خليعة ، مخلة بالآداب ، ملفتة إلى الحرام ، وتصد عن سبيل الله وعن الصلاة ، وتبعد عن طريق الله القويم ، وصراطه المستقيم .

ومن الأموال المحرمة بيع الدخان والشيشة والمخدرات ، مما لا يخفى على كل مسلم ضررها على الأفراد والمجتمعات والأمم ، وإن الله عز وجل إذا حرم شيئاً حرم ثمنه ، فهذه الأموال التي بسببها يتم تدمير شباب الأمة ورجالها ونسائها ، حرام أشد الحرمة ، وصاحبها معرض للعقوبة والعياذ

(١) صحيح مسلم (٢) صحيح سنن الترمذي (٣) صحيح البخاري

بالله ، إذا وضع في قبره ، وعند لقاء ربه ، هذه الأموال بهذه الطرق الغير مشروعة سحت حرام ، وكل جسد نبت من السحت فالنار أولى به والعياذ بالله .

أكل مال الغير من الأعيان بغير حق: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :"لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ بِغَيْرِ حَقِّهِ ، إِلَّا طَوَّقَهُ اللَّهُ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " (١) .

ألا فلتعلمَ أن ما أكلتَ من حق أختك وغيرك من الضعفاء؛ من مال وعقار؛ ستُطوقه يومَ القيامة بإذن الله، لو ظلمتهم جنيهًا سيأتي عليك نارًا، وعَنْ أَبِى أُمَامَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ « مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ». فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ »(٢). الأراك : جمع أراكة وهي شجرة يستاك بقضبانها

أكل مال اليتيم: لقد حذَّر الإسلام أشد الحذر من أكل أموال اليتامى بالباطل وعدَّه من الكبائر؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ)، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: (الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ) (٣) ، وقال الله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا} [النساء: ١٠]

التسول وسؤال الناس بلا حاجة أو ضرورة: فالتسول سبب لمحق بركة المال ، عَنْ مُعَاوِيَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « لاَ تُلْحِفُوا فِى الْمَسْأَلَةِ فَوَاللَّهِ لاَ يَسْأَلُنِى أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا فَتُخْرِجَ لَهُ مَسْأَلَتُهُ مِنِّى شَيْئًا وَأَنَا لَهُ كَارِهٌ فَيُبَارَكَ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتُهُ »(٤).

التسول تعتيم لصورة الإسلام المضيئة ، وتشويه لحقيقته الوضاءة ، فكم سعى الأعداء للنيل من الإسلام بشتى الطرق والوسائل ، ومنها تغيير منهج المساجد وملؤها بأولئك المتسولين والمتسولات ، حتى تفاقم الوضع وانتشر ، وزاد المكر والخطر ، ينهبون الناس بكلمات رقيقة جذابة ، صنعها لهم صُناع الكلمة من العصابات ، والمؤسسات المنحرفة ، عَنْ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِىَّ -ﷺ- قَالَ « لاَ تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَلَيْسَ فِى وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ »(٥). ومزعة يعني قطعة

وكم من الناس اليوم من يعاني الفقر ، ويصارع الجوع ، ويدفع الفاقة ، ومع ذلك تراه عفيف النفس ، شامخ الأخلاق ، فلا يمد يديه إلا لله ، ولا يُنزل حاجته إلا بالله ، ومع فقره وشدة حاجته

---

(١) صحيح مسلم
(٢) صحيح مسلم
(٣) صحيح البخاري
(٤) صحيح مسلم
(٥) صحيح مسلم

فهو كما قال الله تعالى : " لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢٧٣) "البقرة ، وهناك من الناس من يسأل عباد الله ، ويترك من بيده خزائن السموات والأرض ، لا حاجة ولا فاقة ، وإنما إكثاراً من الأموال وتكسباً ، فأصبح التسول هو وظيفته ، ومصدر رزقه ، وقَالَ ﷺ : " لَا يَفْتَحُ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَابَ مَسْأَلَةٍ ، إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ ، يَأْخُذُ الرَّجُلُ حَبْلَهُ فَيَعْمِدُ إِلَى الْجَبَلِ ، فَيَحْتَطِبُ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَأْكُلُ بِهِ ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ ، مُعْطًى أَوْ مَمْنُوعًا " (١)

ومع حرمة التسول ، وأليم عقابه في الآخرة ، إلا أن هناك أنواعاً من التسول أجازها الشارع الكريم فعَنْ قَبِيصَةَ بْنِ مُخَارِقٍ الْهِلَالِيِّ قَالَ : تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ أَسْأَلُهُ فِيهَا ، فَقَالَ : " أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا " ، ثُمَّ قَالَ : يَا قَبِيصَةُ ! إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدِ ثَلَاثَةٍ : رَجُلٍ تَحَمَّلَ حَمَالَةً فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا ثُمَّ يُمْسِكُ ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ ، أَوْ قَالَ : سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ ، أَوْ قَالَ : سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ ، فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتًا ، يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا " (٢)

والحجا : العقل الكامل، الفاقة : الحاجة والفقر، القوام : ما تقوم به الحاجة الضرورية

فلا تحل المسألة إلا لثلاثة وهم رجل تحمل حمالة: يعني التزم في ذمته لإصلاح ذات البين، فهذا يعطي وله أن يسأل حتى يصيبها ثم يمسك ولا يسأل، ورجل - آخر - أصابته جائحة اجتاحت ماله كنار وغرق وعدو وغير ذلك فيسأل حتى يصيب قواما من عيش ، والثالث: رجل كان غنيا فافتقر بدون سبب ظاهر وبدون جائحة معلومة فهذا له أن يسأل لكن لا يعطى حتى يشهد ثلاثة من أهل العقول من قومه بأنه أصابته فاقة فيعطي بقدر ما أصابه من الفقر .

فهؤلاء الثلاثة هم الذين تحل لهم المسألة وما سوى ذلك فإن الرسول ﷺ قال: وما سواهن من المسألة يا قبيصة سحت يأكلها صاحبها سحتا ، والسحت هو الحرام وسمي سحتا لأنه يسحت بركة المال، وربما يسحت المال كله فيكون عليه آفات وغرامات تسحت ماله من أصله (٣).

(١) السلسلة الصحيحة
(٢) صحيح مسلم
(٣) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين

ثالثاً: أضرار الكسب الحرام

ظلمة القلب وكسل الجوارح عن الطاعة: الكسب الحرام له آثار وأضرار وخيمة على صاحبه فهو يؤدي إلى ظلمة القلب وكسل الجوارح عن طاعة الرب ، ونزع البركة من الرزق والعمر .

وقال ابن عباس ﷺ:" إن للحسنة نوراً في القلب، وضياء في الوجه، وقوة في البدن، وزيادة في الرزق، ومحبة في قلوب الخلق. وإن للسيئة سواداً في الوجه، وظلمة في القلب، ووهنا في البدن ، ونقصاً في الرزق وبغضاً في قلوب الخلق" .

ويقول يحيى بن معاذ: الطاعة خزانة من خزائن الله إلا أن مفتاحها الدعاء، وأسنانه لقم الحلال.

خرج الأمير شروان للصيد فأدركه العطش فرأى في البرية بستاناً وعنده صبي فطلب منه ماء فقال ليس عندنا ماء قال ادفع لي رمانة فدفعها إليه فاستحسنها فنوى أخذ البستان ثم قال ادفع لي أخرى فدفع له أخرى فوجدها حامضة فقال أما هي من الشجرة الأولى قال نعم قال كيف تغير طعمها قال لعل نية الأمير تغيرت فرجع عن ذلك في نفسه ثم قال ادفع لي أخرى فدفع له أخرى فوجدها أحسن من الأولى فقال كيف صلحت قال بصلاح نية الأمير (١).

دخول النار والحرمان من الجنة: قال تعالى: " يا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩) وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) " النساء.

وعن أَبي أمامة إياس بن ثعلبة الحارثي - ﷺ - : أَنَّ رَسُول الله - ﷺ - ، قَالَ : ((مَن اقْتَطَعَ حَقَّ امْرىء مُسْلِم بيَمينه ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ ، وَحَرَّمَ عَلَيهِ الجَنَّةَ)) فَقَالَ رَجُلٌ : وإِنْ كَانَ شَيْئاً يَسيراً يَا رَسُول الله ؟ فَقَالَ : ((وإِنْ قَضيباً مِنْ أَرَاك)) (٢)، وعن خولة الأنصارية أن رسول الله ﷺ قال: «إن رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة»(٣)

عدم قبول الدعاء: عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) وَقَالَ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) ». ثُمَّ ذَكَرَ

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس، للصفوري صـ ٧
(٢) صحيح مسلم
(٣) صحيح البخاري

الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ » (١).

ولما سعى أهل الكوفة به إلى سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه أرسل جماعة للكوفة يسألون عن حاله من أهل الكوفة فصاروا كلما سألوا عنه أحدا قال خيرا وأثنى عليه ، حتى سألوا رجلا يقال له أبو سعدة فذمه وقال لا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية ، فلما بلغ سعدا ذلك قال : اللهم إن كان كاذبا فأطل عمره وأدم فقره وأعمي بصره وعرضه للفتن فعمي وافتقر وكبر سنه وصار يتعرض للإماء في سكك الكوفة فإذا قيل له كيف أنت يا أبا سعدة يقول شيخ كبير فقير مفتون أصابتني دعوة سعد (٢) ، فالكسب الحرام سبب في منع قبول الدعاء واستجابة الرجال ورفع العمل الصالح لأن الله طيب لا يقبل إلا طيبا .

عدم قبول العمل الصالح: عن عمر بن الخطاب - ﷺ - ، قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيبَر أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبيِّ - ﷺ - ، فقَالُوا : فُلاَنٌ شَهِيدٌ ، وفُلانٌ شَهِيدٌ ، حَتَّى مَرُّوا عَلَى رَجُلٍ ، فقالوا : فُلانٌ شَهِيدٌ . فَقَالَ النَّبيُّ - ﷺ - : ((كَلاَّ ، إِنِّي رَأَيْتُهُ في النَّار في بُرْدَةٍ غَلَّهَا أَوْ عَبَاءة)) (٣)

رأيتُ حَلالَ المالِ خيرَ مغَبةٍ ** وإياكَ والمالَ الحرامَ فإنه
وإياكَ والمالَ الحرامَ فإنه ** وبالٌ إذا ما قدّم الكفانِ

وقال آخر :

لا ترغبنْ في كثيرِ المالِ تكنزهُ ** من الحرامِ فلا ينمى وإن كَثُرا
واطلبْ حلالاً وإن قلّتْ فواضلهُ ** إن الحلالَ زكيٌ حيثما ذُكِرا

رابعاً: كيفية الابتعاد عن الحرام

القناعة والرضا: عن حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ ﷺ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي؛ ثُمَّ قَالَ: يَا حَكِيمُ إِنَّ هذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ، الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لاَ أَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ، يَدْعُو حَكِيمًا إِلَى الْعَطَاءِ، فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُ ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ ﷺ دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ

(١) صحيح مسلم (٢)أنساب الإشراف ٢٩٦/٣ (٣) صحيح مسلم

شَيْئًا فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي أُشْهِدُكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حَكِيمٍ، أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ مِنْ هذَا الْفَيْءِ فَيَأْبَى أَنْ يَأْخُذَهُ فَلَمْ يَرْزَأْ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَتَّى تُوُفِّيَ)) (١).

تقوى الله: قال تعالى : (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) [الطلاق: ٣] .

وما عند الله تعالى من رزق حلال إنما يطلب بطاعة الله ؛ وهذا الذي يأخذ الرشوة أو يأكل الربا أو يظلم الناس ، إنما يطلب الكسب بمعصية الله ، ومن غير طرقه المشروعة ، ولا يدرك ما عند الله إلا بطاعته فعن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال ليس من عمل يقرب من الجنة إلا قد أمرتكم به ولا عمل يقرب من النار إلا وقد نهيتكم عنه فلا يستبطئن أحد منكم رزقه فإن جبريل ألقى في روعي أن أحدا منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه فاتقوا الله أيها الناس وأجملوا في الطلب فإن استبطأ أحد منكم رزقه فلا يطلبه بمعصية الله فإن الله لا ينال فضله بمعصيته"(٢)

الحذر من تعلق القلب بالمال: قال الحسن البصري رحمه الله: والله لقد أدركتُ أقوامًا وإن كان أحدُهم لَيَرِثُ المال العظيم، قال: وإنه والله لمجهودٌ شديدُ الجهد، قال: فيقول لأخيه: يا أخي، إني قد علمت أنَّ ذا ميراثٌ وهو حلال، ولكني أخاف أن يُفسِد عليَّ قلبي وعملي، فهو لك لا حاجة لي فيه، قال: فلا يرزأ منه شيئًا أبدًا، قال: وهو والله مجهود شديد الجهد (٣).

الاقتداء بالنبي ﷺ والسلف الصالح: عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَبِيِّ ﷺ، قَالَ: إِنِّي لأَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِي فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً عَلَى فِرَاشِي فَأَرْفَعُهَا لآكُلَهَا، ثُمَّ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً فَأُلْقِيهَا" (٤)

عن أبي هُرَيْرَةَ قال أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ فَجَعَلَهَا فِى فِيهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « كِخْ كِخْ ارْمِ بِهَا أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لاَ نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ ». (٥)

أبو بكر الصديق ﷺ لما تولى الخلافة فى صبيحة ولايته بخرج من بيته واضعا حبله على عاتقه ذاهبا إلى السوق متاجرا ليعيش من كسب يده فينادى عليه عمر بن الخطاب ﷺ قائلاً: يا أبا بكر قد كفيناك اجلس لمصالح المسلمين. ثم ينادى عمر ﷺ على أبى عبيدة بن الجراح أمين الأمة ويقول يا أبا عبيدة: اجعل لأبى بكر ما يكفيه وأهله من بيت المال فيقول أبو عبيدة: له مقدار شاه فى كل يوم وليلة وله ثوب فى الصيف وثوب فى الشتاء لا يأخذ ثوب الصيف إلا إذا سلم ثوب الشتاء ويستمر

---

(١) صحيح البخاري
(٢) صحيح الترغيب والترهيب
(٣) الزهد؛ للإمام أحمد ٤٤٤
(٤) صحيح البخاري
(٥) صحيح مسلم

أبو بكر على هذا مراعيا لحق الأمة حريصا على مالها العام. ويدخل عمر ﷺ ليحصي تركه أبى بكر بعد موته فيجدها تساوى القليل فيبكى ويقول: لقد أتعبت من جاء بعدك.

عمر بن الخطاب لما تولى الخلافة سار بالمسلمين أعظم سيرة حافظا لها ولأموالها مراعيا حرمة المال العام حتى إنه يسير يوما فيرى أبقارا سمانا فيقول لمن هذه الأبقار فيقولون له إنها لعبد الله بن عمر فيقول ﷺ: ضموها إلى بيت المال فوالله ما سمنت إلا باسم أمير المؤمنين. إذا رعت هنا أو هناك يقولون دعوها إنها أبقار ابن أمير المؤمنين. ردوها إلى بيت المال. جاءوا له بزكاة المسك فوضع يده على أنفه حتى لا يشتم رائحته ورعاً عن المال العام فقالوا يا أمير المؤمنين إنما هي رائحة ؛ فقال: وهل يستفاد منه إلا برائحته ؛ الله أكبر فأين من نظر للمال العام بأنه غنيمة باردة فأخذ ينهب منها بغير حساب، وكان يقول: ((كنَّا نَدَعُ تسعةَ أعشار الحلال؛ مخافةَ الوقوع في الحرام)).

عمر بن عبد العزيز سليل الأماجِد الطاهرين، جاءه أحد الولاة وأخذ يحدثه عن أمور المسلمين وكان الوقت ليلاً وكانوا يستضيئون بشمعة بينهما ، فلما انتهى الوالي من الحديث عن أمور المسلمين وبدأ يسأل عمر عن أحواله قال له عمر : انتظر فأطفأ الشمعة وقال له : الآن اسأل ما بدا لك ، فتعجب الوالي وقال : يا أمير المؤمنين لما أطفأت الشمعة ؟ فقال عمر : كنت تسألني عن أحوال المسلمين وكنت أستضيء بنورهم ، وأما الآن فتسألني عن حالي فكيف أخبرك عنه على ضوء من مال المسلمين ، أطْفَأَ المصباح؛ حتى لا يستعمل مالَ المسلمين في غير ما هو لعامَّة المسلمين. لقد كانتْ لهم مواقفُ رائعة في تعفُّفهم عن المال العام؛ ليَضربوا المثلَ لغيرهم على مدى التاريخ، ووقفوا بقوَّة أمام التصرُّفات التي يظنُّ أنَّ فيها مسَاسًا بأموال المسلمين، فصادروا ما رأوه من هذا القبيل، وأوْدَعوه بيت المال، إنه لا يعصم من الانحرافِ بخصوص المال العامِّ إلا رقابةُ الله – تعالى – الذي لا تَخفى عليه خافيةٌ في الأرض ولا في السماء، وإلاَّ الإيمانُ بأنَّ كلَّ لحمٍ نَبَت من سُحْتٍ، فالنارُ أوْلَى به، وإلاَّ حُسْنُ اختيار من تُوكَل إليهم الأمور على أساس الخبرة والأمانة؛ كما قال يوسف للعزيز: (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) [يوسف: ٥٥].

أن الله تعالى بين الحكمة من إنزال المال وهي عبادته تعالى: عن أبي واقد الليثيّ قال: كنا نأتي النبيَّ ﷺ إذا أنزل عليه، فيحدِّثنا، فقال لنا ذات يوم: ((إن الله عز وجل قال: إنَّا أنزلنا المال لإقام

الصلاة وإيتاء الزكاة، ولو كان لابن آدم وادٍ لأحَبَّ أن يكون إليه ثانٍ، ولو كان له واديانِ لأحبَّ أن يكون إليهما ثالثٌ، ولا يملأُ جوفَ ابن آدم إلا الترابُ، ثم يتوب الله على مَن تاب))[١]

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: "فأخبر سبحانه أنه أنزَل المال ليُستَعان به على إقامةِ حقِّه بالصلاة، وإقامة حق عباده بالزكاة، لا للاستمتاع والتلذُّذ كما تأكل الأنعام، فإذا زاد المال على ذلك، أو خرج عن هذين المقصودين، فات الغرضُ والحكمة التي أُنزل لها، وكان الترابُ أولى به، فرجع هو والجوف الذي امتلأ بمحبتِه وجمعِه إلى التراب الذي هو أصله، فلم ينتفع صاحبُه به، ولا انتفع الجوفُ الذي امتلأ به بما خُلق له من الإيمان والعلم والحكمة؛ فإنه خُلق لأَنْ يكون وعاءً لمعرفة ربه وخالقه، والإيمان به ومحبته وذِكره، وأنزل عليه مِن المال ما يَستعينُ به على ذلك، فعطَّل الجاهلُ بالله وبأمر الله وبتوحيد الله وبأسمائه وصفاته جوفَه عمَّا خُلِق له، وملأه بمحبة المال الفاني الذاهب، الذي هو ذاهبٌ عن صاحبه أو بالعكس، وجمعه والاستكثار منه، ومع ذلك فلم يمتلِئْ، بل ازداد فقرًا وحرصًا إلى أن امتلأ جوفُه بالتراب الذي خُلق منه، فرجع إلى مادته الترابية التي خُلق منها هو وماله، ولم تتكمَّل مادته بامتلاءِ جوفه من العلم والإيمان، الذي بهما كمالُه وفَلاحه وسعادته في معاشه ومعاده، فالمال إن لم ينفَعْ صاحبَه، ضرَّه ولا بد، وكذلك العلم والملك والقدرة، كل ذلك إن لم ينفَعْه ضرَّه، فإن هذه الأمور وسائلُ لمقاصدَ يُتوسَّل بها إليها في الخير والشر، فإن عُطِّلت عن التوسل بها إلى المقاصد والغايات المحمودة، تُوسِّل بها إلى أضدادها؛ فأربحُ الناسِ مَن جعلها وسائل إلى الله والدار الآخرة، وذلك الذي ينفعه في معاشه ومعاده، وأخسرُ الناس مَن توسَّل بها إلى هواه ونَيْل شهواته وأغراضه العاجلة، فخسِر الدنيا والآخرة، فهذا لم يجعَلِ الوسائلَ مقاصدَ، ولو جعلها كذلك لكان خاسرًا، لكنه جعلها وسائل إلى ضد ما جُعِلت له، فهو بمثابة مَن توسَّل بأسباب اللذَّة إلى أعظم الآلام وأدومها"[٢].

فأين الذين شغَلهم المال عن عبادة الكبير المتعال؟ وأين الذين كان ولاؤهم وبراؤهم، وحبُّهم وبغضهم من أجل المال؟ وأين الذين أنساهم المالُ اللهَ تعالى، فأنساهم الله تعالى أنفسَهم فلم ينتبهوا إلا وهم في معسكرِ الأموات؟ .

نرى أن الإسلام يقر وجود هاتين الغريزتين في الإنسان. والمال في الإسلام وسيلة لا غاية، فهو وسيلة إلى مرضاة الله -عز وجل- وليس هو غاية في حد ذاته. واعتبره الإسلام من الضروريات

---

(١) السلسلة الصحيحة (٢)عدة الصابرين (ص: ١٣٤).

التي أمَرَ الشرع بحِفْظها: "الدِّين، والنفس، والعقْل، والنَّسْل، والمال". واعتبره من أهمِّ أساليب تعمير الأرض؛ لتُعين الإنسان على عبادة الله – عزَّ وجلَّ

العلم بأن جوارحه أمانه ومسئول عنها بين يدي الله: عينك وسمعك ويدك ورجلك وفرجك وجميع جوارح جسدك كلها امانة ستسأل يوما ما عن تفريطك فيها او استخدامها فى غير ما خلقت له، قال تعالى: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) الإسراء.

العلم بنهى الله تعالى ورسوله ﷺ عن الخيانة: فقال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)"الأنفال"

قال البيضاوي-رحمه الله-: وأصل الخون: النقص كما أن أصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الأمانة لتضمنه إياه، والخيانة آية المنافق ودليل نفاقه وعصيانه، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان» (١)

العلم بأنه مسئول عنه يوم القيامة: عن أَبي برزة نَضْلَة بن عبيد الأسلمي - ﷺ - ، قَالَ : قَالَ رَسُول الله - ﷺ - : ((لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يومَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أفنَاهُ ؟ وَعَنْ عِلمِهِ فِيمَ فَعَلَ فِيهِ ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أيْنَ اكْتَسَبَهُ ؟ وَفِيمَ أنْفَقَهُ ؟ وَعَنْ جِسمِهِ فِيمَ أبلاهُ ؟)) (٢)

ان المال كما هو زينة فهو فتنة كذلك: قال تعالى: "زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ) [آل عمران:]

وقال تعالى: (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) [الكهف: ٤٦]

وقال تعالي (وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا) [الفجر: ٢٠] فكما أن المال نعمة وزينة ويحبه الإنسان هو كذلك فتنة فعن كعب بن عياض - ﷺ - ، قَالَ : سَمِعْتُ رسول الله - ﷺ- ، يقول : ((إنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً ، وفِتْنَةُ أُمَّتِي : المَالُ)) (٣)

قال المناوي رحمه الله: "((إن لكل أمةٍ فتنةً))؛ أي: امتحانًا واختبارًا، وقال القاضي: أراد بالفتنة الضلالَ والمعصية، ((وإن فتنةَ أمتي المالُ))؛ أي: الالتهاءُ به؛ لأنه يشغَلُ البال عن القيام بالطاعة، ويُنسِي الآخرة، قال سبحانه وتعالى: (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) [التغابن: ١٥]، وفيه أن المال فتنةٌ،

(١) متفق عليه (٢) صحيح سنن الترمذي (٣) صحيح سنن الترمذي

وبه تمسَّك من فضَّل الفقر على الغنى، قالوا: فلو لم يكُنِ الغنى بالمال إلا أنه فتنةٌ، فقلَّ مَن سلِم مِن إصابتها له وتأثيرها في دينه، لكفى" (١)

فاللهم ارزقنا الحلال وبارك لنا فيه ، وجنبنا الحرام وبغضنا فيه .

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) فيض القدير (٢/ ٥٠٧)

ألا إنهم هم السفهاء

الحمد لله منشئ الموجودات، وباعث الأموات، وسامع الأصوات، ومجيب الدعوات، وكاشف الكربات، عالم الأسرار، وغافر الأوزار، ومنجي الأبرار، ومهلك الفجار، ورافع الدرجات، وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

يا من له علم الغيوب ووصفه ** ستر العيوب وكل ذاك سماح
أخفيت ذنب العبد عن كل الورى ** كرمل فليس عليه ثمّ جناح
فلك التفضل والتكرم والرضا ** أنت الكريم الواهب الفتاح

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ** فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ** فيه العفاف وفيه الجود والكرم
أنت النبي الذي ترجى شفاعته ** عند الصراط إذا ما ذلت القدم
أنت البشير النذير المستضاء به ** وشافع الخلق إذ يغشاهم الندم

وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين.

العناصر

أولاً: صفات السفهاء
ثانيًا: مواقف السفهاء مع الأنبياء
ثالثًا: التحذير منهم
رابعًا: كيفية تتعامل معهم

الموضوع

تعريف السفهاء: سَفيه: (اسم)، والجمع: سُفَهاءُ، وسِفاهٌ المؤنث: سفيهة وسَفَائِهُ، وسُفَّهٌ، وسِفَاهٌ السَّفِيهُ: من يبذّر ماله فيما لا ينبغي، السَّفِيهُ: الجاهلُ، ثوبٌ سَفِيهٌ: رديءُ النسْجِ، وزِمامٌ سَفِيهٌ: مضطربٌ وناقةٌ سَفِيهةُ الزِّمامِ: خفيفةُ السَّيرِ [١]، والسّفهاء هم الخفاف العقول: اليهود ومن شاكلهم في إنكار تحويل القبلة [٢]

(١) معجم المعاني
(٢) معجم كلمات القران

" والسَّـفَهُ والسَّـفاهُ والسَّـفاهة: خِفَّةُ الحِلْم، وقيل: نقيض الحِلْم، وأَصـله الخفة والحركة، وقيل: الجهل وهو قريب بعضـه من بعض، وقد سَفِهَ حِلْمَه ورأْيَه ونَفْسَـه سَفَهاً وسَفاهاً وسَفاهة: حمله على السَّـفَهِ، وقال ابن القيّم رحمه الله: (السَّـفَه غاية الجهل، وهو مركَّبٌ مِن عدم العلم بما يُصْـلِح معاشــه ومعاده، وإرادته بخلافه)، فالســفهاء تعني الجهلاء وخفاف العقول والذين يقدمون هواهم على الحق ويعارضــونه مع علمهم بأنه الحق والذين يفعلون ما يضــر ولا ينفع لنفســهم ولغيرهم والذين يضيعون أموالهم ولا يحسنون التصرف فيها....

أولاً: صفات السفهاء

هم المفسـدون ويوهمون الناس بأن غيرهم هو من يُفسـد: قال تعالى: " وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَـهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (١٢)"

ولقد وقف السـفهاء من موسـى -عليه السلام – مواقف كلها تدل على الرعونة والخفة والسـفه، فوصـفوا موسـى -عليه السلام -بالإفساد رغم أنه جاء ليحررهم من فساد فرعون وجند فها هو رأس الفساد وأسفه من عرفته البشرية فرعون اللعين الذي وصفه الله بخمسة جرائم فقال الله تعالى:(إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ)[القصص: ٤]، فتأملوا في ذلك الغر المأفون وهو يقول لقومه(وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ)[غافر: ٢٦].

يقول سـيد قطب -رحمه الله -(فهل هناك أطرف من أن يقول فرعون الضـال الوثني، عن موسـى رسول الله - عليه السلام- (إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ)[غافر: ٢٦]؟!!

أليسـت هي بعينها كلمة كل طاغية مفسـد عن كل داعية مصـلح؟ أليسـت هي بعينها كلمة الباطل الكالح في وجه الحق الجميل؟ أليســت هي بعينها كلمة الخداع الخبيث لإثارة الخواطر في وجه الإيمان الهادئ، إنه منطق واحد. يتكرر كلما التقى الحق والباطل، والإيمان والكفر. والصــلاح والطغيان على توالي الزمان واختلاف المكان. والقصة قديمة مكررة تعرض بين الحين والحين.

وعلى منوال الطاغية نسجت حاشية السفهاء فوصفوا موسى بالإفساد(وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا

فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ)[الأعراف: ١٢٧].

يظنون أنفسهم أعلى من غيرهم: قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لا يَعْلَمُونَ (١٣)} البقرة

أي وإذا قيل للمنافقين: {آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ} أي: كإيمان الناس بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والجنَّة والنَّار وغير ذلك، مما أخبر المؤمنين به وعنه، وأطيعوا الله ورسوله في امتثال الأوامر وترك الزواجر {قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ} يعنون -لعنهم الله-أصحابَ رسول الله ﷺ، رضي الله عنهم، يقولون: أنصير نحن وهؤلاء بمنزلة واحدة وعلى طريقة واحدة وهم سفهاء!! والسفهاء: جمع سفيه، كما أن الحكماء جمع حكيم [والحلماء جمع حليم] والسفيه: هو الجاهل الضعيف الرّأي القليل المعرفة بمواضع المصالح والمضار.

وقد تولى الله، سبحانه، جوابهم في هذه المواطن كلها، فقال {أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ} فأكد وحصر السفاهة فيهم، {وَلَكِنْ لا يَعْلَمُونَ} يعني: ومن تمام جهلهم أنهم لا يعلمون بحالهم في الضلالة والجهل، وذلك أردى لهم وأبلغ في العمى، والبعد عن الهدى. (١)

البعد عن الصواب دائمًا: قال تعالى: {وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا} الجن.

قال السعدي: أي قولا جائرا عن الصواب، متعديا للحد، وما حمله على ذلك إلا سفهه وضعف عقله، وإلا فلو كان رزينا مطمئنا لعرف كيف يقول.

لا يحسنون التصرف فيما عندهم لذلك نهى الله تعالى عن اعطائهم الأموال: قال تعالى:(وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا)[النساء: ٥]

قال الإمام الرازي: واعلم أن تعلق هذه الآية بما قبلها هو كأنه تعالى يقول: إني وإن كنت أمرتكم بإيتاء اليتامى أموالهم وبدفع صدقات النساء اليهن، فإنما قلت ذلك إذا كانوا عاقلين بالغين متمكنين من حفظ أموالهم، فأما إذا كانوا غير بالغين، أو غير عقلاء، أو ان كانوا بالغين عقلاء إلا أنهم كانوا سفهاء مسرفين، فلا تدفعوا إليهم أموالهم وأمسكوها لأجلهم إلى أن يزول عنهم السفه، والمقصود من كل ذلك الاحتياط في حفظ أموال الضعفاء والعاجزين.

وقيل إن المراد بالسفهاء في الآية كل من لا يحسن التصرف في المال ويضيعه كالنساء والصغار وغيرهم، ومعنى {التي جَعَلَ الله لَكُمْ قياما} أي أنه لا يحصل قيامكم ولا معاشكم إلا بهذا المال (٢)

(١) تفسير ابن كثير بتصرف (٢) تفسير الرازي بتصرف

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ : عن النبي ﷺ قال: ثلاثة يدعون الله فلا يستجاب لهم رجل كانت تحته امرأة سيئة فلم يطلقها ورجل كان له مال فلم يشهد عليه ورجل آتى سفيها ماله وقد قال الله عز وجل: {ولا تؤتوا السفهاء أموالكم}" (١)

أفعالهم سبب في الهلاك: قال تعالى: "وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (١٥٥)" الأعراف

ذكر الطبري في تفسيره عن السدي: إن الله أمر موسى عليه السلام أن يأتيه في ناسٍ من بني إسرائيل، يعتذرون إليه من عبادة العجل، ووعدهم موعدًا، فاختار موسى قومه سبعين رجلا على عينه، ثم ذهب بهم ليعتذروا. فلما أتوا ذلك المكان قالوا: لن نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهرة، فإنك قد كلمته، فأرناه! فأخذتهم الصاعقة فماتوا، فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول: رَبِّ ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم، لو شئتَ أهلكتهم من قبل وإيّاي! (٢)

أعمالهم رياءًا وسمعة وليست خالصة لوجه الله وتكون سبب في دخولهم النار: عن كعب بن مالك قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من طلب العلم ليجاري به العلماء أو ليماري به السفهاء ويصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار" (٣)، وقال السندي في حاشيته على ابن ماجه: قَوْله (لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاء) أَيْ يُجَادِل بِهِ ضِعَاف الْعُقُول.

سفهاء أخبر عنهم سيد الأنبياء: إن الناظر إلى ما يدور في كثير من الفضائيات عبر الشاشات وكذلك عبر مواقع الاتصال الاجتماعي ليرى سفهاء قد جعلوا دين الله تعالى لهم هدفا وسبوبة يكتسبون من خلفها المال، فرأينا من يطعن في الصحابة، ورأينا من يطعن في صحيح السنة، ورأينا من يشكك في القرآن، ورأينا سفهاء الأحلام يعترضون على كلام وأحكام رب الأنام فهذا يقول: إن الإسلام ظلم المرأة، وآخر يقول بوجوب المساواة بين الرجل والمرأة في الميراث، وآخر يقول يجب تحرير المرأة من الإسلام.....

فعن عَلِيٍّ ﷺ، قَالَ: "إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَأَنْ أَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكْذِبَ عَلَيْهِ، وَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، فَإِنَّ الْحَرْبَ خَدْعَةٌ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ، حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ كَمَا

(١) صحيح الجامع (٢) تفسير الطبري (٣) صحيح الترغيب والترهيب

يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لاَ يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (١)

وها هو ذلك الزمان الذي أصبح فيه السفيه الكذاب مصداقا في قوله وأصبح العَالِمُ مكذبا في قوله فعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ "سيأتي على الناس سنوات خداعات يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين وينطق فيها الرويبضة قيل وما الرويبضة قال الرجل التافه في أمر العامة"(٢)

وفي رواية " السفيه ينطق في أمر العامة وفي رواية الفاسق يتكلم في أمر العامة.

وصدق ابن القيم رحمه الله عندما قال عن أشباه هذا الرويبضة: [ومنهم من مخالطته حمى الروح وهو الثقيل البغيض العقل الذي لا يحسن أن يتكلم فيفيدك ولا يحسن أن ينصت فيستفيد منك ولا يعرف نفسه فيضعها في منزلتها بل إن تكلم فكلامه كالعصي تنزل على قلوب السامعين مع إعجابه بكلامه وفرحه به فهو يحدث من فيه كلما تحدث ويظن أنه مسك يطيب به المجلس وإن سكت فأثقل من نصف الرحى العظيمة التي لا يطاق حملها ولا جرها على الأرض].

ثانياً: مواقف السفهاء مع الأنبياء

السخرية من سيدنا نوح عليه السلام واتهامه بالضلال: قال تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٦٠) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦١) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٢)) [الأعراف].

فنبي الله نوح الذي جاء ليبين لهم أن عبادتهم الأصنام لا تجلب لهم نفعا ولا تدفع عنهم ضرا وصفوه بالضلال أية عقول تلك التي لا تميز بين النافع والضار؟

وإلى متى بلغ بهم استخفاف أقوامهم وتسفيه عقولهم عندما أخبروهم أن هذه الأصنام آلهة أو شفعاء لهم عند الله؟ إنه سفه العقول الذي يقود صاحبه إلى الهاوية وإلى العذاب الأليم.

السخرية من نبي الله هود عليه السلام واتهامه بالسفاهة: قال تعالى: "وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٧) أُبَلِّغُكُمْ

(١) صحيح البخاري (٢) السلسلة الصحيحة

رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٨)" الأعراف.

فها هو يدعوهم إلى الحق وإلى ما ينفعهم في الدنيا والآخرة ومع ذلك يتهمونه بنقص العقل والجنون مع انهم لو نظروا في حال أنفسهم لوجدوا أنهم هم السفهاء.

إيذاء نبي الله موسى عليه السلام واتهامه بالعيب والبرص في جسده: لقد عانى نبي الله موسى عليه السلام -من سفه قوم فرعون ومن بني إسرائيل العناء الشديد فقد كان لهؤلاء السفهاء دورا بارزا في محاربة نبي الله موسى عليه السلام -والصد عن سبيل الله والوقوف أمام دعوة الحق واستخدموا كل ما لديهم من وسائل لمحاربة الدعوة، ويظهر موقف السفهاء ذوي العقول الطائشة من نبيهم موسى -عليه السلام- في تلك الشائعات التي روجوها عنه بأنه به عاهة أو درن في جسده وذلك لأن بني إسرائيل كانوا يغتسلون عاريا ينظر بعضهم إلى عورة بعض ولكن كليم الله موسى - عليه السلام- كان شديد الحياء فكان يغتسل وحده فشنع عليه السفهاء من أجل ذلك قال الله تعالى(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا) [الأحزاب: ٦٩].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ مُوسَى عليه السلام كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا لَا يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ فَآذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَالُوا: مَا يَتَسَتَّرُ هَذَا التَّسَتُّرَ إِلَّا مِنْ عيب في جلده إِمَّا بَرَصٌ وَإِمَّا أُدْرَةٌ وَإِمَّا آفَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى عليه السلام، فَخَلَا يَوْمًا وَحْدَهُ، فَخَلَعَ ثِيَابَهُ عَلَى حَجَرٍ، ثُمَّ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا فرغ أقبل على ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا، وَإِنَّ الْحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ، فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الْحَجَرَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: ثَوْبِي حَجَرٌ، ثَوْبِي حَجَرٌ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ، وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ، وَقَامَ الْحَجَرُ، فَأَخَذَ ثَوْبَهُ، فَلَبِسَهُ، وَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ، فَوَاللَّهِ إِنَّ بِالْحَجَرِ لَنَدَباً مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا - قَالَ - فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا) [الأحزاب: ٦٩]. (١) ، [ومعنى: (حييا) كثير الحياء. (ستيرا) من شأنه ودأبه حب الستر وصون نفسه عن رؤية أحد لعورته. (برص) بقع بياض تكون على الجلد. (أدرة) انتفاخ في الخصية. (آفة) عيب. (عدا) مشى مسرعا. (قام الحجر) وقف عن السير. (وجيها) ذا جاه ومنزلة لا يسأل الله تعالى شيئا إلا أعطاه إياه].

اتهامهم للنبي ﷺ بالجنون والسحر .....: لقد تطاول السفهاء على النبي - ﷺ - وطعنوا في رسالته

(١) صحيح البخاري

حيث دعاهم إلى عبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد فقالوا في خفة وطيش كما أخبرنا العليم الخبير عن مقالهم (وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ * أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ) [ص: ٤ - ٨].

قال ان كثير: يقول تعالى مخبرا عن المشركين في تعجبهم من بعثة الرسول بشرا، كما قال تعالى: { أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ } وقال هاهنا: { وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ } أي: بشر مثلهم، { وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا } أي: أزعم أن المعبود واحد لا إله إلا هو؟! أنكر المشركون ذلك -قبحهم الله تعالى-وتعجبوا من ترك الشرك بالله، فإنهم كانوا قد تلقوا عن آبائهم عبادة الأوثان وأشربته قلوبهم فلما دعاهم الرسول ﷺ إلى خلع ذلك من قلوبهم وإفراد الله بالوحدانية أعظموا ذلك وتعجبوا وقالوا: {أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ وَانْطَلَقَ الْمَلأ مِنْهُمْ} وهم سادتهم وقادتهم ورؤساؤهم وكبراؤهم قائلين: {[أن] امْشُوا} أي: استمروا على دينكم {وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ} ولا تستجيبوا لما يدعوكم إليه محمد من التوحيد.

وقوله: {إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ} قال ابن جرير: إن هذا الذي يدعونا إليه محمد ﷺ من التوحيد لشيء يريد به الشرف عليكم والاستعلاء، وأن يكون له منكم أتباع ولسنا مجيبيه إليه.

وسبب نزول هذه الآيات: قال السدي: إن أناسا من قريش اجتمعوا فيهم: أبو جهل بن هشام والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب والأسود بن عبد يغوث في نفر من مشيخة قريش، فقال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى أبي طالب فلنكلمه فيه، فلينصفنا منه فليكف عن شتم آلهتنا وندعه وإلهه الذي يعبده؛ فإنا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون منا إليه شيء. فتعيرنا به العرب يقولون: تركوه حتى إذا مات عنه تناولوه". فبعثوا رجلا منهم يقال له المطلب" فاستأذن لهم على أبي طالب فقال: هؤلاء مشيخة قومك وسراتهم يستأذنون عليك. قال: أدخلهم. فلما دخلوا عليه قالوا: يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا فأنصفنا من ابن أخيك فمره فليكف عن شتم آلهتنا وندعه وإلهه. قال: فبعث إليه أبو طالب فلما دخل عليه رسول الله ﷺ قال: يا ابن أخي هؤلاء مشيخة قومك وسراتهم وقد سألوك أن تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك وإلهك. قال: "يا عم أفلا أدعوهم إلى ما هو خير

لهم؟" قال: وإلام تدعوهم؟ قال: "أدعوهم إلى أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب ويملكون بها العجم". فقال أبو جهل من بين القوم: ما هي وأبيك؟ لنعطينها وعشرة أمثالها. قال: تقولون: "لا إله إلا الله". فنفر وقال: سلنا غير هذا قال: "لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها" فقاموا من عنده غضابا، وقالوا: والله لنشتمنك وإلهك الذي أمرك بهذا. {وَانْطَلَقَ الْمَلأ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ}

رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وزاد: فلما خرجوا دعا رسول الله ﷺ عمه إلى قول: "لا إله إلا الله" فأبى وقال: بل على دين الأشياخ. ونزلت: {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} [القصص:٥٦] (١)

سخرية السفهاء من قضية تحويل القبلة: لقد تجمع السفهاء من اليهود والمنافقون والمشركون جميعا ليطعنوا في رسالة النبي عندما منَّ الله على نبيه بتحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى البيت الحرام قال الله تعالى مخبرا عن سفه هؤلاء(سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)[البقرة: ١٤٢].

قال البيضاوي في تفسير السفهاء: هم الذين خفت أحلامهم واستمهنوها بالتقليد والإعراض عن النظر، يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين. وفائدة تقديم الإخبار توطين النفس وإعداد الجواب.

قال السعدي -رحمه الله -: (قد اشتملت الآية الأولى على معجزة، وتسلية، وتطمين قلوب المؤمنين، واعتراض وجوابه، من ثلاثة أوجه، وصفة المعترض، وصفة المسلم لحكم الله دينه.

فأخبر تعالى أنه سيعترض السفهاء من الناس، وهم الذين لا يعرفون مصالح أنفسهم، بل يضيعونها ويبيعونها بأبخس ثمن، وهم اليهود والنصارى، ومن أشبههم من المعترضين على أحكام الله وشرائعه، وذلك أن المسلمين كانوا مأمورين باستقبال بيت المقدس، مدة مقامهم بمكة، ثم بعد الهجرة إلى المدينة، نحو سنة ونصف - لما لله تعالى في ذلك من الحكم التي سيشير إلى بعضها، وكانت حكمته تقتضي أمرهم باستقبال الكعبة، فأخبرهم أنه لا بد أن يقول السفهاء من الناس: (مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا) [البقرة: ١٤٢] وهي استقبال بيت المقدس، أي: أيُّ شيء صرفهم عنه؟ وفي ذلك الاعتراض على حكم الله وشرعه، وفضله وإحسانه، فسلاهم، وأخبر بوقوعه، وأنه إنما يقع ممن اتصف بالسفه، قليل العقل، والحلم، والديانة، فلا تبالوا بهم، إذ قد علم مصدر هذا

(١) تفسير ابن كثير

الكلام، فالعاقل لا يبالي باعتراض السفيه، ولا يلقي له ذهنه. ودلت الآية على أنه لا يعترض على أحكام الله، إلا سفيه جاهل معاند، وأما الرشيد المؤمن العاقل، فيتلقى أحكام ربه بالقبول، والانقياد، والتسليم كما قال تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) [الأحزاب: ٣٦] (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ) [النساء: ٦٥]، (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) [النور: ٥١] وقد كان في قوله (السُّفَهَاءَ) ما يغني عن رد قولهم، وعدم المبالاة به(١)

ثالثاً: التحذير منهم

تحذير الله تعالى من مجالسة السفهاء وأصحاب السوء: لأن الإنسان بطبعه وحكم بشريته يتأثر بصفيّه وجليسه، ويكتسب من أخلاق قرينه وخليله، ويوم القيامة يعَضُّ من اختار صاحب السوء أصابع الندم، ويتحسر على ما فاته في دنياه؛ يقول تعالى:(وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا)[الفرقان: ٢٧ -٢٩].

وقال تعالى: " وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٦٨)" الأنعام.

قال الشافعي رحمة الله عليه

يخاطبني السفيه بكل قبح ** فأكره أن أكون له مجيبا
يزيد سفاهة فأزيد حلما ** كعود زاده الاحراق طيبا

******

إذا سبني نذل تزايدت رفعة ** وما العيب الا ان اكون مسابه
ولو لم تكن نفسي علي عزيزة ** لمكنتها من كل نذل تحاربه

التحذير من إمارة السفهاء: عن جابر بن عبد الله ﷺ أن النبي ﷺ قال لكعب بن عجرة أعاذك الله من إمارة السفهاء قال وما إمارة السفهاء قال أمراء يكونون بعدي لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم ولا يردون على حوضي ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم وسيردون على حوضي، يا

(١) تفسير السعدي

كعب بن عجرة الصيام جنة والصدقة تطفىء الخطيئة والصلاة قربان أو قال برهان، يا كعب بن عجرة الناس غاديان فمبتاع نفسه فمعتقها وبائع نفسه فموبقها" [١]

و(إمارة السُّفَهاء، وهو فعلهم المستفاد منه مِن الظُّلم والكذب وما يؤدِّي إليه جهلهم وطيشهم).

قال المناوي: (إمارة السُّفَهاء -بكسر الهمزة-. أي: ولايتهم على الرِّقاب؛ لما يحدث منهم مِن العنف والطَّيش والخِفَّة، جمع سَفِيهٍ، وهو ناقص العقل، والسَّفَه)، وهذا تحذير من إمارة السفهاء فقد يصل المرء إلى درجة مرموقة ويصل إلى سدة الحكم ولكنه في خفة وطيش ورعونة السفهاء وأسوتهم في ذلك فرعون لعنه الله تعالى -وهل ما نراه الآن من ظلم وتعسف وإزهاق للأرواح في سورية وغير من بلدان العالم إلا بسبب تسلط السفهاء على سدة الحكم؟

تحذير السلف من مجالستهم: عن أبي جعفر الخطمي أنَّ جدَّه عمير بن حبيب -وكان قد بايع النَّبيَّ ﷺ أوصى بنيه، قال لهم: (أي بني! إيَّاكم ومخالطة السُّفَهاء؛ فإنَّ مجالستهم داء، وإنَّه مَن يَحْلم عن السَّفيه، يُسَرَّ بحلمه، ومَن يُجِبه يندم) [٢]، وأوصى المنذر بن ماء السَّماء ابنه النُّعمان بن المنذر، فقال: (آمرك بما أمرني به أبي، وأنهاك عمَّا نهاني عنه: آمرك بالشُّح في عِرْضك، والانخِدَاع في مالك، وأنهاك عن ملاحاة الرِّجال وسيَّما الملوك، وعن ممازحة السُّفَهاء..) [٣]

وقال عمير بن حبيب بن خماشة -وكان أدرك النّبيّ - ﷺ- عند احتلامه. يوصي بنيه فقال: «بنيَّ إيّاكم ومجالسة السّفهاء؛ فإنّ مجالستهم داء، من يحلم عن السّفيه يسرّ، ومن يجبه يندم، ومن لا يرض بالقليل ممّا يأتي به السّفيه يرض بالكثير» [٤]

رابعاً: كيفية تتعامل معهم

يبتلى المرء في حياته بأناس لا تنفع معهم كل وسائل التعامل الراقي لأنهم تربوا على السفاهة! فكيف يتصرف تجاههم؟

إن السفيه طويل اللسان، سيء الكلام، قبيح الجواب. فإن كان غلاماً يافعاً نعلل ذلك بأنه لم يأخذ نصيبه من التربية في بيت أبيه أو في مدرسته أو في مجتمعه، أو إنه لما يفهم معنى الحياة بعد، ولذلك فهو لا يعرف كيف يتعامل مع الناس لجهله بأقدارهم. وقد تعركه التجارب وتطحنه السنون فيتعلم ويصبح من أهل الأحلام والنهى. لكن المصيبة تكون عندما يتجاوز سن الطيش ويبقى سفيهاً فمتى نتوقع منه أن يرشد، فإذا ابتليت بسفيه، فأفضل وسيلة للتعامل معه هي تجاهله وعدم الرد عليه،

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب (٢) السنن الكبرى للبيهقي (٣) المجالسة وجواهر العلم (٤) مجمع الزوائد (٨/ ٦٤)

فلا تضرك أذيته، بل الأفضل ألا تلقي له بالاً حتى لا تشغلك كلماته، ولا تعتمل في فكرك عباراته فتأخذ من وقتك وجهدك واهتمامك وتملك مشاعرك.

وقد أمر الله رسوله ﷺ بأن يقْبَل الميّسر الممكن من أخلاق الناس وأعمالهم، وأمره بكل قول حسن وفِعْلٍ جميل، وأمره أن يعرض عن منازعة السفهاء ومساواة الجهلة الأغبياء فقال له (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ). والإعراض يكون بالترك والإهمال، والتهوين من شأن ما يجهلون به من التصرفات والأقوال، وعدم الدخول معهم في جدال ينتهي بالشد والجذب، وإضاعة الوقت والجهد. وفي هذا صيانة له ورفعا لقدره عن مجاوبتهم.

وقد دخل رجل على عمر ﷺ فقال: يا ابن الخطاب، والله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل! فغضب عمر حتى همّ بأن يقع به. فقال له جليس عنده: يا أمير المؤمنين، إن الله قال لنبيه ﷺ (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) وإن هذا من الجاهلين. فما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافا عند كتاب الله عز وجل.

وعن أبي جري الهجيمي ﷺ قال أتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله إنا قوم من أهل البادية فعلمنا شيئا ينفعنا الله به فقال لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي ولو أن تكلم أخاك ووجهك إليه منبسط وإياك وإسبال الإزار فإنه من المخيلة ولا يحبها الله وإن امرؤ شتمك بما يعلم فيك فلا تشتمه بما تعلم فيه فإن أجره لك ووباله على من قاله" (١)

وقد قيل: لا تجادل السفيه فيخلط الناس بينكما.

ولكن إذا تجاوزوا الحد وأثاروا غضبه فماذا يفعل؟ لقد أمره المولى سبحانه بأن يستعيذ بالله ليهدأ ويطمئن (وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ. إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ). ونزغ الشيطان وساوسه. و "ينزغنك" أي يصيبنك ويعرض لك عند الغضب وسوسة بما لا يحل. فأمره الله أن يدفع الوسوسة بالالتجاء إليه والاستعاذة به. والتعقيب (إنه سميع عليم) يوضّح أن الله سبحانه سميع لجهل الجاهلين وسفاهتهم، عليم بما تحمله النفس من أذاهم. وفي هذا ترضية وتسرية للنفس، فحسبها أن الجليل العظيم يسمع ويعلم.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) صحيح الترغيب والترهيب

حرمة الانتحار

الحمد لله ذي الرضـــى المرغوب، يعفو ويصـــفح ويغفر الذنوب، يملى ويمهل لعل العاصـــي يتوب، يعطى ويرضـى ويحقق المطلوب، يطعم ويسـقى ويسـتر العيوب، يغنى ويشـفى ويكشـف الكروب، نحمده تبارك وتعالى حمدا هو للذات العلية منسـوب، ونعوذ بنور وجهه الكريم من شـر الوسـواس الكذوب، ونسأله السلامة فيما مضى وما سوف يأتي من خطوب.

وأشـهد أن لا إله إلا الله ذو الجناب المرهوب، خلق السـماوات والأرض فى سـتة أيام وما مسـه من لغوب، يضـل من يشـاء، ويهدى من يشـاء، ويقلب الأبصـار والقلوب، سـخر الرياح بقدرته فمنها الساكن ومنها الهبوب، قدر الأرزاق وفق مشيئته فمن الناس ممنوح ومسلوب.

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ذو المقام الموهوب ، لا يأكل الصدقات ، ولا يرتكب الهفوات ، وخاتم النبوة بين كتفيه مضـروب ، فى الصـلاة قرة عينيه ، والخيرات كلها بين يديه ، من أطاعه فقد أطاع الله ، ومن تبع نهجه فقد أرضاه ، ومن عصاه فى النار مكبوب.

اللهم صل وسلم وبارك عليه عدد الرمال والحصى، وكلما أطاعه عبد أو عصى، ونور بصلاتنا عليه بصائرنا والقلوب.

العناصر

أولا: تعظيم الإسلام لحق الحياة ثانيا: الترهيب من القتل عموما ومن قتل النفس خصوصاً

ثالثا: الاستعانة بالله

الموضوع

أولا: تعظيم الإسلام لحق الحياة

حرمة الدم: عن ابن عمر قال صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع فقال (يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله قال ونظر ابن عمر يوما إلى البيت أو إلى الكعبة فقال ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك) [١]

الأمر بالتداوي : عن أسامة بن شريك قال(شهدت الأعراب يسألون النبي ﷺ أعلينا حرج في كذا

---

[١] صحيح سنن الترمذي

أعلينا حرج في كذا فقال لهم عباد الله وضع الله الحرج إلا من اقترض من عرض أخيه شيئا فذاك الذي حرج فقالوا يا رسول الله هل علينا جناح أن لا نتداوى قال تداووا عباد الله فإن الله سبحانه لم يضع داء إلا وضع معه شفاء إلا الهرم قالوا يا رسول الله ما خير ما أعطي العبد قال خلق حسن) (١)

تناول المحرم للحفاظ على الحياة عند الضرورة: قال تعالى: (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (البقرة).

ترك الواجب عند عدم القدرة عليه : عن جابر قال: (خرجنا في سفر فأصاب رجلا منا حجر فشجه في رأسه ثم احتلم فسأل أصحابه فقال هل تجدون لي رخصة في التيمم فقالوا ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء فاغتسل فمات فلما قدمنا على النبي ﷺ أخبر بذلك فقال قتلوه قتلهم الله ألا سألوا إذ لم يعلموا فإنما شفاء العي السؤال إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر أو يعصب شك موسى على جرحه خرقة ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده) (٢)

رخص الله للعباد التلفظ بألفاظ الكفر حفاظا على النفس والحياة: قال تعالى: (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (النحل/١٠٦)

ثانيا: الترهيب من القتل عموما ومن قتل النفس خصوصا

حرم الله قتل النفس: قال تعالى:(وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩) وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا) (النساء:٢٣٠)

قتل نفس واحدة كقتل الناس جميعا: قال سبحانه: (مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا)

(المائدة:٣٢)

الخلود في نار جهنم: قال الله عز وجل: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) (النساء:٩٣).

تعذيب من قتل نفسه يوم القيامة بالشيء الذي قتل به نفسه: عن أبي هريرة ﷺ: عن النبي ﷺ قال: (مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ تحسي سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا) (٣)

(١) السلسلة الصحيحة (٢) صحيح سنن أبي داود (٣) صحيح البخاري

وعَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ-قَالَ (لَيْسَ عَلَى رَجُلٍ نَذْرٌ فِيمَا لاَ يَمْلِكُ وَلَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَىْءٍ فِى الدُّنْيَا عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنِ ادَّعَى دَعْوَى كَاذِبَةً لِيَتَكَثَّرَ بِهَا لَمْ يَزِدْهُ اللَّهُ إِلاَّ قِلَّةً وَمَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ فَاجِرَةٍ) [١] ويمين الصبر هى التي يلزم بها صاحبها ويحبس عليها

التصريح بتحريم الجنة : عن جُنْدُبَ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جُرْحٌ فَجَزِعَ، فَأَخَذَ سِكِّينًا فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ فَمَا رَقَأَ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى بَادَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ) [٢]، (فجزع) لم يصبر على الألم. (فحز) قطع. (فما رقأ) لم ينقطع الدم ولم يسكن. (بادرني عبدي بنفسه) استعجل الموت.

ترك الصلاة على المنتحر: فقد ترك النبي ﷺ الصلاة على المنتحر، عقوبةً له، وزجرا لغيره أن يفعل فعله، وأذن للناس أن يصلوا عليه، عن جابر بن سمرة ﷺ قال: (أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِرَجُلٍ قَتَلَ نَفْسَهُ بِمَشَاقِصَ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ) [٣]. المَشاقص: سهام عراض.

بيان أنها خاتمة سيئة مبطلة لأعظم الأعمال والحسنات: عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-الْتَقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ فَاقْتَتَلُوا، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-إِلَى عَسْكَرِهِ وَمَالَ الآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ وَفِى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-رَجُلٌ لاَ يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً إِلاَّ اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ فَقَالُوا مَا أَجْزَأَ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلاَنٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ (أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ). فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ أَنَا صَاحِبُهُ أَبَدًا. قَالَ فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ -قَالَ -فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-فَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ (وَمَا ذَاكَ). قَالَ الرَّجُلُ الَّذِى ذَكَرْتَ آنِفًا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ فَقُلْتُ أَنَا لَكُمْ بِهِ فَخَرَجْتُ فِى طَلَبِهِ حَتَّى جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-عِنْدَ ذَلِكَ (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ) [٤].

ترسيخ الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر والقضاء والقدر: قال تعالى: (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) (الملك/٢)، وقال تعالى: (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ) (آل عمران/٣٠).

---

(١) صحيح مسلم (٢) متفق عليه (٣) صحيح مسلم (٤) متفق عليه

ثالثا: الاستعانة بالله

ملازمة ذكر الله تعالى: قال تعالى: (الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (الرعد/٢٨) ، وقال تعالى: (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآَنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) (الإسراء/٨٢).

الدعاءُ : قال تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) (غافر:٦٠)

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال قال رسول الله ﷺ (دعوة ذي النون إذ دعاه وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له) [١] ، وعن أنس ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: كان النبي ﷺ يقول (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ) [٢] ، (ضلع الدين) ثقله

التوكل على الله: قال: (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) (الطلاق/٣)،

الصبر: عن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ (ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن فقال اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحدا من خلقك أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرجا قال فقيل يا رسول الله ألا نتعلمها فقال بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها) [٣]

وعَنْ صُهَيْبٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ (عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ) [٤]

الرجاءُ : قال سبحانه: (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) (الشرح/٥، ٦).

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِى بِى وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِى إِنْ ذَكَرَنِى فِى نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِى نَفْسِى وَإِنْ ذَكَرَنِى فِى مَلإٍ ذَكَرْتُهُ فِى مَلإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّى شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَىَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِى يَمْشِى أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً) [٥] ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِىَّ -ﷺ-قَبْلَ وَفَاتِهِ بِثَلاَثٍ يَقُولُ (لاَ يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ) [٦]

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) صحيح سنن الترمذي
(٢) صحيح البخاري
(٣) السلسلة الصحيحة
(٤) صحيح مسلم
(٥) صحيح مسلم
(٦) صحيح مسلم

قل آمنت بالله ثم استقم

الحمد لله الذي امتن على عباده بالأسماع والأبصار وكرم الإنسان ورفع له المقدار، واصطفى من عباده المتقين الأبرار فوفقهم للطاعات، وصرفهم عن المنكرات، وأعدّ لهم عقبى الدار.

وأشهد أن لا إله إلا هو الملك الحق المبين خلق المنطق واللسان، وأمر بالتعبد وذكر الرحمن، ونهى عن الغيبة ومنكر البيان سبحانه من إله عظيم، يحصي ويرقب، ويرضى ويغضب، وينصب الميزان، يوم تنطق الجوارح، وتبين الفضائح، فإذا هم قد أحصيت أعمالهم، وهتكت أستارهم، وفشت أسرارهم، ونطقت أيديهم وأرجلهم.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده المصطفى، ونبيه المجتبى، ورسوله المرتضى، الذي لا ينطق عن الهوى، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

العناصر

أولًا: أهمية الاستقامة ومنزلتها

ثانيًا: شروط الاستقامة

ثالثًا: من أسباب الاستقامة ووسائل الثبات عليها

رابعًا: مجالاتها

خامسًا: عوامل هدم الاستقامة

الموضوع

حقيقة الاستقامة

سئل أبو بكر الصديق ﷺ عن الاستقامة، فقال: (ألا تشرك بالله شيئاً).

وقال عمر بن الخطاب – رحمه الله -: (الاستقامة: أن تستقيم على الأمر والنهي أن يجدكَ حيثُ أمرك، وأن يفتقدكَ حيثُ نهاك ولا تروغ روغان الثعالب).

وقال عثمان ﷺ: (إخلاص العمل لله)، وقال على ﷺ: (بأنها أداء الفرائض).

فمعنى الاستقامة: هي سلوك الصراط المستقيم ، وهو الدين القيم ، من غير ميل عنه يمنة ولا يسرة ، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها ، الظاهرة والباطنة ، وترك المنهيات كلها ، الظاهرة والباطنة، وهي وسط بين الغلول والتقصير ، وكلاهما منهي عنه شرعاً.

أولًا: أهمية الاستقامة ومنزلتها

أمر الله بها: قال تعالى: "قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ (٦)" فصلت.

فهذا أمر من الله تعالى بالاستقامة على الصراط المستقيم ، ولما كان من طبيعة الإنسان أنه قد يقصر في فعل المأمور ، أو اجتناب المحظور ، وهذا خروج عن الاستقامة ، أرشده الشرع إلى ما يعيده لطريق الاستقامة وهو الاستغفار حتى يغفر الله ما كان من تقصير.

لزوم التقوى دائما: عن أبي ذر جندب بن جنادة وأبي عبدالرحمن معاذ بن جبل ﷺ عن رسول الله ﷺ قال " اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن "(١) وقوله " اتق الله " فعل أمر من التقوى وهو اتخاذ وقاية من عذاب الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه فهذا هو التقوى وهذا هو أحسن حد قيل فيها ، وقوله " اتق الله حيثما كنت " في أي مكان كنت ، فلا تتقي الله في مكان يراك الناس فيه ، ولا تتقيه في مكان لا يراك فيه أحد ، فإن الله تعالى يراك حيثما كنت فأتقه حيثما كنت ، وقوله " وأتبع السيئة الحسنة " يعني اعل الحسنة تتبع السيئة ، فإذا فعلت سيئة فأتبعها بالحسنة ومن ذلك -أي إتباع السيئة بالحسنة- أن تتوب إلى الله من السيئة فأن التوبة حسنة، وقوله " تمحها " يعني الحسنة إذا جاءت بعد السيئة فإنها تمح السيئة ويشهد لهذا قوله تعالى " ...إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ... "هود/١١٤ . (٢)

لزوم السداد والمقاربة للوصول للاستقامة: عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ -ﷺ- أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا فَإِنَّهُ لَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ أَحَدًا عَمَلُهُ ». قَالُوا وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « وَلاَ أَنَا إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِىَ اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ ». (٣)

(سددوا) افعلوا السداد وهو الاعتدال في القول والعمل واختيار الصواب منهما . (قاربوا) تقربوا من الغاية ولا تفرطوا . (أحب الأعمال) أكثرها قبولا . (أدومها) ما استمر منها وواظب عليه فاعله .

وعن أَبي هريرةَ - ﷺ - ، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ : ((إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّيْنُ إلاَّ غَلَبَهُ ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا ، وَاسْتَعِينُوا بِالغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ)) وفي رواية : ((سَدِّدُوا وَقَارِبُوا ، وَاغْدُوا وَرُوحُوا ، وَشَيءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ ، القَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا)) (٤). والمشادة هي المقاومة

---

(١) صحيح سنن الترمذي
(٢) الأربعون النووية بتعليقات الشيخ ابن عثيمين
(٣) صحيح مسلم
(٤) صحيح البخاري

، ((إلا غَلَبَهُ)) : أي غَلَبَهُ الدِّينُ وَعَجَزَ ذلِكَ المُشَادُّ عَنْ مُقَاوَمَةِ الدِّينِ لِكَثْرَةِ طُرُقِهِ . وَ((الغَدْوَةُ)) : سير أولِ النهارِ . وَ((الرَّوْحَةُ)) : آخِرُ النهارِ . وَ((الدُّلْجَةُ)) : آخِرُ اللَّيلِ .

وهذا استعارة وتمثيل ، ومعناه : اسْتَعِينُوا عَلَى طَاعَةِ اللهِ - عز وجل - بِالأَعْمَالِ في وَقْتِ نَشَاطِكُمْ وَفَرَاغِ قُلُوبِكُمْ بِحَيثُ تَسْتَلِذُّونَ العِبَادَةَ ولا تَسْأَمُونَ وتبلُغُونَ مَقْصُودَكُمْ ، كَمَا أنَّ المُسَافِرَ الحَاذِقَ يَسيرُ في هذِهِ الأَوْقَاتِ ويستريح هُوَ وَدَابَّتُهُ في غَيرِهَا فَيَصِلُ المَقْصُودَ بِغَيْرِ تَعَب ، واللهُ أعلم . (١)

فهما مرتبتان يطالب العبد بهما : السداد ، وهي الاستقامة ، فإن لم يقدر عليها فالمقاربة ، وما سواهما تفريط وإضافة ، والمؤمن ينبغي عليه ألا يفارق هاتين المرتبتين ، وليجتهد في الوصول إلى أعلاهما ، كالذي يرمي غرضاً يجتهد في إصابته ، أو القرب منه حتى يصيبه (٢).

خضوع الأعضاء كلها للِّسان: وعن أَبي سعيد الخدري ﷺ عن النبيِّ - ﷺ - قَالَ : ((إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ ، فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تَكْفُرُ اللِّسانَ ، تَقُولُ : اتَّقِ اللهَ فِينَا ، فَإِنَّما نَحنُ بِكَ ؛ فَإِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا ، وإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا)) (٣) معنى : ((تَكْفُرُ اللِّسَانَ)) : أيْ تَذِلُّ وَتَخْضَعُ لَهُ ، وعن أنس بن مالك ﷺ قال قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ، وَلا يَدْخُلُ رَجُلٌ الْجَنَّةَ لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ))(٤)

من صفات المؤمنين التائبين: قال تعالى: "فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢)" هود، فأمر الله تعالى رسوله ومن تاب معه بلزوم الاستقامة والبعد عن الطغيان والمعاصي وأخبر انه يرى أعمالهم ولا يخفى عليه شيء.

أمر الله بها الأنبياء: قال تعالى: " قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨٩)" يونس ، وقال تعالى: "فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ" الشورى.

فأمر الله رسله ﷺ وهو أمر كذلك للمسلمين بالاستقامة وعدم اتباع رغبات وأهواء الكافرين .

بها وصى رسول الله ﷺ: عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِى فِى الإِسْلاَمِ قَوْلاً لاَ أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ - وَفِى حَدِيثِ أَبِى أُسَامَةَ غَيْرَكَ - قَالَ « قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمْ ». (٥)

وعن سفيان بن عبد الله - ﷺ - قَالَ : قُلْتُ : يَا رسولَ الله حدِّثني بأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ قَالَ : (قُلْ : رَبِّيَ اللهُ ثُمَّ اسْتَقِمْ) قُلْتُ: يَا رسولَ اللهِ، مَا أَخْوَفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ؟ فَأَخَذَ بِلِسانِ نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَذَا)(٦)

---

(١) رياض الصالحين
(٢) جامع العلوم والحكم
(٣) صحيح سنن الترمذي
(٤) السلسلة الصحيحة
(٥) صحيح مسلم
(٦) صحيح سنن الترمذي

يعني قولاً يكون جامعاً واضحاً بيناً لا أسأل أحداً غيرك فيه فقال له النبي ﷺ " قل آمنت بالله ثم استقم " آمنت بالله هذا بالقلب ، والاستقامة تكون بالعمل ، فأعطاه النبي ﷺ كلمتين تتضمنان الدين كله فآمنت بالله يشمل إيماناً بكل ما أخبر الله به عز وجل ن نفسه وعن اليوم الآخر وعن رسله وعن كل ما أرسل به ، وتتضمن أيضاً الانقياد ولهذا قال " ثم استقم " وهو مبني على الإيمان ومن ثم أني ب " ثم " الدالة على الترتيب والاستقامة ولزوم الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، ومتى بنى الإنسان حياته على هاتين الكلمتين فهو سعيد في الدنيا وفي الاخرة (١).

الفرح والسعادة ودخول الجنة: قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤)" الأحقاف.

وقال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (٣٢)" فصلت، فمن ءامن بالله وعمل صالحا واستقام على امر الله تعالى وعده الله بالأمن والسعادة فلا خوف مما هو آت ، ولا حزن على ما فات وحفظه وتولاه في الدنيا والآخرة وبشره بالجنة التي له فيها كل ما تشتهي نفسه.

الرزق الطيب الوفير: قال تعالى: " وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا " الجن.

فلو استقاموا على ما أمر الله وابتعدوا عما نهى لكان حقا على الله ان يرزقهم الماء الوفير الذي به أصل كل حياة فتنبت الزروع والثمار وتكثر الخير والبركة ويعيشوا في نعيم وفي سعادة كبيرة.

عن ثوبان قال : رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا وَاعْمَلُوا وَخَيْرُ أَعْمَالِكُمْ الصَّلَاةُ وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ" (٢).

فإذا استقمتَ على أمر الله، لن تحصي الخيرات التي تتأتى من هذه الاستقامة ، سعادة نفسية ، توفيق في العمل ، سرور ، طمأنينة ، شعور بالراحة ، شعور بالتفوق ، هذا كله من لوازم الاستقامة.

ومن علامات الاستقامة أن يقول المستقيم : ليس في الأرض من هو أسعدُ مني، المؤمن مُبتلى، المؤمن قد تأتيه بعض المكاره، ولكن ليسَ معنى هذا أنه ليسَ بسعيد، سعادته داخلية، شعوره أنَّ

(١) الأربعون النووية بتعليقات الشيخ ابن عثيمين
(٢) صحيح الترغيب والترهيب

الله يحبه هذا مُسعد، شعوره أن الله راضٍ عنه هذا مُسعد، شعوره أنه على منهج الله هذا مُسعد، شعوره أن الله وعده بالجنة هذا مُسعد، فالإنسان المؤمن سعيدٌ في داخله، ولا يمنع أن يُبتلى في ظاهره فالله تعالى يقول (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) [سورة البقرة الآية: ١٥٥]

ثانياً: شروط الاستقامة

قال بعض العلماء للاستقامة خمسة شروط

قالَ: اجتهادٌ في العمل، واقتصادٌ فيه، ووقوفٌ عندَ حدود العِلم، وإخلاص للمعبود، ومتابعةٌ للسُنّة.

اجتهادٌ في العمل: أحياناً الإنسان يعمل عملاً شكلياً، صلى؛ هذه الصلاة التي أرادها الله عزّ وجل، صام؛ هذا الصيام الذي أراده الله عزّ وجل، تصدق، دفعَ زكاة ماله، بالعكس عنده بضاعة فاسدة، قدّمها إلى جمعية، وقال: أخي، هذه زكاة مالي، في بضائع الناس ليسوا بحاجة لها، الناس بحاجة إلى طعام وشراب أحياناً، لاحظت ملاحظة بالجمعيات الخيرية، باركَ الله بها جميعاً، لكن كل شيء كسد عند التجار يقدمونه لهذه الجمعيات، من حِسابِ زكاةِ أموالهم، هذا اجتهاد بالعمل، لا والله ليس اجتهاداً، تطاولَ بعض التجار على الله عزّ وجل، وعدَّ الضريبة من الزكاة، شعر براحة عظيمة، طعام كرهته نفسه فقدمه للفقراء، هذا لا يجوز أبداً، الاجتهاد أن تبذلَ غاية الجهدِ.

لهذا قالَ الله عزّ وجل :(فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْراً لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [سورة التغابن الآية: ١٦]

الاقتصاد : الاقتصاد أن تسلك بين طرفي الإفراطِ والتفريط، ألا تتعنتَ في الدين، أن تغلوَ في الدين، العوام تقول: لا إفراط ولا تفريط ،فمثلاً: أنتَ ورع جداً، غيور جداً على زوجتك، من غيرتك على زوجتك، رفضتَ أن تأخذها إلى الطبيب، أنت أخذتَ جانبَ الغلوّ في الدين، أنتَ أورعُ من سيد المرسلين؟ أنتَ أشدُ ورعاً من العلماء العاملين؟ فالانحراف عن الاستقامة له مظهرين: إما الإفراط أو التفريط .

فالاستقامة أول شرط من شروطها: أن تبذلَ غاية الجهدِ، وثانياً: أن تقفَ الموقف المعتدل بين الطرفين، أنت زاهد، أعرضتَ عن الدنيا إعراضاً كليّاً ، وان زوجة شكت زوجها لسيدنا عمر، أن زوجها كانَ صوّاماً قوّاماً، يبدو أنه لم ينتبه لقولها، قال لها: باركَ الله في زوجك، أحد الصحابة انتبه أنها تشكوه ولا تثني عليه، قال: إنها تشكو زوجها، قال: فاحكم أنتَ بينهما، فحكم أن يعطيها

كل أربعة أيام يوماً، لأنه لو عنده أربع زوجات، للواحدة منهنَّ حق يوم .

وقوفاً عند حدود العلم: ما معنى الأمر والنهي؟ الأمر ألا تفعل كذا، والنهي أن تفعل كذا، أراد أن يصوم صياماً طويلاً، لما صام تعطل عن عمله، فاضطرب نفسياً، النبي الكريم أمر بالصيام اثنين وخميس أو ثلاثة أيام في الشهر، فلما زادَ ذلك انعكس على حالته النفسية .

هذه الاستقامة: عملٌ مع بذل الجهدِ، اقتصادٌ بين الإفراط والتفريط، متابعةٌ لرسول الله ﷺ، إخلاصٌ في هذا العمل، وقوفٌ عندَ الأمر والنهي .

السلف الصالح كانوا يُركزّون على أصلين خطيرين؛ الاقتصاد في الأعمال والاعتصام بالسُنّة، قالَ بعض السلف: ما أمرَ الله بأمرٍ إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريطٍ وإما إلى إفراط، ولا يبالي الشيطان بأيهما ظَفِرَ زيادةً أو نقصاناً .

الإخلاص مع اتباع السنة: يعني اقتصادٌ في سبيلٍ وسُنّةٍ خيرٌ من اجتهاد في خِلاف سبيلٍ وسُنّةٍ، قال: فاحرصوا على أن تكون أعمالكم على منهج الأنبياء عليهم السلام .

ما الذي يُخرجُ من الاستقامة: الرياءُ في الأعمال يخرج من الاستقامة، الرياء والفتور والتواني، على المستقيم أن يفرّقَ دائماً بينَ الأمر والنهي، والثواب والعقاب، والموالاة والمعاداة، وبين ما يحبه الله وبين ما يبغضه، وبين ما يرضيه وبين ما يسخطه .

فمثلا: بعضهم يحتج بِفعل سيدنا يوسف، لمّا وضع في رحلِ أخيه صواع الملك، وقال: أيتها العير إنكم لسارقون، والقصة معروفة عندكم بهذه الحيلة، احتجزَ أخاه عِنده، فبعض الذين يسلكون الحيل الشـــرعية، يحتجون بهذا الموقف، مع أن هذا الموقف هو حيلة، ولكن كي يأتي بأبيه وأخوته ليسكنوا عنده في مصر ليكرمهم، إذا إنسان لا يأخذ إطلاقاً منكَ شيئاً، وأنتَ احتلتَ على أن تعطيه على شكل قرض مثلاً، هذه حيلة مقبولة، في حيل رائعة جداً .

إنسان متنعتاً، وعليك مساعدته، قد تسلك معه حيلةً كي تساعده، فالحيلة في أصلها مشروعةٌ، إن كانت لجلبِ خيرٍ أو لدفعِ شرٍ، أما إذا كانت الحيلة للتحلل من بعضِ أوامر الله عزّ وجل، فهذه حيلةٌ شيطانيةٌ مرفوضة.

لو معكَ نِصاب المال، قبل أن يحولَ الحول تَهبُ جزءاً منه لابنكَ، تتفق معه، بعد شهرين يعيد المال لك، يهبُ جزءاً من ماله لشخص قبلَ أن يأتي الحول، النِصاب ما تم، بعد أن يمضيَ الحول، يسترجع هذه الهِبة، هذه حيلة .

يشتري حاجة من بائع، ثم يردها له بعد مجيء الحول، هذه حيلة في إسقاط الزكاة .

أحياناً تطلّقُ المرأة طلاقاً فيه بينونة كبرى من زوجها، فيقوم زواج شكلي، هذا التيس المستعار، يعقد زواجاً شكلياً، ثم يطلّق، ثم تعود لزوجها الأول.

أحياناً يُرهنُ العِقار والرهن لا يستعمل، ثم يَهبُ لكَ صاحِبُ العَقار منفعته، أنت أقرضته مبلغاً، وضع عندك عِقاراً رهناً، فأنت سكنت بالعِقار، هذا القرض جرَّ نفعاً، هو على شكل رهن، والرهن لا يستعمل صاحب العِقار، وهبك الانتفاعَ به، عملت حيلة، كسبتَ فائدةً من هذا القرض وهكذا، كلُّ هذه الحيل حرامٌ، لأنها احتيالٌ على الشرع، للتفلت من أوامر الله عزّ وجل.

فكلُّ حيلة تنتهي بصاحبها إلى التفلتِ من أوامر الشرع، هي حيلةٌ باطلةٌ حرامٌ، أما الحيلة التي تجلب الخير وتدفع الشر، فهي حيلةٌ مقبولةٌ في الشرع.

ثالثاً: من أسباب الاستقامة ووسائل الثبات عليها

إرادة الله للعبد الهداية ، وشرح صدره للإسلام وتوفيقه للطاعة والعمل الصالح ، قال تعالى: قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٦)" المائدة.

الإخلاص لله تعالى ، ومتابعة رسوله ﷺ ، قال تعالى: { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥) } البينة

الاستغفار والتوبة: وقد علق الله تعالى الفلاح والنجاح بالتوبة ، فقال تعالى: { وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١) }النور.

محاسبة النفس: قال تعالى:{ ا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) }الحشر. قال ابن كثير رحمه الله تعالى: أي حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم.

فالمحاسبة تحفظ المسلم من الميل عن طريق الاستقامة.

المحافظة على الصلوات الخمس مع الجماعة: لأنها صلة بين العبد وربه ، وهي من عوامل ترك الفحشاء والمنكر ، قال تعالى: { اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (٤٥) }العنكبوت.

طلب العلم: والمقصود به علم الكتاب والسنة ، لأنه الوسيلة لمعرفة الله تعالى وكتابه ورسوله ﷺ

اختيار الصحبة الصالحة : لأن الجليس الصالح يعين صاحبه على الطاعة وعلى طلب العلم ، وينهيه على أخطائه ، أما الجليس السيء فعلى العكس من ذلك تماماً ، قال تعالى: { الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ }الزخرف

حفظ الجوارح عن المحرمات: وأهمها: اللســـان فيحفظه عن الكذب والغيبة والنميمة وغيرها، ويحفظ بصره عن المحرمات ، وليكن نصب عينيه قوله تعالى: { وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (٣٦) }الإسراء.

معرفة خطوات الشـيطان للحذر منها: قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّـيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ (٢١)}النور.

رابعاً: مجالاتها

المحافظة على صلاة الجماعة، والحرص عليها، مع موجةِ تهاونٍ فيمن حولك.

أن تغدو لصلاة الفجر في المسجد جماعة يوميًّا إلا لعذر.

أن يبقى الأذان للصلاة يشدك، فتترك ما في يدك، وتجيب نداء ربك، وإن انشغل الآخرون بنداءات أُخَرَى.

أن تلزم وِرْدَك من القرآن، ولا تأخذك عنه وسائل التواصل، وملهيات الأيام.

أن تداوم على الأذكار والأوراد المشروعة، في أوقاتها، وتجاهد نفسك في عدم تركها أو تناسيها.

استمرارك في صوم نافلةٍ سِرْتَ عليه من الأسبوع أو الشهر، ولو امتلأت أذنك تثبيطًا.

أن تثبت على نافلة الليل، وإن قَلَّت أو ثقلت، ولا تنقطع عنها بقواطع الزمان التي كثرت.

إن كنت من أهل ركعتي الضحى أن تقوم لها وبها، ولا تقبل أن يخطفك عنها خاطف.

ألا يراوح صدرك همُّ دعوتك وأمتك، وإن قلَّ ما في يدك، وعجَزت عن تحقيق هدفِك.

ان تحافظ على هيئتك الإسلامية غير متجاوز ولا متهاون.

أن تبقى لحيتُك في وجهك دون تعرُّض لجرف أو شذب حاديها.

أن يبقى جلبابك رمزَك، وسترك كما هو ساترًا بغير زينة ولا تطوير ومعاصرة تذهب بمقصده.

أن تبقَيْ زوجة قائمة بحقوق زوجها؛ طاعة لربها، غير مبالية بهمزات ولمزات يزفها الشيطان.

ألا ينفك عن المرأة المســتقيمة المؤمنة الحياءُ، رامية بدعوات ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب خلف حياتها.

ألا يهتز تعظيم النصوص الشرعية في قلبك، وإن اهتزت ألباب بموجات تحرُّر مزعوم، واستنارة

سراب موهوم.

بقاؤك متلمسًا ـ كعادتك ـ السنَّة النبوية، حريصًا على تطبيقها في مدخلك ومخرجك، ومضجَعك وممشاك، وأخذك ومنعك، وكل شأنك، ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

سموُّ أخلاقك، ورقي تعاملك مع من عرفت ومن لم تعرف؛ اقتداءً بنبيك وقدوتك ﷺ.

أن تبقى متمسكًا عاضًّا بالنواجذ على عقيدتك الصافية، ومنهجك السليم، عقيدة أهل السنَّة والجماعة، ولو كنت وحدك.

ملازمتك تحري رضا الوالدين والبر بهما؛ سعيًا لرضا الله الخالق سبحانه وتعالى.

ألا يتوقف حرصك على حقوق الآخرين، والقيام بواجبك نحوهم، وعلى رأسهم أهل بيتك.

أن يعيش معك ويلازم فؤادك حتى وفاتك حبُّك لِما يحب الله تعالى، وبُغضك لما يُبغض الله تعالى، وإن تغيَّر الأشكالُ والأسماء.

أن تواليَ أولياء الله، وتعاديَ أعداءه، وإن تقلَّبتِ الأيام، وتغيَّرت النظريات، وهجمت الدعوات المعسولة بحرفِ الولاء والبراء عن مسارِه.

أن تستمر في الدعاء بالثبات والاستقامة ما بقيَتْ فيك حياة، وتطلبها بإلحاحٍ ممن بيده القلوبُ، ومقلبها.

خامساً: عوامل هدم الاستقامة:

اليأس: وهو مرض قلبي نفسي فتاك يلعب دورا خطيراً في عدم استقامة الإنسان وثباته، وإن تطور فزاد عن حده خرج الإنسان من الإيمان ودخل إلى دائرة الكفر قال تعالى: (إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) [يوسف: ٨٧].

الغلو: فقد أفسد عدداً من المسلمين قديماً وحديثاً، فنجد أن الغلو قد ساهم بظهور الخوارج قديماً وحديثاً، وقد امرنا النبي ﷺ بالسداد والمقاربة والاعتدال.

التساهل في أمور الصغائر: عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه وإن رسول الله ﷺ ضرب لهن مثلا كمثل قوم نزلوا أرض فلاة فحضر صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود والرجل يجيء بالعود حتى جمعوا سوادا وأججوا نارا وأنضجوا ما قذفوا فيها " (١).

(١) صحيح الترغيب والترهيب

الشهوات والتطلع إليها: وهذا بلاء عظيم إذ يمكن أن ينتكس الإنسان وينحرف بسبب شهوة خضع لها، إن الشهوات معاول إبليس اللعين في هدم استقامة المسلم وثباته.

الاستعجال: فالمستقيم لا يكون عجلاً، والعجل لا يكون مستقيماً، لأن المرء العجل يريد تحقيق أهدافه بسرعة، فإن لم يحدث ذلك، فلعله ينتكس وينحرف.

الفتن والمحن: هذا العامل من أفتك العوامل وأشدها تأثيراً في استقامة الإنسان، خاصة في النفس التي لم يهذبها الإسلام ولم تتشرب الإيمان، الجاهلة بحقيقة الإيمان وحقيقة البلاء، التي لم تعلم بأن البلاء سنة الله القديمة في تمحيص المؤمنين وإعدادهم ليدخلوا الجنة وليكونوا لها أهلاً

قال تعالى: (أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ)العنكبوت.

الخسران في الدنيا والآخرة لمن ترك الاستقامة: قال تعالى: (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) [الصف: ٥]، وكان حكم الله تعالى في قارون لما زاغ وانحرف عن جادة الاستقامة: (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ) [القصص: ٨١].

وقال في بلعام اليهودي الذي انحرف وانساق وراء الشيطان فخسر الدارين وربح الذم الأبدي

قال تعالى: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ * مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)

[الأعراف: ١٧٥ - ١٧٨].

نسأل الله تعالى ان يرزقنا الاستقامة في اقوالنا وأفعالنا وأحوالنا وجميع شئوننا إنه ولي ذلك والقادر عليه

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم
٢- تفسير القرآن العظيم لابن كثير
٣- تفسي القرطبي
٤- تفسير الطبري
٥- تفسير السعدي
٦- مفاتيح الغيب للرازي
٧- الكشاف للزمخشري
٨- في ظلال القرآن للشيخ سيد قطب
٩- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي
١٠- تفسير القرآن لابن عثيمين
١١- فتح القدير للشوكاني
١٢- صحيح البخاري
١٣- صحيح مسلم
١٤- صحيح الترمذي للألباني
١٥- صحيح أبي داود للألباني
١٦- صحيح ابن ماجة للألباني
١٧- صحيح ابن حبان
١٨- صحيح ابن خزيمة
١٩- صحيح الترغيب والترهيب
٢٠- صحيح الجامع
٢١- السلسلة الصحيحة
٢٢- مشكاة المصابيح
٢٣- تحقيق فضل الصلاة على النبي ﷺ للألباني
٢٤- جامع العلوم والحكم لابن رجب
٢٥- رياض الصالحين
٢٦- فتح الباري في شرح صحيح البخاري
٢٧- شرح صحيح مسلم للنووي
٢٨- موطأ مالك
٢٩- المعجم الكبير للطبراني
٣٠- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان
٣١- سيرة ابن هشام
٣٢- السيرة النبوية لابن كثير
٣٣- البداية والنهاية لابن كثير
٣٤- الرحيق المختوم
٣٥- دلائل النبوة للأصفهاني
٣٦- الشمائل للترمذي
٣٧- الأم للشافعي
٣٨- الإقناع للماوردي
٣٩- لسان العرب لابن منظور
٤٠- تاج العروس
٤١- القاموس المحيط
٤٢- المعجم الوسيط
٤٣- أدب الدنيا والدين للماوردي
٤٤- صيد الخاطر لابن الجوزي
٤٥- زاد المعاد لابن القيم
٤٦- الكلم الطيب لابن القيم
٤٧- مدارج السالكين لابن القيم
٤٨- حادي الأرواح لابن القيم
٤٩- ٢٧ مقدمة من أروع مقدمات الخطب لأحمد أحمد سلطان
٥٠- الدرر البهية من المقدمات المنبرية للسيد مراد سلامة
٥١- الموافقات للشاطبي
٥٢- البخلاء للجاحظ
٥٣- حلية الأولياء لأبي نعيم
٥٤- إحياء علوم الدين للغزالي
٥٥- مختصر منهاج القاصدين لابن قدامه
٥٦- ربيع الأبرار ونصوص الأخيار للزمخشري
٥٧- الفتاوى الكبرى
٥٨- سير أعلام النبلاء
٥٩- روضة العقلاء
٦٠- عيون الأخبار

الفهرس

١. المقدمة ٢

٢. الأعمال الصالحات سبيل للفوز بالجنات ٤

٣. الجود والكرم في الإسلام ٢١

٤. فضل الدعاء ٣١

٥. فضل قيام الليل ٥١

٦. فضل العشر الأواخر من رمضان وواجب المسلم فيها ٦٥

٧. حسن الخاتمة ٧٨

٨. قلوب العباد بين الصلاح والفساد ٩٤

٩. حق الجار في الإسلام ١٠٧

١٠. فضل الأضحية وأحكامها ١٢٠

١١. علو الهمة ١٢٦

١٢. مكانة المرأة في الإسلام ودورها في تنمية المجتمع ١٤٠

١٣. آثار إدمان الذنوب والمعاصي ١٥٣

١٤. صور المال الحرام وأثره المدمر على الفرد والمجتمع ١٦٨

١٥. ألا إنهم هم السفهاء ١٨٤

١٦. حرمة الانتحار ١٩٥

١٧. قل آمنت بالله ثم استقم ١٩٩

١٨. المصادر والمراجع ٢٠٩

١٩. الفهرس ٢١٠

٢٠. من إصدارات الشيخ احمد أبو عيد ٢١١

من إصدارات الشيخ أحمد أبو عيد

۞۞۞۞۞ ۞۞۞۞۞

۞ كتاب الإرشادات الإسلامية في الخطب المنبرية { الجـــزء الأول } ۞

۞ كتاب الإرشادات الإسلامية في الخطـــب المنبرية { الجزء الثاني } ۞

۞ كتاب الإرشادات الإسلامية في الخطب المنبـــرية { الجزء الثالث } ۞

۞ كتاب الإرشادات الإسلامية في الخطب المنبرية { الجزء الرابـــع } ۞

۞ كتاب الإرشادات الإسلامية في الخطب المنبرية { الجزء الخامس } ۞

۞ كتاب الإرشادات الإسلامية في الخطب المنبرية { الجزء السادس } ۞

۞ كتاب الإرشادات الإسـلامية في الخطـب المنبـرية { الجزء السابع } ۞

۞ كتاب الإرشادات الإسـلامية في الخطـب المنبـرية { الجزء الثامن } ۞

۞ كتاب الإرشادات الإسـلامية في الخطـب المنبـرية { الجزء التاسع } ۞

۞ كتاب الدرر الحسان في مدح الرحمن والنبي العدنان { الجزء الأول } ۞

۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞

۞۞۞۞۞

تم بحمد الله وتوفيقه

فلله الحمد أولاً وآخرًا

وأسأله سبحانه أن ينفع به المسلمين في كل أقطار الأرض،

وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم

وأن يغفر لوالدىَّ وللمسلمين أجمعين

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد

والحمد لله رب العالمين

۞۞۞۞۞۞۞